وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الترجمة والمثاقفة

ندوة الترجمة 2024

أعدَّها وقدَّم لها: د. باسل المسالمة

الترجمة والمثاقفة

«ندوة الترجمة ٢٠٢٤م»

الإخراج الفني: طـارق يزبـك

الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الترجمة والمثاقفة
«ندوة الترجمة ٢٠٢٤م»

أعدَّها وقدَّم لها: د. باسل المسالمة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٢٥

الترجمة والمثاقفة :ندوة الترجمة ٢٠٢٤م/ أعدها وقدّم لها د. باسل المسالمة .- دمشق :الهيئة العامة السورية للكتاب ،٢٠٢٥ - ١٨٤ص ؛ ٢٥سم .

عقدت الندوة في دمشق (٢٠٢٤م) .

١- ٤١٨,٠٢ ن ت ت ٢- العنوان
٣- ندوة الترجمة (٢٠٢٤م) ٤- المسالمة

المكتبة الوطنية

مُقَـدّمَة

في كل عام يتجدد لقاؤنا معكم في هذا الصرح العظيم، في المكتبة الوطنية، لنحتفل مع المترجمين، في العالم بوجه عام وفي سورية بوجه خاص، بمناسبة اليوم العالمي للترجمة. حدّدت الأمم المتحدة هذا اليوم في ٣٠ أيلول من كل عام، تخليداً لذكرى مولد القديس جيروم، مترجم الكتاب المقدّس وشفيع المترجمين. لا شك أنّ الترجمة مهنةٌ نبيلة محورها نشاطٌ معرفيٌّ وفضاءٌ ثقافيٌّ وإبداعيٌّ، تتجلّى أهميتها في أنها تُفضي إلى تقارب الثقافات والحضارات، وتسمح بالحوار بين الشعوب، على اختلاف لغاتهم وأعراقهم ومعتقداتهم.

ونظراً لأهمية الترجمة في عالمنا المعاصر ودورها في تعزيز هذا التقارب الفكري والحضاري والثقافي، أطلق الاتحاد الدولي للمترجمين فكرة الاحتفال «باليوم العالمي للترجمة» منذ عام ١٩٩١، ليكون مناسبةً يتعاضدُ فيها المترجمون في جميع أنحاء العالم، لتعزيز أهمية هذه المهنة العريقة، التي تسعى إلى تسهيل التفاهم والتعاون بين الشعوب، والإسهام في تنمية الثقافة، وتعزيز السلام والأمن العالميين.

ومن هذا المنطلق، وجّهت المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، وهي منظمة تُعنى بالنهوض بالثقافة العربية وتطوير ميادين التربية والثقافة والعلوم، المراكزَ والإدارات التابعة لها إلى إغناء المكتبة العربية بالترجمات الأدبية والثقافية والعلمية من مختلف اللغات، ورفدها بالمعاجم المتخصصة التي تساعد المترجمين في نقل المعارف من مختلف الثقافات إلى لغتنا العربية. وفي هذا السياق أسهم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، وهو أحد المراكز التابعة للألكسو، في تزويد المكتبة والجامعات العربية بما يعينها من مراجع دراسية مهمة. وهنا لا بُدَّ من الإشادة بالدور الذي تؤدّيه المؤسسات

والمنظمات المَعنيّة بالترجمة، إذ ننظر إلى الترجمة بوصفها فعلاً حضارياً متميّزاً، وتضمن حقوق المترجمين وتنظّم جهودهم.

تقيم الهيئة العامة السورية للكتاب، برعاية كريمة من وزارة الثقافة، ندوتها الوطنية للترجمة بالتعاون مع جامعة دمشق، ممثلةً بالمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية، ومجمع اللغة العربية، واتحاد الكتّاب العرب، واتحاد الناشرين السوريين. حملت الندوة عنواناً لهذا العام هو «الترجمة والمثاقفة»، ومصطلح «المثاقفة» منتشرٌ في حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، اللذين يدرسان التطورات الناتجة عن اتصال ثقافتين تؤثّر إحداهما في الأخرى وتتأثّر بها. باتت المثاقفة، في واقع الأمر، نتيجةً حتمية لما تفرضه حياتنا المعاصرة اليوم، ذلك أنها تتّجه نحو التحاور والتقارب بين الشعوب والثقافات، وهذا لا يتأتّى إلا من طريق الترجمة. إذن، المثاقفة اعترافٌ بالتنوّع الثقافي وبالعلاقة الوطيدة بين الثقافة والمجتمع، والتفاعل مع الآخر لتحقيق المعرفة المثلى. لا شك أنّ عنوان الندوة في هذا العام مهمٌّ جداً، فهو لا يومئ إلى أهمية المثاقفة فحسب، بل إلى الدور الفعّال الذي تؤدّيه الترجمة في يومنا هذا. ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنّ المثاقفة لا تعني تحقيق التواصل بين الثقافات والحضارات فحسب، بل تعني ضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية والتمسُّك بها، فمعرفة الآخر لا تقتضي إلغاء الذات أو الذوبان فيه، بل إلى تعزيزها واحترام خصوصيتها. لا بُدَّ من الاعتراف بالآخر، ولكن دون الوقوع في مسألة «التبعية الثقافية» والتماهي مع الثقافات الأخرى، وهي من الإشكاليات التي تَنتُجُ من جرّاء احتكاك الثقافات بعضها ببعضٍ.

ومن هنا تأتي أهمية المثاقفة في أنها تلاقحٌ ثقافي، وتفاعل بين الذات والآخر، هدفه التوصّل إلى رؤية حضارية للعالم والارتقاء بالإنسان المتحضّر. وعليه، تُعَدُّ الترجمة وسيلةً من وسائل المثاقفة، بل إنها مثاقفة في حدِّ ذاتها، ذلك أنها لا تقرّب اللغات والشعوب فحسب، بل تُفضي - من خلال كونها نشاطاً ثقافياً وتثاقفياً متطوّراً - إلى مثاقفة طويلة الأمد هدفها نشر الوعي بالآخر، واستيعاب المعارف الإنسانية بشتّى صنوفها، والتخلّص من التبعية المطلقة.

وأهمية المثاقفة لا تتحقق إلا من خلال الترجمة، التي تؤدي اليوم دوراً بارزاً في التواصل الثقافي، كما أنها ضرورةٌ حضارية تحقق اللُّحمة الإنسانية بين الأمم والشعوب، وتقوّي أواصر التبادل الثقافي والعلمي والحضاري من خلال معرفة الآخر، فمن خلال الترجمة تتحقّق مواكبة الحضارات والنهوض في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية. وقد عمّقت الترجمة أيضاً معرفتنا بذواتنا ولغتنا وثقافاتنا ونمط حياتنا الفكري في عصر منفتح على الآخر. لا شك أنّ الترجمة فعل حضاري إنساني يُضيف كثيراً لرصيد أيّ أمة أو ثقافة أو لغة.

تنوّعت أبحاث الندوة الوطنية للترجمة لهذا العام وفق محاور الندوة، التي أعدّتها لجنة تحضيرية من خيرة الأساتذة الأكاديميين والمترجمين. تناولت الندوة المحاور الآتية: أثر الترجمة في صناعة الرأي العام، وهجرة الكلمات والمثاقفة، وهيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة، والترجمة والمثاقفة: الأندلس أنموذجاً، والترجمة وتاريخ الأديان.

ويسر مديرية الترجمة، في الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة أن تقدّم موادّ هذه الندوة للقرّاء. يضم هذا الكراس الأبحاث التي قُدّمت في الندوة يومي ١٦ و١٧ تشرين الأول ٢٠٢٤م، فضلاً عن التغطية الثقافية.

تشكر مديرية الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب جميع المشاركين والمسهمين في أعمال الندوة، مؤسساتٍ وأفراداً، وتخصُّ بالشكر معاليَ السيدة وزيرة الثقافة الدكتورة ديالا بركات على رعايتها هذه الندوة ودعمها للترجمة وتوفير أسباب النجاح لها.

مدير الترجمة
د. باسل المسالمة

كلمة المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

د. نايف الياسين

معالي وزيرة الثقافة، الدكتورة «ديالا بركات»..

السيدات والسادة الحضور، صباح الخير!

أود بدايةً أن أشكر معالي الوزيرة على رعاية هذه الندوة، وأشكر شركاءنا في التحضير لها: اتحاد الكتّاب العرب، والمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية في جامعة دمشق، ومجمع اللغة العربية، واتحاد الناشرين السوريين.

وأشكر أيضاً السادة الباحثين والباحثات على جهودهم ومشاركتهم، وزملائي في مديرية الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب على إعداد الترتيبات اللازمة للندوة، والشركاء الدائمين في مكتبة الأسد على استضافتها. وأشكر الحضور الكريم من مترجمين ومهتمين على وجودهم معنا.

لقد أصبحت هذه الندوة تقليداً سنوياً يقام بمناسبة اليوم العالمي للترجمة، الذي يصادف اليوم، تتناول كل عام موضوعاً يخص الترجمة يكتب فيه المختصون، ويتداول فيه المترجمون والمهتمون، على أمل الاستمرار في تسليط الضوء على هذا النشاط الفكري والحضاري المتميز.

لا يخلو موضوع الندوة لهذا العام من الإشكالية، وهي إشكالية مستمدة في جزء منها من الترجمة نفسها؛ فكلمة مثاقفة ليست قديمة في اللغة العربية، وعلى الأرجح أنها ترجمة لكلمة (acculturation) الإنكليزية. وهنا أسارع إلى الاستدراك أنّ المثاقفة لا ينبغي أن تعني ما تعنيه كلمة (acculturation)، رغم أنّ معنى الكلمة

بالإنكليزية طرأ عليه بعض التغيير منذ أول استعمال له في ثمانينيات القرن التاسع عشر. فتعريف قاموسي أوكسفورد وكيمبريدج وويكيبيديا بالإنكليزية للمصطلح يشير إلى عملية تغيير اجتماعي ونفسي وثقافي، ينبع من الموازنة بين ثقافتين في الوقت الذي يجري فيه التكيّف مع الثقافة المهيمنة في المجتمع.

ويورد مدخل المصطلح على ويكيبيديا أنّ هناك اليوم أكثر من مئة نظرية في المثاقفة في مجالات علم النفس، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وغيرها. ومعظم هذه النظريات تبحث في تكيّف الثقافات الأقلوية، أو الفرعية، أو الهامشية مع الثقافات المهيمنة. وأظن أنّ معظم هذه النظريات تتناول المجتمعات الواحدة التي تحتوي ثقافات أخرى بسبب نتائج الاستعمار والهجرة وأسباب أخرى.

لكن أعتقد أنّ ما يعنينا هنا هو فعل المثاقفة الذي يحدث بفضل الترجمة، بمعنى التبادل بين ثقافات مختلفة ولغات مختلفة.

وهنا تنشأ من جديد قضية الثقافة المهيمنة واللغة المهيمنة بالمقارنة مع اللغات والثقافات الأخرى. هل هي علاقة تبعية؟ أو هي علاقة تأثير وتأثّر في الوقت نفسه؟ وهل هذه العلاقة ثابتة أو متغيّرة بتغيّر الظروف التي تجعل ثقافة ما في دور المؤثّر في حقبة زمنية معينة وفي دور المتأثّر في حقبة زمنية أخرى؟

إنّ إلقاء نظرة سريعة على تاريخ التفاعل الأدبي، على سبيل المثال، بين الثقافات المهيمنة والثقافات الأقل تأثيراً يُظهر أنّ الأخيرة تمكّنت من إحداث آثار واسعة وعميقة في الثقافة المهيمنة، وفي مراحل زمنية مختلفة.

قد لا يكون هناك خلاف كبير حول فرضية أنّ اللغة الإنكليزية، والثقافة المرتبطة بها، بدأت بفرض هيمنة طاغية منذ نشوء الإمبراطورية البريطانية وتوسُّعها، وصولاً إلى تحوّل الهيمنة من بريطانية إلى الولايات المتحدة. وهنا يمكن أن يستنتج البعض أنّ قوة ثقافة ما مستمدة من القوة الاقتصادية والعسكرية للدولة صاحبة هذه الثقافة، أو من قوة بعض الشركات الكبرى المؤثرة ثقافياً، لا من قيمة أصيلة كامنة في هذه الثقافة نفسها. ولذلك بالطبع تداعيات كثيرة نشهد بعضها الآن، من انتشار ثقافة الاستهلاك

والتسطيح والتلوث الفكري، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، على نطاق غير مسبوق، إلى درجة دفعت الكاتب والفنان البريطاني ستيفن فراي إلى وصف صاحب شركة ميتا، مارك زكربيرغ، ومالك إكس، تويتر سابقاً، إيلون ماسك، قبل أيام بأنهما «أسوأ ملوثين في تاريخ البشرية».

لكن، في جميع الأحوال، كان للثقافات المهيمنة أثر لا يُنكر في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة. فجزء كبير من الإنتاج الثقافي العربي، وفي المجالات المختلفة، كان بتأثير مباشر من الثقافة الغربية. وإذا كان بعض هذا التاثير إيجابياً وبعضه الآخر ليس إيجابياً، فإنّ جزءاً من دور المثاقفة يتمثل في اكتساب الخبرة في تمييز الغث من السمين وأخذ ما ينفع وترك ما يضرّ.

هذا عن تأثير الثقافة المهيمنة على الثقافات الأخرى. من جهة أخرى، كان للثقافات غير المهيمنة، تايخياً، أثرٌ حميدٌ في إغناء الثقافة العالمية. فثمة شبه إجماع على الأثر الكبير الذي أحدثته ترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الغربية، سواء من حيث الموضوعات أم من حيث أشكال السرد القصصي.

ونجد أيضاً الأدب الياباني، ولا سيّما أشكال شعرية مثل الهايكو والتانكا، كان له أثر عميق على كتّاب الحداثة الغربيين، مثل إزرا باوند وإرنست همنغواي، وجيمس جويس، وعرّف القراء الغربيين على أشكال شعرية جديدة، وجماليات النمنمة، والتركيز على التجربة الذاتية.

واستكشف كتّاب إسكندنافيون مثل كنوت هامسون، وسورين كيرغيغارد، وهنريك إبسن، وأغوست ستراينديبرغ موضوعات الوجودية، والفردانية والنقد الاجتماعي. وأثّرت أعمال هؤلاء في كُتّاب وفلاسفة غربيين رئيسين، مثل جان-بول سارتر، وألبير كامو، وفرانز كافكا.

وطوّر كتاب أميركا اللاتينية، مثل غابرييل غارسيا ماركيز، وإيزابيل أليندي، وخوليو كورتازار رواية الواقعية السحرية بمزج الواقعية مع الفانتازيا، فأحدثوا بذلك تياراً عالمياً ألهم الكتّاب الغربيين باستكشاف أنماط سرد غير تقليدية وتحدي

أنماط القص التقليدية.

حتى الأدب الروسي، الذي يُعَدُّ حديث النشأة بالمقارنة بالآداب الغربية، أحدث تأثيراً هائلاً في الثقافة الغربية، رغم أنّ غالبية الكتّاب الروس المعروفين، مثل تولستوي، ودوستويفسكي، وتشيخوف، وبوشكين، وليرمونتوف، وتورغينييف، كتبوا في القرن التاسع عشر فحسب.

ما أردت قوله هو أنّ طريق المثاقفة، التي نفهمها بمعنى التأثر والتأثير، التعلُّم والتعليم، طريق في اتجاهين، إذا توفّرت الطاقة الإبداعية اللازمة، وينبغي بالتأكيد ألا ينحصر في تلقي آداب الآخر وعلومه وتمثّل ثقافته دون مساءلة.

تحية لجميع المترجمين، والسوريين منهم على نحو خاص، لدورهم المحوري في عملية المثاقفة.

شكراً لكم.

رسالة المترجمين السوريين
في اليوم العالمي للترجمة ٢٠٢٤/١٠/١٦

تلقيها: آلاء أبو زرار

معالي وزيرة الثقافة السورية السيدة الدكتورة ديالا بركات..

السادة الحضور الأفاضل..

باسمي وباسم المترجمين السوريين نحييكم أطيب تحية، ونشكر حضوركم من كتّاب ومترجمين وناشرين وإعلاميين ودارسين، في هذا الصرح الحضاري الذي يجمعنا في كل عام للاحتفال باليوم العالمي للترجمة.

يقال إنّ الترجمة هي صدى الكلمات يتردد في كل الأصقاع، فيمنحها جوازَ سفرٍ أبدياً، كيلا تبقى حبيسة جدران لغتها الأصلية. أما عن تلك الكلمات التي لم تحظ يوماً بنصيبها من الترجمة، فسيخبو نورها مثل نجم منسيّ. فالترجمة فعل حضاري تمارسه الأمم منذ فجر التاريخ لتقريب البعيد ولفهم كل جديد ولفتح مدارك وآفاقٍ أكثر اتساعاً في وعي الأمم. ومن المعروف أنّ حركة الترجمة تُعدُّ أحد معايير تطور الأمة ونهوضها فكرياً وإنسانياً.

واحتفاءً بهذه المناسبة العالمية، أطلقت الأمم المتحدة في هذا العام شعارها الذي يقول: إنّ «الترجمة فنّ متكامل علينا حمايته». ولا بُدَّ أنّ الرؤية العالمية للترجمة على أنها فنّ تتماشى تماماً مع مدارس الترجمة السورية التي يمتزج فيها العلم بالفن بتوليفة تصنع مترجماً يبتعد عن الحرفية، ويقدّم أفضل ما لديه من أمانة ومهنية وأصالة.

وفي سورية عملت الهيئة العامة السورية للكتاب منذ سنوات عدّة على دفع عجلة

الترجمة، وعلى تشجيع المترجمين لتقديم أعمالهم بأبهى حلّة من خلال المشروع الوطني للترجمة الذي يقدّم سنوياً عنوانات رائدة ومتنوعة ومن لغات مختلفة.

فالمترجم السوري قادر على ترك بصمته أينما حلّ والمكتبات العالمية والعربية تشهد على نصوص ترجمت بكل براعة بأيادٍ سوريّة خالصة ومخلصة لرسالة الترجمة السامية. ولم يتوقف عطاء المترجم السوري على الرغم من كل الصعوبات التي طالت مسيرته في سنوات الحرب، فظل سباقاً في جميع فروع الترجمة التحريرية منها والسمعبصرية وصولاً للترجمة الفورية.

شكراً لكل من يعمل من أجل الترجمة من اللغة العربية وإليها، مهما اختلفت وتنوّعت الاختصاصات من كتّاب ومترجمين ومدققين لغويين وناشرين. والتقدير الكبير للجنود المجهولين، ألا وهم المعلمون الذين أمضوا حياتهم في تأهيل أجيال واعدة من المترجمين.

دمتم ودامت سورية في رعاية الله وحفظه.

وكل عام وأنتم بخير ...

❖ ❖ ❖

هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة

محمد نجدة شهيد

مقدّمة

يجري في كل عام الاحتفال بيوم الترجمة العالمي في جميع أنحاء العالم. وقد حددت منظمة الأمم المتحدة مثل هذا اليوم يوماً دولياً لهذه المناسبة يُصادف يوم وفاة القديس جيروم، شفيع المترجمين، كما خصصت يوماً كلَّ عام لإحدى اللغات الرسمية الست للمنظمة: العربية والصينية والإنكليزية والفرنسية والروسية والإسبانية. والغرض من ذلك، الاحتفال بالتعدد اللغوي والتنوّع الثقافي، وتعزيز الاستخدام المتساوي لهذه اللغات.

ويُنظر إلى هذا الاستخدام المتعدد اللغات في منظمة الأمم المتحدة باعتباره قضية تتعلق بحقوق الإنسان اللغوية، ولكون اللغة تشكلُ جزءاً أساسياً من الوجود الإنساني ويجب احترامها لضمان احترام التنوع الثقافي والمساواة. ولذلك لا يجري منحُ امتيازٍ خاصٍ لأي لغة معينة. ونجد ذلك أيضاً في الاتحاد الأوروبي الذي يتبنى جميع لغات الدول الأعضاء تقريباً كلغات رسمية.

لقد تعرف البشر من خلال اللغة على العديد من الحضارات القديمة وتاريخها مثل الحضارة السومرية والمصرية والبابلية، إذ دُونت تلك الحضارات من خلال الرسومات والكتابات التي وجدت على جدران آثارها؛ فقد حفظت اللغة هوية تلك الحضارات، التي لولاها لاندثرَ تاريخهم مع أفول حضاراتهم.

وشكّلت الترجمة، أي نقل نص من لغة إلى لغة أخرى مع الحفاظ على المعنى والأسلوب، آلية اعتمدتها الشعوب على مدى العصور للتواصل الحضاري والثقافي

للتعريف بتراثها وآدابها وتقاليدها. فالشعوب غير متطابقة ثقافياً، ولكل شعب خصوصيته التي تمايزه عن غيره. وهذا الاختلاف لا يُلغي بالطبع وجود أواصر إنسانية مشتركة. إنها تفتح الباب أمام انتقال هذا التراث الذي كان سيظل منعزلاً عن بقية العالم لولا ذلك. على سبيل المثال، مشاهدة أحدث فيلم كوري في قناة اليوتيوب أو قاعة السينما. دون الترجمة، سيبقى في كوريا، ولا يسعنا إلا أن نتساءل عن مدى روعته وجاذبية موسيقا البوب الكورية.

وتكتسب ترجمة النصوص الدينية المقدسة، التي تُعَدُّ الهوية التعريفية لأتباعها، أهمية خاصة نظراً لدورها في معرفة وفهم الآخر والتعامل معه، ولكون الدين حاجة كيانية للإنسان ليتمكن من حل مشاكله مع الآخرين ومن التصالح مع الموت.

وفي هذا السياق، تصبح المثاقفة مع الآخر الناتجة عن اتصال ثقافتين تتأثر وتؤثر إحداهما في الأخرى، أمراً حتمياً تفرضه طبيعة الحياة المعاصرة السائرة نحو التحاور والتقارب بين الشعوب والحضارات، ووسيلتها في ذلك الترجمة حيث تبلغُ المثاقفة أنجع درجاتها حينما تتخذ شكل التواصل الثقافي بين عملين ثقافيين متعاصرين، كما يحدثُ الآن بين الدول الأوروبية؛ إذ ما يكاد يصدر كتاب في إحدى لغاتها حتى تسارع الدول الأخرى إلى ترجمته إلى لغاتها الوطنية.

تستعرض هذه الورقة محور هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة. وأنا لا أزعم هنا إضافة أي رؤية جديدة أو الكشف عن أي معلومات جديدة؛ فهناك كثيرٌ من المؤهلين على نحو أفضل مني بكثير للقيام بذلك. أنا أهدف فقط إلى استعراض وجهات النظر السائدة حول هذا الموضوع/المحور على نحو مختصر ومتسلسل ودون استطراد.

تاريخ اللغة الإنكليزية

يجري الاحتفال بيوم اللغة الإنكليزية في يوم ٢٣ نيسان من كل عام، الذي يُعدُّ أيضاً يوم ميلاد وتاريخ وفاة الشاعر والكاتب المسرحي العالمي وليم شكسبير، الذي تُشكّل أعماله أول استخدام مسجل لأكثر من ١٧٠٠ كلمة في اللغة الإنكليزية، ولّد كثيراً منها الكاتب المسرحي نفسه. ويُرَوِّج هذا الاحتفال لتاريخ وثقافة اللغة

الإنكليزية كلغة هجينة ترتبط بغيرها من اللغات ومكوّنة من مزيجٍ يضم عناصر لاتينية وألمانية ورومانية.

ويُمكن تتبع أصول اللغة الإنكليزية إلى نحو عام ٤٥٠ بعد الميلاد حين غزت بريطانيا قبائل أنكلو ساكسونية من الشعوب الجرمانية في أثناء الاحتلال الروماني، التي جاءت في الأصل من منطقة شمال ألمانيا والدنمرك الحالية. جلبت هذه القبائل الجرمانية لغتها الخاصة معها، ثمَّ تطورت في النهاية إلى ما نسميه الآن اللغة الإنكليزية القديمة.

كانت اللغة الإنكليزية القديمة لغة مختلفة تماماً عن اللغة الإنكليزية الحديثة. كانت أشبه باللغة الهولندية أو الألمانية ولن نتمكن من تعرّفها تقريباً اليوم. ومع ذلك، فقد أرست الأساس للغة التي نتحدث بها اليوم. تأثرت اللغة الإنكليزية على مر القرون بعدد من اللغات الأخرى، بما في ذلك اللاتينية والفرنسية والهولندية وغيرها. وقد ساعدت هذه التأثيرات في تشكيل المفردات الغنية والمتنوعة للغة الإنكليزية التي هي عليها اليوم.

كانت إحدى أهم الفترات في تاريخ اللغة الإنكليزية هي عصر النهضة، الذي امتد بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر. وقد كانت فترة من الإنجازات الفنية والفكرية المتميزة شهدت إحياءً لدراسة اللغات الكلاسيكية مثل اللاتينية واليونانية. في هذا الوقت، جرى استعارة كثير من الكلمات الجديدة من اللاتينية واليونانية، وبدأ استخدامها في اللغة الإنكليزية. ساعد هذا في تشكيل أساس اللغة الإنكليزية الحديثة.

واصلت اللغة الإنكليزية تطورها على مر القرون، وبدأت بالانتشار في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على وجه التحديد. وكان أول تغيير جذري مع الثورة الصناعية، التي بدأتها بريطانيا في القرن الثامن عشر. فقد تقدمت البلاد بسرعة في مجال العلوم، واخترعت تقنيات جديدة وكلمات جديدة لمفاهيم جديدة، وكان من الطبيعي أن يتعلم أي شخص مهتم بمواكبة هذه التطورات اللغة الإنكليزية.

هيمنة اللغة الإنكليزية

كان الاستعمار البريطاني أحد الأسباب الرئيسية لهيمنة اللغة الإنكليزية في العالم. ذلك لأن بريطانيا في صورة الإمبراطورية الاستعمارية التي لا تغيب عنها الشمس، كانت تحكم ثلث مساحة العالم التي يقطنها ربع سكان العالم، فكان هذا الاستعمار كفيلاً بفرض الإنكليزية لغة وثقافة في تلك البقاع الشاسعة. في الواقع، حين فرضتْ بريطانيا سطوتها الاستعمارية على العالم، حرصتْ على فرض ثقافتها أيضاً وعلى رأسها شكسبير الذي باتت أشعاره وأعماله المسرحية مقرراً إلزامياً في كل المستعمرات حتى عمّت شهرته الآفَاق لدرجة أنّ عدم الإلمام بحبكة إحدى مسرحياته يُعَدُّ في الغالب مدعاة للشعور بالحرج.

وجاء ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة سياسية كبرى في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ليعزز هذه الهيمنة حتى يومنا هذا. كان العالم بعد الحرب العالمية الثانية عالماً ضعيفاً ومتغيراً، وكانت الشركات الأمريكية مزدهرة وبدأت في التجارة في جميع أنحاء العالم، كما فعلت بريطانيا الاستعمارية في القرن السابق. وقد أدى ذلك إلى استخدام اللغة الإنكليزية كلغة تجارية عالمية.

وحتى بعد أن نالت الدول استقلالها في جميع أنحاء العالم، سعت بريطانيا لتصدير الثقافة الإنكليزية في اللغة، عن طريق إنشاء رابطة دول الكومنولث عام ١٩٣١، وهي رابطة ثقافية سياسية بامتياز، تضم كل الدول التي استعمرتها في الماضي، وقدمتْ، ضمن أمور أُخرى، عرضاً بإلغاء الدين العام على هذه الدول مقابل أن تضمن حكوماتها حماية اللغة الإنكليزية وضمان تفوقها على ما سواها. وفي هذا المسعى لا تزال بريطانيا تخصص ميزانية سنوية كبيرة لنشر اللغة الإنكليزية من خلال برامج لغوية في هيئة الإذاعة البريطانية وغيرها. وليست بريطانيا حالة استثنائية، فقد أنشأت فرنسا الرابطة الفرنكوفونية للهدف نفسه في عام ١٩٧٠ تضم أيضاً كل الدول التي استعمرتها في الماضي.

ويُمكن أن نستذكر هنا مقولة لويس جان كالفي عالم اللغويات الاجتماعية

الفرنسي في كتابه المعنون «حرب اللغات والسياسات اللغوية» الصادر عن المنظمة العربية للترجمة في بيروت في عام ٢٠٠٨، حين قال: «إن الإمبريالية الأمريكية تنشر لغتها عن طريق فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية، وأما فرنسا فهي على عكس ذلك تنشر لغتها وثقافتها لكي تستطيع فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية، فاللغة هنا في مركز القيادة، وأما السياسة والاقتصاد فتابعان، ونتيجة لا وسيلة. طريقان للهيمنة ولنفي أو قمع الذات الأخرى يمران عبر اللغة».

في الواقع، هناك أشياء مثيرة للاهتمام حول خصوصيات اللغة الإنكليزية التي يرى فيها الكثيرون وسيلة مفضلة للتواصل عبر الثقافات العالمية، فهي تتميز بالمرونة المتمثلة في التنوع الكبير في المفردات التي تزداد يوماً بعد يوم مع توسع العولمة، كما أن ظهور الإنترنت أسهم في كثير من هذه الإضافات الجديدة، وكذلك الاختراعات والتقنيات الجديدة الأخرى.

ومع استمرار العالم في التطور، تزدادُ الكلمات المستعارة وتكتسب الكلمات القديمة معانيَ جديدةً. ويتضمن أحدث تحديث لقاموس أكسفورد لشهر آذار الماضي أكثر من ألف كلمة وعبارة ومعانٍ جديدة ومنقحة، وأصبح القاموس يحتوي اليوم على أكثر من مليون كلمة، منها أكثر من ربع مليون كلمة مختلفة، وثلاثة أضعاف هذا الرقم معاني مختلفة لهذه الكلمات. وهذا عدد كبير من الكلمات! إنها لغة فيها كلمة لكل شيء تقريباً، وإذا كان هناك شيءٌ لا يُمكن قوله باللغة الإنكليزية، فإن الكلمة تُؤخذ من لغة أخرى مثل«رياض الأطفال».

وهكذا أصبحت اللغة الإنكليزية لغة التجارة والعلوم والسياسة، وجرى تبنيها كلغة رسمية في كثيرٍ من البلدان الأخرى حتى بعد الاستقلال. وهي في صعود دائم مقارنة بلغات دول أُخرى بسبب الهيمنة السياسية والثقافية والعلمية والاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية.

ويُقدِّر المجلس الثقافي البريطاني عدد الناطقين باللغة الإنكليزية بنحو ملياري شخص، أي ما يقرب من ربع سكان العالم، منهم فقط نحو ٤٠٠ مليون شخص

يتحدثونها كلغة أم. وهي تحتوي على العديد من اللهجات الإقليمية، مثل الإنكليزية البريطانية، والإنكليزية الأمريكية، والإنكليزية الأسترالية، وما إلى ذلك، ولكل منها تعبيراتها ومصطلحاتها الخاصة.

وهناك أشكال جديدة أخرى من اللغة الإنكليزية نظراً لأنّ كثيراً من الناس يتحدثونها كلغة ثانية أو ثالثة، وهذه الأشكال الهجينة تنتشر بكثرة وتربط عناصر من اللغة الإنكليزية ببعض العناصر من اللهجات المحلية. ففي الهند وحدها (الهندية-الإنكليزية) و(البنغالية-الإنكليزية) و(التاميلية-الإنكليزية).

وفي الولايات المتحدة، يتحدث كثير من الأمريكيين من أصل إسباني، الذين تعود جذورهم إلى أمريكا الوسطى والجنوبية، الإسبانية ـ الإنكليزية. واخترعت سنغافورة نوعاً جديداً بالكلية من اللغة الإنكليزية يُسمى«السنغافورية الإنكليزية» التي استوعبت جوانب من لغات أُخرى مثل الصينية والملاوية. فاللغة هنا ليست مجرد وسيلة للتواصل. بل هي أيضاً تعبير عن الهوية، تُخبرنا بشيء عن شعور الشخص بهويته.

وفي مقاله كتبها سلمان رشدي في عام ١٩٩١ بعنوان «أدب الكومنولث غير موجود» ونَشرها ضمن مجموعة «أوطان مُتَخَيَّلة»، قال رشدي إنّ «اللغة الإنكليزية لم تعد الملكية الوحيدة للإنكليز منذ بعض الوقت». ويتعزز اعتقاد رشدي هذا بحقيقة أنه حتى بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، تظل اللغة الإنكليزية، من خلال المتحدثين بلغة ثانية، «اللغة الأكثر انتشارًا في أوروبا». وفي الاتحاد الأوروبي الذي لا توجد فيه بريطانيا، يتحدث عدد أكبر من البلدان باللغة الإنكليزية مقارنة بالألمانية أو الفرنسية!

وهناك عوامل أُخرى، بجانب الاستعمار البريطاني وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى، أسهمت في تحقيق هذه الهيمنة وتعزيزها في كل المجالات عبر العالم مثل ظهور الإنترنت في الولايات المتحدة الذي شكل ثورة في عالم الاتصالات، ونشوء شبكة البيانات التي لا يُمكن للعالم اليوم الاستغناء عنها. ومن

الملاحظ في هذا الصدد أن ٨٠ بالمئة من الصفحات الموجودة في هذه الشبكة باللغة الإنكليزية و٢٠ بالمئة تتقاسمه لغات العالم.

كما أسهمت العولمة أيضاً في هيمنة اللغة الإنكليزية التي تُلغي الخصوصية اللغوية والهوية الثقافية والشخصية الحضارية للأمم، وتروج لأسطورة الثقافة العالمية الواحدة ودمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد، أو قرية صغيرة. وتسعى عن قصد أو دون قصد إلى محاولة إلغاء خصوصيات الثقافات، أي إلغاء للهوية التي تميز شعباً من شعبٍ آخر، وإلغاء للحضارة والفكر واللغة لصالح اللغة والثقافة الإنكليزية.

كما أسهمت أيضاً أشهر الجامعات الأوربية والأمريكية مثل أوكسفورد وكامبريدج في تعزيز هيمنة اللغة الإنكليزية حين أصبحت بوابة لنشر اللغة الإنكليزية، وأداة لتوطيد سطوتها كلغة عالمية أولى لكون المناهج الدراسية فيها تعتمد على اللغة الإنكليزية، وتتمتع هذه المؤسسات بقدرات مادية كبيرة، إما من خلال رفع مستوى الرسوم الدراسية، وإما من خلال دعم حكومي مباشر. وأصبحت اللغة الإنكليزية هي اللغة المهيمنة في البحث أو التعليم. ويكفي أن ننظر للدول التي لا تتحدث الإنكليزية كلغة أم لنجد أن نسبة النشر العلمي فيها بلغتها الأصلية لا تكاد تذكر. فعلماء اليوم في كثير من بلدان العالم يضطرون إلى تعلم الإنكليزية واعتمادها في منشوراتهم العلمية، إذ لم تعد القاعدة في جميع أنحاء الأوساط العلمية اليوم هي «النشر أو الاندثار»، بل بالأحرى «النشر بالإنكليزية ... أو الاندثار».

وفي هذا السياق، يستعرض المؤرخ مايكل غوردين أستاذ التاريخ في جامعة برينستون الأمريكية في كتابه «بابل العلمية: كيف كان العلم قبل وبعد الإنكليزية العالمية» الصادر عن دار نشر جامعة شيكاغو في عام ٢٠١٥ كيف أصبحت اللغة الإنكليزية هي اللغة المشتركة للعلم الحديث، وما يعنيه هيمنة لغة واحدة. وكيف يبيّن التاريخ أن اللغة اللاتينية كانت ذات يوم لغة شبه عالمية تقريباً للعلم والدراسة في أوروبا الوسطى والغربية؛ ثُم أفسحت اللاتينية الطريق لـ «بابل العلمية»، كما يُسميها

المؤلف، حيث ظهرت الأبحاث بلغات وطنية عديدة. فقد ظهرت من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٩١٠ أعدادٌ متساوية تقريبًا من المنشورات باللغات الألمانية والفرنسية والإنكليزية، وتجاوزت الألمانية الإنكليزية بحلول عام ١٩١٠. ويقول غوردين إنه لولا تداعيات الحرب العالمية الأولى، لكان من المحتمل أن تكون الألمانية هي اللغة المستخدمة في الأوساط العلمية. وظلت اللاتينية لغة دولية للمعاملات الدبلوماسية حتى القرن السابع عشر، إذ حلت محلها الفرنسية كلغة دولية، ثم الإنكليزية.

ويرى غوردون أن هناك اختلافاً واضحاً بين التبادل العلمي الذي استعان باللغة اللاتينية وبين التبادل العلمي الذي تهيمن عليه الإنكليزية اليوم بقبضة لا تلين. إذ لم يكن من الصعب على الباحثين والفلاسفة الطبيعيين منذ القدم أن يُدركوا صعوبة التغلب على حاجز اللغة. فجرى اقتراح حل ساندته كل الثقافات لأنه لم يعطِ مزية لواحدة منها على الأخرى، وهو اختيار اللاتينية كلغة للوسط العلمي، ولتسجيل البحوث العلمية والرسائل الأكاديمية والمجلدات الضخمة، وذلك لأنها لم تكن تنتمي إلى أمة أو عرق أو دولة محددة، فقد كانت «محايدة»، ومتاحة للجميع.

وبذلك لم تكن اللغة اللاتينية اللغة الأولى لأحد، ويصفها غوردن في كتابه بأنها لغة ناقلة للفكر/للعلوم فقط. فقد تحدث كل مستخدمي اللاتينية لغة أم غيرها، واستخدموا تلك اللغة الأولى في كل مجريات حياتهم اليومية والبحثية. فكانت وظيفة اللاتينية لغة تنظيمية/مكتبية تُفيد التسجيل فقط حتى يتسنى لشعوب اللغات الأخرى الاستفادة منها والحديث أو التطوير عليها في لغتهم الخاصة.

ويؤكد غوردون أن اللغة الإنكليزية تُعَّد اليوم لغة العلوم. وبغض النظر عن اللغات التي يعرفها المرء، إذا كان يُريد أن يُرى عمله ويُدرس ويُستشهد به، فهو بحاجة إلى النشر باللغة الإنكليزية. ولكن هذا لم يكن الحال دائماً. فرغم وجود وقتٍ كانت فيه اللاتينية تهيمن على المجال، كان العلم لقرون من الزمان مشروعاً متعدد اللغات، يجري العمل به بعددٍ من اللغات التي كانت أهميتها تتزايد وتتراجع بمرور الوقت - حتى ظهور اللغة الإنكليزية في القرن العشرين.

لقد حققت اللغة الإنكليزية في العقود الأخيرة من القرن العشرين هيمنة شبه

كاملة في النشر العلمي. ويَصدر اليوم ٩٠ بالمئة من الأبحاث باللغة الإنكليزية. إن العلماء اليوم عبارة عن مجتمع أحادي اللغة، يستخدمون اللغة الإنكليزية فقط ـ ولكن صعود اللغة الإنكليزية لم يكن حتمياً على الإطلاق ولم يكن إلا حديثاً جداً.

وهكذا كان العالم الذي سيطرت عليه اللغة اللاتينية عالماً متنوعاً بتعريفه. أسفرت ممارسة الجميع للبحث الفلسفي والعلمي عن تعددية لغوية عميقة. لم تستطع ثقافة ما ادعاء أنها المسيطرة على العلم أو أنها أصل العلم. إذ جرى قطاع كبير من البحث المعرفي بالإغريقية القديمة ثم العربية والصينية، وظلت اللاتينية كلغة حلقة وصل إجبارية يُهمَل كل ما عداها.

لكن النظام المتزن بدأ في الانهيار في القرن السابع عشر حين اتجه العلماء إلى لغتهم الأم في إعداد أبحاثهم العلمية وقضوا بذلك على التعددية اللغوية في التواصل بين الأمم. فقد نشر غاليليو بالإيطالية ونيوتن بالإنكليزية بعدما نشر كلاهما وغيرهما الكثير باللاتينية في البداية لضمان تعرُّف الباحثين الآخرين أعمالهم الأولى.

ومع تراجع اللغة اللاتينية ، أصبح سباق اللغات يعتمد على النشاط العلمي لكل أمة وعدد باحثيها. وهكذا قُدِّرَ للألمان والفرنسيين أن يكونوا في المقدمة مع الألمانية محققة الصدارة، وبدا من الواضح أن الألمانية ستصبح لغة العلم لولا أن الألمان أثاروا حفيظة أوروبا بمعدلات نمو بدت خارقة آنذاك. وبعد الحرب العالمية الأولى ومحاولة ألمانيا للتموضع كقوة عظمى ومنافس حقيقي على عدة أصعدة خاصة العسكرية منها، اتضح للقوى العظمى أن إضعاف الألمان عليه أن يمتد إلى اللغة كما حدث اقتصادياً وعسكرياً.

وهكذا بدأت مقاطعة الألمانية في مختلف بقاع العالم التي سيطر عليها الحلفاء المنتصرون، ووصل الأمر إلى منتهاه في الولايات المتحدة التي في سعيها الخاص لتنفيذ ما حلمت به ألمانيا، شعرت أن عليها حماية نفسها إلى أقصى حد. فعمدت، ضمن إجراءات أخرى عديدة، إلى منع الحديث بالألمانية في الأماكن العامة حيث عاش الكثير من ذوي الأصول الألمانية، كما مُنع النشر بالألمانية، والانفصال عن كل

ما يمت للألمانية بصلة. ثم بدأت النازية بالصعود لتصبح الوصفة كاملة للقضاء على مستقبل الألمانية كلغة العلم الموحد، وبداية طريق الإنكليزية لاقتناص هذا الدور.

أخذ الحلفاء على عاتقهم، بعد التخلص من روسيا مبكراً بسبب عقيدتها الشيوعية والحرب الباردة، الترويج للغة الإنكليزية كحل لمشكلة عدم دراية الباحثين بمنشورات زملائهم في الدول المختلفة باللغات الأخرى، لكن الغاية كانت خلقَ علمٍ يتحدث لغتها لا مجرد لغة موحّدة.

وقد تحقق هذا الهدف بمرور الزمن لكنه أسفر عن تداعيات لم يُلقِ أحد إليها بالاً قبل ذلك. قُدمت الإنكليزية كوسيلة لتوفير الوقت والجهد في التواصل وضمان معرفة الجميع بالحديث والمتقدم. وأصبح يتعين على معظم سكان العالم تعلم الإنكليزية كلغة ثانية قبل التفكير في تعلم أي لغة أخرى. وكما قال غوردون في كتابه ،إن لم تتحدث الإنكليزية فلن يسمعك أحد.

ويكشفُ كتاب «صعود اللغة الإنكليزية: السياسة العالمية وقوة اللغة» لروزماري سالمن مُدرِّسة القانون في كلية الحقوق بجامعة سانت جون بنيويورك، والصادر عن دار نشر جامعة أوكسفورد في عام ٢٠٢١، النقاب عن الحروب اللغوية التي تدور رحاها في أنحاء العالم، وعن المخاطر السياسية والاقتصادية والثقافية الكامنة وراء هذه الحروب، وإظهار أن اللغة الإنكليزية هي المنتصر حتى الآن.

وحتى في فرنسا، حيث تُعَدُّ مواجهة هيمنة اللغة الإنكليزية هاجساً رسمياً، فإن اللغة الإنكليزية هي المنتصر. جاء في الكتاب أنه على الرغم من أن القانون الفرنسي المسمى قانون توبون، الذي يهدف إلى حماية اللغة الفرنسية وتراثها، يفرض على المحطات الإذاعية بث ٣٥ بالمئة من الأغاني الفرنسية، فإن الـ ٦٥ بالمئة المتبقية تغمرها الموسيقى الأمريكية. ويُغني كثير من الفنانين الفرنسيين الشباب باللغة الإنكليزية. ولاحظت سالمن أنه بموجب القانون، يجب على تلاميذ المدارس الفرنسية دراسة لغة أجنبية، فيتاح لهم ثماني لغات، ولكن ٩٠ بالمئة منهم يختار اللغة الإنكليزية. وعلى الصعيد العالمي، يتعلم اليوم أكثر من خُمس أطفال العالم اللغة الإنكليزية.

ترى سالمن أن سبب هيمنة اللغة الإنكليزية ببساطة يعود لكونها لغة العولمة. وتستفيد اللغة الإنكليزية من الأقليات المهيمنة على السوق المرتبطة عالمياً في البلدان غير الغربية، مثل البيض الناطقين بالإنكليزية في المستعمرات الفرنسية السابقة مثل الجزائر والمغرب، إذ يُنظر إلى التحول من الفرنسية إلى الإنكليزية على أنه مفتاح الحداثة وشكل من أشكال المقاومة ضد ماضي الفرنسيين الاستعماري. ويبدو دور اللغة الإنكليزية في الهند مثير للدهشة حيث يضغط الآباء لتعليم أطفالهم اللغة الإنكليزية، معتبرين ذلك تذكرة للانتقال إلى مستويات أعلى.

وتُعَدُّ اللغة الإنكليزية واحدة من لغات عديدة رسمية في جنوب إفريقيا إلى جانب لغة الإفريكان (الأفارقة البيض)، وعلى الرغم من أن ٩ بالمئة فقط من السكان يتحدثون الإنكليزية كلغة أولى، «تهيمن على كل القطاعات»، بما في ذلك الحكومة والإنترنت والأعمال والإذاعة والصحافة، والإعلانات في الطرقات والموسيقا الشعبية. لكن اللغة الإنكليزية ليست لغة النخبة التجارية والسياسية في جنوب إفريقيا فقط، بل هي أيضاً لغة مقاومة السكان الأصليين لنظام الفصل العنصري الذي هيمن عليه الأفريكان مما منحها أهمية رمزية هائلة.

ويتضمن كتاب سالمن وصف اللغة الإنكليزية باللغة المهيمنة في أنحاء العالم، ويروي تاريخ الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأوروبا ودول ما بعد مرحلة الاستعمار مثل الهند وجنوب أفريقيا من خلال تأثيراتها الاقتصادية والسياسية واسعة النطاق. ويتحدث عن إيجابيات وسلبيات هيمنة اللغة الإنكليزية حيث تزيد من الفرص الاقتصادية للبعض، ولكنها تهمِّش الآخرين.

ولعلّ تعامل الصين مع اللغة الإنكليزية، كما جاء في الكتاب، يُشكل أنموذجاً يستحق الدراسة، فعلى الرغم من أنها تُعدُّ بلداً ناطقاً بالإنكليزية كلغة أجنبية، يشير عمق تغلغل الإنكليزية إلى مستويات من التوطين تجعل الإنكليزية أقرب إلى لغة وطنية ثانية. وأصبحت مقرراً مطلوباً في المدارس الصينية بدءاً من الصف الثالث الابتدائي. وربما يكون عدد الأشخاص الذين يتحدثون الإنكليزية كلغة ثانية في

الصين اليوم أكبر من عدد الأمريكيين الذين يتحدثون بها كلغة أولى حيث يتحدث خُمس الأمريكيين لغة غير الإنكليزية في منازلهم.

وترى سالمن أنه إذا تراجعت اللغة الإنكليزية - وهو ما لا يُمكن التنبؤ به - فمن غير المرجح أن تتغير اللغة السائدة في الأوساط العلمية لكي تصبح اللغة الصينية على سبيل المثال. فهناك لهجات متعددة لهذه اللغة، كما أنه من الصعب أن نتخيل قيام الجهات المعنية في الصين بترجمة المجلات، على سبيل المثال، التي معظمها بالفعل باللغة الإنكليزية إلى الصينية من الغلاف إلى الغلاف، التي يقرؤها المتحدثون الأصليون للغة الصينية ولا أحد غيرهم.

ومن المفارقات هنا، أنه يدرس في مختلف أنحاء أوروبا ما يقرب من ١٠٠ بالمئة من الطلاب اللغة الإنكليزية في مرحلة ما من تعليمهم. وأنه على الرغم من أن الطلاب الأميركيين يلتحقون ببرامج الدراسة في الخارج بأعداد قياسية، فإن معظمهم يختارون أخذ الدروس حتى برامج الدرجات العلمية الكاملة المقدمة باللغة الإنكليزية، وهي إمكانية متنامية خاصة في الجامعات الأوروبية.

والافتراض الواضح هنا هو أن العالم يتحدث الإنكليزية. هذا الافتراض يبدو، كما تقول سالمن، أجوفَ في ضوء الحقائق. وهو افتراضٌ يقوم على فكرة مفادها أن اللغة الواحدة لا بد أن تلائم كل الأغراض، وأن كون المرء أحادي اللغة أمر «طبيعي» إلى حد ما. وهذا شيء يفترضه عادة أولئك الذين يعيشون معظم حياتهم وهم يستخدمون اللغة الإنكليزية، ولكن من الناحية التاريخية، فإن أحادية اللغة تُشكل حالة غير طبيعية. فالتعدد اللغوي «هو الحالة الطبيعية إلى حد ما. وفي معظم أنحاء العالم، التعددية اللغوية هي الحالة الطبيعية للناس».

هذه مجرد بعض الأسباب التي جعلت اللغة الإنكليزية تُصبح اللغة المهيمنة. وهناك بلا شك العديد من العوامل الأُخرى التي ساهمت في هيمنتها. ولكن مهما كانت الأسباب، فمن الواضح أن اللغة الإنكليزية ستبقى مهيمنة على الأقل في المستقبل المنظور كما ترى سالمن.

أثر هيمنة اللغة الإنكليزية في المثاقفة:

المثاقفة هي عملية دمج ثقافتين لخلق فرد ثنائي الثقافة، يُحافظُ الفرد فيها على ثقافته الأصلية وممارساتها ويتعلم أيضاً كيف يتكامل مع الثقافة الأخرى. وتحكم هذه العملية ثلاثة أبعاد رئيسية، وهي: الوعي بالهوية الثقافية، والاعترافُ بهوية الآخر المستقلة، ووضعُ ثقافة في مواجهة ثقافة أُخرى دون التماس أدوات غير ثقافية تنصرُ ثقافة وتحطم أخرى، ودون أن تقع في «التبعية الثقافية» الناجمة على هيمنة لغة ما على اللغات الأخرى كاللغة الإنكليزية في عالم اليوم.

يرى البعض أن عملية المثاقفة هذه ظهرت مع ظاهرة الاستعمار التي عرفتها دول العالم الثالث، وظهور الحركات التحررية التي حاولت التصدي للمستعمر ومقاومته بكل الوسائل المتوفرة لديها. وفي هذا السياق يقول عالم النفس الكندي جون باري المعروف بعمله في مجال تكيُّف المهاجرين والشعوب الأصلية بعد الاتصال بين الثقافات، أن هذه العملية يُمكن أن تُسفر عن أربع نتائج مُمكنة:

١- الذوبان والانصهار: التخلي عن الهوية الثقافية الأصلية وتبني الثقافة المهيمنة.

٢- التهميش الثقافي : التخلي عن الثقافة الأصلية دون الأخذ من الثقافة المهيمنة.

٣ - الانفصال الثقافي : التمسك بالهوية الثقافية الأصلية وترك الثقافة المهيمنة.

٤- الاندماج الثقافي : التمسك بالثقافة الأصلية والتعامل مع الثقافة المهيمنة.

وتُعدُّ الترجمة إحدى أهم وسائل المثاقفة، لأنها تؤدي إلى استيعابِ أكبر قدر مُمكن من المعارف الإنسانية، واكتساب خبرات الآخرين وجعلها أداة في التطور والارتقاء والمنافسة ثم العطاء الحضاري الثري، كما أن الترجمة هي المفتاح الذي تتفادى به الأمم الانغلاق الفكري من جهة، وتتخلص من خلاله من التبعية المطلقة المُفضية إلى الذوبان في الآخر من جهة أخرى. فالترجمة فعل تواصل بين الثقافات، ودائماً ما تنطوي على كل من اللغة والثقافة، إذ تُعبّر اللغة عن الواقع الثقافي وتشكّله على حد سواء. هنا تصبح الترجمة بمنزلة رديف لعملية المثاقفة على اعتبار أن

النص المترجم قادر على تحقيق الاعتراف الثقافي، عكس الإلغاء الثقافي بالآخر، وبواقعه.

واليوم نجد اللغة الإنكليزية لها قوة تؤثر في شكل الثقافات والمجتمعات ومضامينها على نطاق عالمي، وتعزز الهيمنة الغربية، وتهمّش وجهات النظر غير الغربية مما أدى إلى إمبريالية ثقافية مرتبطة بهيمنة اللغة الإنكليزية. ويحدث هذا، على سبيل المثال، لمعظم المهاجرين. فهم يكتسبون لغة البلد المضيف، ويميلون إلى فقدان لغتهم الخاصة من أجل البقاء.

هنا يُصبح مصطلح المثاقفة نسخة ملطفة من مصطلح الاستيعاب. ولعل جهود الغرب في ذلك ترجع إلى الجهود التي بذلتها بريطانيا في أثناء استعمارها لعدة دول في بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. وما فعله الاستعمار الفرنسي في دول المغرب العربي، حتى باتت اللغة الفرنسية منذ ذلك الحين تُعامَل وإلى يومنا هذا تقريباً معاملة اللغة الأولى وكجزءٍ لا يتجزأ من الهوية المغاربية.

زار مسؤول جزائري الخرطوم في الستينيات في لقاء جامع مع نظرائه من الدول العربية، حاول ذلك المسؤول حين جاء دوره في إلقاء الكلمة التحدث باللغة العربية، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً، لم يستطع متابعة حديثه إطلاقاً! فما كان منه إلا أن أجهش بالبكاء على ضياع الثقافة وتبدد الهوية الحضارية، إنه الخوف من فقدان التواصل مع محيطه التاريخي وسقوط الجزائر في الهوة الفرنسية بالكامل، وهو ما يُسميه العالم الكندي باري بالذوبان والانصهار: التخلي عن الهوية الثقافية الأصلية وتبني الثقافة المهيمنة.

إن التمسك باللغة الوطنية هو السبيل الأول لحماية وتحصين هوية أي أمة، مثلما فعل الصينيون حين رفضوا الهيمنة اليابانية إبَّان احتلال منطقة شمال شرقي الصين كلها في عام ١٩٣١، حيث أقامت اليابان فيها دولة منشوريا، ليبدأ بذلك الحكم الاستعماري الياباني الذي استمر ١٤ عاماً؛ فقد حافظوا على لغتهم نظراً لأهميتها البالغة في بناء الأمة والقومية الصينية؛ وإلا لانصهرت هويتها وأصبحت

جزءاً من الهوية اليابانية. وهو ما يُسميه العالم الكندي باري بالانفصال الثقافي : التمسك بالهوية الثقافية الأصلية وترك الثقافة المهيمنة.

وفي هذا السياق، نشرت صحيفة البيان الإماراتية في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٩ مقالة للباحثة المصرية في العلوم السياسية سهير الشربيني بعنوان «مركزية اللغة في الهوية والثقافة» تحدثت فيه، ضمن أمور أُخرى، عمّا أسمته بخدعة المثاقفة، إذ قالت إنّه يُقصد بالمثاقفة القضاء على ثقافة معينة لصالح ثقافة أُخرى، الأمر الذي لا يُهدد لغة الدولة فحسب، بل يُضعف هويتها وثقافتها كذلك، ويؤدي إلى هيمنة لغوية أجنبية واستيعاب ثقافي وتواصل دولي غير متوازن في نهاية الأمر.

وهناك جوانب عديدة بظهر فيها هذا التأثير مثل عدم المساواة اللغوية والتآكل الثقافي حيث تواجه اللغات واللهجات المحلية تحديات في الحفاظ على وجودها وحيويتها. والتفاوت التعليمي والحواجز الاقتصادية حين تخلق متطلبات اللغة الإنكليزية للتوظيف أو السفر الدولي حواجز اقتصادية للأفراد من خلفيات غير ناطقة باللغة الإنكليزية.

وفي المقابل، نجد هيمنة اللغة الإنكليزية تواجه تحديات حقيقية، ولكنها ليست كافية فيما يبدو للحد من سطوتها، من صعود قوى عالمية أخرى كالصين، وتحدث المزيد من سكان العالم اللغة الصينية أو الإسبانية، والابتكارات التكنولوجية التي تعمل على تقليص الحواجز اللغوية، والجهود المبذولة للحفاظ على اللغات الوطنية وتعزيزها، وأنماط الديموغرافية المتغيرة، وتكنولوجيا الترجمة المحُوسبة، وانتشار اللغات الهجينة كما رأينا في الهند وغيرها من البلدان.

ورغم كل ما سبق، لا تزال اللغة الإنكليزية تتمتع الآن بقبضة قوية على مكانتها كلغة مهيمنة. ويرى لويس جان كالفي أنه من الممكن أن تنافس اللغة الإسبانية اللغة الإنكليزية في وقت قريب في الولايات المتحدة نظراً لتنامي الهجرة الهائل إلى هذا البلد من أمريكا الوسطى وكوبا.

وأودُّ أن أشير هنا إلى واقعة زيارة صحفية مصرية لعميد الأدب العربي طه حسين

في بيته لإجراء حوار أدبي. وسرعان ما لاحظت الصحفية أن طه حسين يتحدث مع أفراد أسرته باللغة الفرنسية. استغربت الصحفية هذا الأمر وهو عميد الأدب العربي. فأبدت ملاحظة عابرة حول ذلك رفض على أثرها إجراء الحوار المقرر، بل طردها من بيته.

الفكرة هنا إن عملية اكتساب لغة أخرى لا يعني بالضرورة أن يكون على حساب اللغة الأم. في حالة طه حسين شكل اكتساب لغة ثانية مصدر إثراء للغته الأم من خلال الاطلاع على الكتب التي نشرها المستشرقون عن مواضيع شتى، ومنها عن الحضارة العربية لدرجة قيامه باقتباس البعض مما ورد فيها في كتاباته مما يدل على أن الازدواجية اللغوية اقترنت هنا بالازدواجية الثقافية ، وهو أعلى مستوى ممكن لعملية المثاقفة، الذي يُسميه العالم الكندي باري بالاندماج الثقافي : التمسك بالثقافة الأصلية والتعامل مع الثقافة المهيمنة.

الخاتمة

إن هيمنة اللغة الإنكليزية منذ نحو مئة عام لا ترجع لأنها أفضل من اللغات الأخرى، فقد وصلتْ إلى هذه المكانة بحكم ظروف وأوضاع دولية لها علاقة بالجغرافيا السياسية؛ وإذا كانت هذه اللغة أكثر قدرة على التكيف من اللغات الأُخرى، فهذا يرجع جزئياً إلى عولمتها. فلا توجد صفة جوهرية للغة الإنكليزية تجعلها مناسبة لتكون لغة مهيمنة : فهي ليست «أسهل» من اللغات الأخرى؛ وليست أكثر «منطقية»، كما جاء في كتاب غوردين.

ويبدو أن هذه الهيمنة آمنة في الوقت الحالي، ولا تَظهر أي علامات على تراجع هيمنتها أو استبدالها بلغة مشتركة أخرى في أي وقت قريب. فهي، مثلها مثل بعض اللغات الأُخرى، تتغير باستمرار وتتكيف مع الاحتياجات الجديدة في عالم تحكمه العولمة.

ولكن في الأمد الأبعد، قد يحدث أي شيء، فالعالم يتغيرُ باستمرار، وقد تؤدي التحديات التي تُواجه اللغة الإنكليزية، التي أشرنا إلى بعضها أعلاه، إلى زوال هذه الهيمنة بمرور الوقت، وإلى شروق مستقبل يشهد تعزيز التعددية اللغوية على نحو

تصبح فيه اللغة الإنكليزية واحدة من عدة لغات مهمة في أنحاء عالم يقوم على الاعتراف بحق الشعوب في الحفاظ على ثراء تراثها اللغوي والثقافي، وفي التعايش في ضوء التنوع والاختلاف/والتعددية والخصوصية الثقافية.

وفي ضوء ذلك، تقوم بعض الدول باعتماد إجراءات على الصعيد الوطني كفيلة بمواجهة هيمنة اللغة الإنكليزية وإيلاء ذلك أولوية قصوى بغية حماية لغتها وتراثها الوطني من الاندثار. ففي فرنسا، على سبيل المثال، اعتُمد، كما أشرنا أعلاه، قانون توبون لمواجهة هيمنة اللغة الإنكليزية عبر إجراءات منها، ضمن أمور أُخرى عديدة، الطلب من الفرنسيين الحد من استخدام مفردات اللغة الإنكليزية في كلامهم والدفاع عن لغتهم الأم في وجه سطوة وزحف اللغة الإنكليزية والعادات الأمريكية.

وتعتقد سالمن في كتابها المشار اليه أعلاه أن فرنسا تقوم بذلك سواء ضد الإنكليزية أو ضد غيرها من اللغات، أو فيما يخص سعيها لتصدير الفرنسية ، من أجل حماية الثقافة الوطنية والدفاع عن الهوية والتاريخ وتأمين المستقبل والحفاظ على الخصوصية الحضارية، وضمان المنافسة الثقافية والحضارية على مستوى العالم. وتؤكد سالمن أنّ ما تقوم به فرنسا يُمكن أن تقوم به كل بلدان العالم الأُخرى لتحقيق الأغراض نفسها.

وفي عالم اليوم، تُسهم الترجمة على نحو كبير في تقريب نقاط الالتقاء بين الثقافات المختلفة مما يُفضي إلى تعزيز التواصل بين المجتمعات وإلى قطع عزلتها بعضها عن بعض. ومن هنا يُمكن للترجمة أن تخلق مثاقفة إنسانية تقوم على الاحترام والاعتراف بخصوصية الآخر واختلافه، تتفاعل في إطارها الجماعات والشعوب وتتواصل فيما بينها مما يؤدي إلى نمو المعرفة الإنسانية التي لا تكتمل إلا بذلك.

المراجع

- بابل العلمية: «كيف كان العلم قبل وبعد الإنكليزية العالمية». مايكل جوردين – دار نشر جامعة شيكاغو ٢٠١٥.
- صعود اللغة الإنكليزية: السياسة العالمية وقوة اللغة. روزماري سالومون. دار نشر جامعة أوكسفورد ـ ٢٠٢١.
- موقع قاموس أكسفورد https://www.oed.com/information/updates/march-2024/?tl=true
- أدب الكومنولث غير موجود. سلمان رشدي. ١٩٩١، ضمن مجموعة «أوطان متخيلة».
- حرب اللغات والسياسات اللغوية. لويس جان كالفي. المنظمة العربية للترجمة في بيروت – ٢٠٠٨.
- صحيفة البيان الإماراتية الصادرة بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٩.

❖ ❖ ❖

الترجمة الأدبية: رسول الثقافة والوجدان

مهند محاسنة

في عالم تتسارع فيه وتيرة التقارب والتواصل بين الثقافات، تواصل الترجمة عموماً والترجمة الأدبية على وجه الخصوص تأدية دورها الريادي في زيادة هذا التقارب وتسريع وتيرته. والترجمة الأدبية بوصفها سفيرة المثاقفة بين الأمم والحضارات لا تقف عند نقل الكلمات والنصوص من لغة إلى أخرى، بل هي فنٌّ ينقل أيضاً روح الشعوب المنقول عنها وعواطفها، ويعكس تجاربها الحياتية وفكرها الوجداني العميق، فكل نص أدبي مترجم يحمل في ثناياه تاريخًا ووجداناً وجملةً من الموروثات الثقافية، ويفتح لنا آفاقاً تجعلنا ندرك تجارب إنسانية لم ولن نألفها لولا الترجمة الأدبية.

فلكم أن تتخيّلوا أنفسكم تتجولون في شوارع مدينة لم تزوروها من قبل، حيث يستقبلُكم مزيج من الصور والأصوات والألوان والروائح التي لم تألفها حواسّكم، هذه التجربة تشبه تمامًا ما تقدمه الترجمة الأدبية للمتلقّي، فهي تسافر به بين عواصم الفنون والأدب، فكل عمل أدبي مترجم، سواء كان قصيدة تعكس آلام الشوق أم رواية تسرد ملحمة وطنية، يُعيد تشكيل وعي القارئ، وينقله إلى عالم جديد من الأفكار والعواطف.

ومع تزايد التقنيات الحديثة ووسائل التواصل التي باتت تعزز المثاقفة من خلال اقتراح محتوى من ثقافة أخرى دون أن نبحث عنه، أصبح من الممكن اليوم أن يصل الأدب المترجم إلى جمهور أوسع، مما يزيد من أهمية دوره في تعزيز الفهم المتبادل بين الشعوب. فالترجمة ليست مجرد عملية فنية، بل هي رسالة تحمل معها ثقافة

ولغة وأحاسيس مجتمع كامل. لذا، فإن الترجمة الأدبية تُعَدُّ رسول الثقافة والوجدان، وهي قادرة على تشكيل وعينا الجمعي ومنحنا القدرة على فهم الآخرين بطرق لم تكن ممكنة من قبل.

سنستكشف معاً من خلال هذه المداخلة الأبعاد المختلفة للترجمة الأدبية وتأثيرها العميق في تشكيل الوعي الثقافي والنفسي للمتلقي، وسنسلط الضوء على الحيثية التي جعلت منها جسرًا للتواصل الإنساني عبر الزمان والمكان.

الترجمة وتشكيل الوعي الثقافي

تسهم الترجمة الأدبية على نحو كبير في توسيع آفاق المتلقي الثقافية، إذ تفتح أمامه أبوابًا جديدة على عالم من الأفكار والمفاهيم التي قد تكون بعيدة عنه. ولا يقف دورها عند نقل النصوص الغريبة أو البعيدة عن تجارب المتلقّي، بل هي نافذة تسمح له بالتعرّف على طرق تفكير وتعبير متنوعة، مأخوذة عن ثقافات وشعوب العالم. فحين يقرأ القارئ روايةً مترجمةً، على سبيل المثال، فإنه لا يستمتع بمجموعة من الأحداث والشخصيات فحسب، بل يخوض أيضًا رحلة في عمق أساليب الحياة والتفكير والتكوين النفسي للأمم الأخرى.

فتجعل هذه الرحلة الأدبية القارئ يدرك التنوع الغني الذي يميز الثقافات المتنوعة، مما يعزز لديه وعيًا أكبر بالاختلافات الثقافية، ويتيح له رؤية التحديات والمشاعر التي يواجهها الآخرون. من خلال قراءة الأعمال الأدبية المترجمة، يصبح القارئ أكثر انفتاحًا وتفهمًا للعوامل التي تشكل الهويات الثقافية، ويتعزز لديه إحساس بالإنسانية المشتركة التي تربط بين الشعوب. ومن ثَمَّ، يصبح الأدب المترجم جسرًا يربط بين قلوب الناس وعقولهم، مما يسهم في خلق عالم أكثر تواصلًا وتفاهمًا.

فعلى سبيل المثال، نجد في الأدب العربي المعاصر إشارات ثقافية إلى مفاهيم غربية كلاسيكية، ففي قصيدة «عن إنسان» للشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش، نجده يقول:

«نيرون مات .. ولم تمت روما .... بعينيها تقاتل...

وحبوب سنبلة تجفّ .... ستملأ الوادي سنابل.»

فهنا نرى استدعاءً لرمزية نيرون، الإمبراطور الروماني الذي اشتهر بحرق روما. لكن محمود درويش يشير إلى أن روما لم تمت، بل استمرت في الصمود والقتال. وهذه الإشارة الأدبية تتجاوز الحدث التاريخي نفسه لتصبح رمزًا لمقاومة الظلم والاستبداد، ولم تكن هذه الرمزية الثقافية لتصلنا لولا الترجمة، التي يتمكن من خلالها القارئ من فهم هذه الرموز والاستعارات الثقافية التي تربط بين الحاضر والماضي، وبين الأدب العالمي والمحلي.

أثر الترجمة في تشكيل الوعي النفسي والعاطفي

وإضافة إلى مساهمتها في تشكيل الوعي الثقافي، تؤدّي الترجمة الأدبية دورًا مهمًا في فهم التكوين النفسي والعاطفي لشعوب أخرى، فالأدب المترجم يتيح للقارئ أن يستوعب تجارب شعوب أخرى مع المشاعر الإنسانية المتنوعة مثل الحزن، الفرح، الغموض، والخوف. وهذا النوع من الفهم يُسهم في بناء روابط إنسانية أعمق عبر الثقافات.

على سبيل المثال، حين تُرجمت أعمال أدب الرعب والغموض، ولا سيّما الأعمال الغربية لأدباء مثل ستيفن كينغ وأجاثا كريستي، أضافت هذه الترجمات بُعدًا جديدًا للوعي النفسي والعاطفي للقارئ العربي. ومن خلال هذه الترجمات، تسنّى للجمهور العربي الاطلاع على كيفية تعامل الأدب الغربي مع مشاعر الخوف والغموض، مما ساعد في توسيع مداركهم النفسية والعاطفية.

وفي السياق نفسه، نجد بدر شاكر السياب قد تأثر بأعمال ت. س. إليوت، ولا سيّما قصيدة «الأرض اليباب» التي تُرجمت إلى العربية. ولا يقتصر تأثير إليوت في السياب على الأسلوب الشعري فقط، بل يتعداه إلى فهم أعمق للأزمات النفسية التي كانت تجتاح الغرب في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا الفهم المعمّق جاء نتيجةً لترجمة السيّاب لبعض أعمال إليوت، مثل «رحلة المجوس». فأصبح السياب

يستخدم نفس الرمزية والتفكك النفسي في قصائده للتعبير عن القلق الوجودي الذي اجتاح المشاعر العربية في زمنه، ففي قصيدته الكبرى «أنشودة المطر» يبدأ السياب بوصف ساعة فراقه عن الحبيبة، التي أسبغ عليها خُضرة العينين، التي تغنّى بها بعض شعراء الرومانسية الفرنسيين الذين تأثر بهم إليوت بدوره من خلال الترجمة الأدبية أيضاً. كما يشكّل مشهد الفراق في قصيدة السيّاب معادلاً موضوعياً لفراق روميو للحبيبة جولييت في مشهد الشرفة الشهير في مسرحية شكسبير. وهنا تبرز براعة السيّاب في الإفادة من المثال الغربي وتبنّيه في مثال عراقي بَصري يحتفي بالنخيل ومياه النهر ساعة السَّحَر.

الترجمة بوصفها أداةً لتعزيز التفاهم بين الحضارات

حين نناقش الترجمة الأدبية ودورها المحوري في عملية المثاقفة، يجب أن نضع في اعتبارنا دورها الفاعل في تعزيز التفاهم المتبادل بين الحضارات. فالأدب المترجم لا يقتصر على المشاعر والحالة النفسية للشعوب المنقول عنها، بل يسهم في فهم أعمق للحياة الاجتماعية للشعوب بمختلف جوانبها. فمن نافذة الترجمة، يمكن للمتلقي أن يرى أنماط الحياة والتفكير المختلفة ويعزز لديه الحوار الثقافي، ويجعله أكثر فهماً لعادات الشعوب، فلا يربط بين اقتصاد الأوروبيين والبخل مثلاً، بل يدرك أن طبيعة مجتمعاتهم والقيم التي يتّبعونها لا تحتفي بالكرم حفاوتنا نحن العرب، بل إنهم قد يرون في كرمنا تبذيراً وإسرافاً ينتقدونه كما ننتقد ما كنّا نعتبره بخلاً عندهم لولا الترجمة الأدبية والثقافية.

وعلى سبيل المثال، تُرجمت حكايات «ألف ليلة وليلة» إلى عدة لغات أوروبية، وكانت من أوائل الأعمال الأدبية التي أسهمت في تشكيل نظرة الغرب عن العالم العربي والإسلامي، فمن خلال القصص الملأى بالغموض والسحر والمغامرات، تعرف القارئ الغربي على ثقافة الشرق الأوسط، وتولدت لديه فضول تجاه هذا العالم وتجاه الأدب العربي القديم وتاريخه الغني وثقله الفنّي، فكانت جزءاً من باكورة ما يسمى بـ «الاستشراق الأدبي»، إذ أصبح الشرق موضوعاً للبحث والاهتمام في

الأوساط الأكاديمية والفنية، وبدأت تظهر ملامح تقارب ثقافي بين الشرق والغرب.

في المقابل، أسهمت ترجمة الأدب الغربي إلى العربية بعد الاستعمار في نقل مفاهيم الحداثة والنهضة الفكرية. فكان لكتابات فولتير وروسو، التي تُرجمت إلى العربية في تلك الفترة تأثير كبير في تشكيل الوعي العربي بأفكار الحرية والعدالة والتقدم.

أثر الترجمة الأدبية على الأدب المحلي

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن القول إنّ التفاعل بين الأدب المترجم والمحلي يُثري الأدب المحلي ويطوره. فكثير من الأدباء العرب تأثروا بأساليب وتقنيات جديدة من خلال النصوص المترجمة، مما أسهم في تطوير نتاجهم الأدبي.

وتعدّ قصيدة الأرض اليباب التي تطرّقنا لها آنفاً من أبرز الأمثلة على هذا التفاعل والتي قيل عنها: «لم تؤثر قصيدة من الآداب الأجنبية في العصر الحديث في الأدباء العرب مثلها. وذلك لسببين يعودان للقصيدة نفسها وللشاعر.. فالشاعر كان من رواد الحداثة في الأدب الغربي ومن كبار أعلام النقد الأدبي وكان من رواد الشعر الحر في الشعر الإنجليزي. لقد تأثر به وبمقولاته وأفكاره وقصائده عدد كبير من الأدباء والشعراء والنقاد العرب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ولميعة عباس عمارة ولويس عوض وصلاح عبد الصبور وجبرا إبراهيم جبرا وأدونيس ويوسف الخال ومحمود درويش ويوسف اليوسف وغيرهم».

كما نجد عميد الأدب العربي طه حسين قد تأثر بالأدب الفرنسي بعد أن قضى عدّة سنين في مونبليه وباريس الفرنسيتين وزواجه من السيدة الفرنسية سوزان بريسو التي ساعدته على الاطلاع على الأدب والثقافة الفرنسية والغربية، مما ساعده في إدخال مفاهيم نقدية جديدة إلى الأدب العربي. وأنوّه هنا إلى أن هذا التأثر لم يكن تقليدًا بحتًا للأدب الفرنسي، بل تمثل في إعادة تشكيل الأدب المحلي ليواكب الأساليب النقدية والفنية الحديثة.

الترجمة كوسيلة لنقل التجارب الإنسانية المشتركة

ومن أعظم إنجازات الترجمة الأدبية قدرتها على نقل التجارب الإنسانية المشتركة بين الشعوب. فالأدب ليس مجرد كلمات تصف واقعًا معينًا؛ بل هو وسيلة لفهم الآخر وفهم الذات على نحو أعمق. فمن خلال الترجمة، يمكن للقراء أن يتفاعلوا مع مشاعر وتجارب الآخرين في أماكن بعيدة، مما يعزز الفهم الإنساني العميق.

على سبيل المثال، تُرجمت رواية «دون كيشوت» للكاتب الإسباني ميغيل دي ثيربانتس إلى العربية، التي تُعد واحدةً من أفضل الأعمال الروائية عبر التاريخ، ورآها كثير من النقاد بمنزلة أول رواية أوروبية حديثة وواحدة من أعظم الأعمال في الأدب العالمي. فقد أثرت هذه الرواية في كثير من الأدباء العرب. فأصبحت شخصية الدون كيشوت، الفارس الذي يحارب الطواحين الوهمية، رمزًا عالميًا للنضال من أجل القيم، حتى وإن كانت غير واقعية. هذه الشخصية أثرت على الأدب العربي وأصبحت مثالًا يستخدمه الكتاب العرب للتعبير عن السعي وراء المستحيل. وفي «دون كيشوت» نفسه ملامح من أبطال القصص العربي أمثال «سيف بن ذي يزن» و«عنترة بن شداد» و«الظاهر بيبرس»، وهذا ما يؤكد أثراً واضحاً للثقافة العربية في الأندلس حيث كانت نشأة المؤلف وحياته. مما يجعل هذه الرواية مثالاً عن المثاقفة مزدوجة الاتجاه، إذ تأثر كاتبها بالأدب العربي... وأثّر فيه.

التحديات التي تواجه الترجمة الأدبية: بين الأمانة والإبداع

ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أنّ الترجمة الأدبية لم ولن تكون مهمة سهلة؛ فهي تتطلب توازنًا دقيقًا بين الأمانة للنص الأصلي والإبداع في تقديمه للقارئ بلغة جديدة. فالتحدي الرئيسي يكمن في كيفية الحفاظ على جوهر النص الأصلي وتقديمه بطريقة تناسب السياق الثقافي للمتلقي. وهذا يتطلّب من المترجم الأدبي أن يغوص في أعماق الثقافتين، المنقول عنها والمنقول إليها، على حدٍّ سواء، وأن يتقن تذوّق النواحي الجماليّة للغتين، الذي يعد عاملاً جوهرياً في الترجمة الأدبية على

نحو عام وترجمة الشعر على وجه الخصوص، التي تعد من أصعب أنواع الترجمة، إذ يعتمد الشعر على نحو كبير على الأسلوب الجمالي للغة، مما يجعل من الصعب نقله إلى لغة أخرى دون فقدان جزء من جماليته.

الترجمة الأدبية في عصر العولمة

في عصر العولمة، أصبحت الترجمة الأدبية أكثر أهمية وانتشارًا بفضل التكنولوجيا ووسائل الإعلام. فقد أسهمت الشابكة والنشر الرقمي في تسهيل نشر الأدب المترجم على نطاق واسع، مما أتاح للجمهور في جميع أنحاء العالم الوصول إلى النصوص الأدبية المترجمة بسرعة ويسر.

كما يمكن اليوم للنصوص الأدبية أن تُترجم وتنشر عبر الشابكة في مُددٍ قياسية، مما يعزز التواصل الثقافي السريع بين الشعوب. هذا التطور الرقمي أسهمَ في تقليل الحواجز الزمنية والجغرافية والثقافية بين الحضارات والشعوب، مما زاد من أهمية الترجمة الأدبية وجعلها أداةً أقوى للتواصل الثقافي والوجداني

الخاتمة

تتجاوز الترجمة الأدبية كونها مجرد عملية لغوية؛ فهي تجسّد رحلة فكرية وعاطفية تعبر حدود الزمن والثقافات. فمن خلال النصوص المترجمة، نجد أنفسنا في عوالم جديدة، تحمل معها مشاعر وتجارب شعوب قد تكون بعيدة عنا جغرافيًا أو زمنياً، ولكنها قريبة منا من الناحية الإنسانية والوجدانية. إن الأثر الذي تتركه الترجمة الأدبية في نفوسنا لا يقتصر على المعرفة الأكاديمية أو الاطلاع على عادات وثقافات الآخرين، بل يمتد ليخلق شعورًا عميقًا بالارتباط الإنساني والهويّة الجمعية للبشر. فكل نص أدبي، سواء كان شعراً أم نثراً، يفتح لنا نوافذ جديدة لرؤية العالم من زوايا متعددة، ويجعلنا نعايش الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية المعقّدة التي يعيشها الآخرون. وبهذا تكون الترجمة الأدبية جسرًا يربط بين المجتمعات والحضارات ويعزز من الحوار الثقافي، مما يؤدي إلى بناء فهم متبادل يساعد على تجاوز الفجوات الثقافية والنفسية.

وفي عصر تزداد فيه حدة التحديات والصراعات بين الثقافات، تؤدّي الترجمة الأدبية دورًا بالغ الأهميّة في تعزيز التسامح والاحترام المتبادل، فتمنحنا الفرصة لاستكشاف عواطف وتجارب مشتركة، وتعيد تأكيد وحدة إنسانيتنا، مهما تباينت ثقافاتنا. لذا، يجب علينا أن ندرك قيمة الترجمة الأدبية كوسيلة فاعلة لبناء عالم أكثر تواصلًا وتفاهمًا، إذ يمكن لكل فرد أن يتذوق جمال الأدب ويتشارك تجارب الحياة الإنسانية بأبعادها المختلفة بغض النظر عن اللغة التي ولدَ بها النص الأدبي.

وللوقوف على أهمية دور الترجمة الأدبية في المثاقفة على نحو أكثر دقّةً، لنطرح على أنفسنا السؤال الآتي:

كيف يمكن تحقيق المثاقفة بين مجتمعات متباينة اللغات لولا الترجمة عموماً والأدبية خصوصاً؟ وإذا ما أخذنا بشطر بيت المتنبي "وبضدّها تتميَّزُ الأشياء"، فما علينا إلا أن نتخيّل عالمنا دون الترجمة الأدبية، وما سيكون عليه من جمودٍ وانغلاق على الصعيد الإنساني والوجداني. وبهذا التخيل نستطيع فهم الدور الجوهري للترجمة الأدبية وكونها بحق رسولًا للثقافة والوجدان، فتفتح لنا أبواب الإبداع والتفاهم، وتمكّننا من رؤية العالم من خلال عيون الآخرين، مما يثري تجربتنا الإنسانية، ويعمق فهمنا للأبعاد المتنوعة للحياة.

وفي الختام أشكر حسن استماعكم، وآمل أن أكون قد وفّقت في تبيين أثر الترجمة الأدبية ومترجميها في المثاقفة

ودمتم بكل خير ...

❖ ❖ ❖

دور الترجمة في المثاقفة: الأندلس مثالاً

حسام الدين خضور

هذه الدورة العاشرة لندوة الترجمة التي تقيمها الهيئة العامة السورية للكتاب بالتعاون مع اتحاد الكتّاب العرب والجهات المعنية بالترجمة واللغات في اليوم العالمي للترجمة. لكننا حتى الآن، وعلى الرغم من تنوّع الموضوعات التي أسهمت في تسليط الضوء عليها، لم نستطع أن نقدّم أبحاثاً غنية أصيلة في المسائل التي عملنا عليها، وهي كثيرة ومهمة، والسبب، في رأيي، غياب البحث العلمي. كما تعلمون، البحث العلمي مسألة في صميم عمل الدولة والمؤسسات العلمية: الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث. وستبقى أبحاثنا متواضعة في قيمتها البحثية وغير أصيلة، وتبقى في معظمها أقرب إلى المقالة منها إلى البحث، إنْ لم تدعمها المؤسسات العلمية والتعليمية. وأنا من هذا المكان، وفي هذه المناسبة، أناشد الجهات المعنية أن تعطي البحث العلمي ما يستحق من رعاية. وأضيف كل بحث هو علمي في حقله.

والآن سأقدم لكم نتفاً من هنا، ونتفاً من هناك، ربطت بينها، عساها تطرح شيئاً جديداً ومفيداً في هذا الموضوع، الذي يتطلب بحثاً أوسع وأعمق، ويكون موضوع كتاب غني في المثاقفة في معناها العربي، في مكان وزمان تشكلت فيهما ثقافة لها خصائصها المتميزة أخذت من كل مكوناتها من دون أن يعني ذلك أنه لم توجد غلبة لأحد المكونات، وهو، في بحثي، المكوِّن العربي. من الطبيعي أن أبدأ بتعريف الترجمة التي نكررها دوماً، لكن لا بد من تكرارها لضرورة البحث.

الترجمة:

ربما كان سهلاً أن نعرف الترجمة، وفقاً لمعاجم اللغة، بأنها كلمة على وزن فعللة تعني:

١. نقل كلام من لغة إلى لغة أخرى،

٢. شرح كلام ما وتفسيره،

٣. سيرة حياة شخص ما.

لكنها اصطلاحاً تعني عملية ثلاثية تتكون من لغتين ووسيط بينهما هو المترجم. وهذه عملية مغرقة في القدم.

ميّز الأقدمون شكلين فيها، ما يزالان إلى يومنا هذا، هما: الترجمة الحرفية والترجمة الحرة. لكنهما ارتقتا كثيراً، إلى درجة أن الترجمة الحرفية، ذات السمعة السلبية، صارت ضرورية وأكثر بلاغة وأغنى ثقافة، ولا سيّما في ترجمة المجاز، والكلمات والعبارات ذات البُعد الثقافي.

نحن ميالون إلى التأكيد، الآن، أنّ الترجمة صارت من حاجات الناس اليومية، ولم تعد شغل نخبة ضيقة في المجتمع.

المثاقفة:

هي عملية تفاعل وتبادل ثقافي بين أفراد أو مجموعات من ثقافات مختلفة، تؤدي إلى تبادل أو اكتساب عناصر ثقافية جديدة. تحدث المثاقفة حين يتعرض الأفراد أو المجتمعات إلى ثقافة أخرى، سواء عبر الترجمة، أم الهجرة، أم التجارة، أم الاستعمار، أم التعليم، أم وسائل الإعلام.

في هذه العملية، يمكن أن تتغير جوانب في ثقافة الفرد أو المجموعة الأصلية، مثل اللغة، والعادات، والقيم، والمعتقدات، حيث يجري دمج أو تبني عناصر من الثقافة الجديدة. يمكن أن يؤدي هذا التبادل إلى خلق ثقافة جديدة، أحياناً، تكون مزيجاً من الثقافتين المتفاعلتين. على سبيل المثال، يمكن أن يتعلم المهاجرون إلى بلد جديد لغة هذا البلد ويتبنون بعض عاداته وتقاليده، بينما يحتفظون بعناصر من ثقافتهم الأصلية في الوقت نفسه.

المثاقفة عملية إيجابية تعزز التنوع والتفاهم بين الثقافات، لكنها قد تثير

تحديات أيضاً، ولا سيّما إذا وُجِدت اختلافات كبيرة بين الثقافات المتفاعلة، أو إذا شعر طرف بفقدان هويته الثقافية الأصلية. في الواقع ثمة فروق بين الفهم العربي للمثاقفة والفهم الغربي لها. نحن نفهم المثاقفة أنها تبادل ثقافي إيجابي تعززه الترجمة والتجارة والسياحة؛ أما المثاقفة بالمعنى الغربي فتحدث بطريقة قسرية كانت الحروب والفتوحات والاستعمار عمادها الأساسي؛ وفي رأيي المثاقفة عملية موضوعية نشأت مع الجماعات البشرية، تتطور معها أعطتها العولمة دفعة قوية، لكن التقدم التكنولوجي، ولا سيّما في حقلي الاتصالات والإعلام، يجعل المثاقفة أوسع انتشاراً يسهم فيها الأفراد كما الجماعات قليلاً أو كثيراً. وإذا كانت الترجمة تعرفنا بالآخر، فإن المثاقفة تجعلنا نفهم الآخر. إنهما عمليتان متكاملتان.

الأندلس

الأندلس هو الاسم الذي أُطلق على منطقة في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال الآن) إبان الحكم العربي الإسلامي من عام ٧١١ إلى عام ١٤٩٢. في هذه الفترة، كانت الأندلس مركزاً حضارياً وثقافياً مزدهراً، ازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب، وبرزت فيها مدن مثل قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة وطليطلة عواصم للعلم والثقافة.

لكن قبل المضي في الحديث عن تأثير الترجمة في المثاقفة في الأندلس، أود أن أشير إلى اختلاف الترجمة في المشرق (بغداد) عنها في الأندلس (ولا سيّما طليطلة). كانت الترجمة في المشرق إلى العربية، ورعاها العرب، أما الترجمة في الأندلس، فكانت من العربية إلى اللاتينية والقشتالية والعبرية، ولغات أوروبية أخرى، برعاية غير عربية: إسبانية وأوروبية، ولا سيّما حكام طليطلة من الإسبان بعد أن استردوها من العرب عام ١٠٨٥.

وقبل المضي في الحديث عن تأثير الترجمة في المثاقفة في الأندلس، هل ثمة أعمال عالجت هذه المسألة قبل؟ نعم، ولا. مواد هذه الورقة، بمعنى أفكارها، مبثوثة في كتب كثيرة تراثية وحديثة. لكن بحثاً وطنياً سورياً، في هذا العنوان، لم أجد. ولا يسعني إلا أن أبدي الأسف لأن جامعاتنا ومعاهدنا والجهات المعنية لم تولِ هذه المسألة الاهتمام

المأمول منها، ولا يوجد ما يبرر هذا التقصير المحلي، الذي يتعزز في جامعاتنا التي يُفترَض أن تكون مراكز أبحاث متقدمة. ومن ثَمَّ، يمكنني القول إن هذه الورقة على ضآلتها رائدة. يتغول التقصير والبؤس الفكري إلى درجة مخيفة. هذا يعني أن هذا البحث لم تسبقه أعمال محلية يجب الإشارة إليها وإبداء الرأي فيها.

لقد عرَّفت أعلاه الأندلس مكاناً وزماناً، فمن هي الأقوام التي سكنته، والأديان التي اعتنقتها تلك الأقوام، واللغات التي تكلمتها.

الأقوام التي سكنت الأندلس:

بالإضافة إلى الفاتحين العرب والبربر كان ثمة الإسبان واليهود، أكيد ثمة أشياء أكثر تفصيلاً لمكونات الأندلس السكانية؛ لكن الإسبان والعرب والبربر واليهود كانت المجموعات السكانية الكبرى.

الأديان الرئيسة في الأندلس:

جاء الفتح العربي لنشر الدين الإسلامي، وقد أسلم كثيرون من سكان شبه الجزيرة الإيبيرية، لكن بقيت مجموعات كبيرة من السكان المسيحيين واليهود على دينها، وارتضت أن تدفع الجزية. ومن ثم فالإسلام والمسيحية واليهودية هي الأديان الرئيسة التي تعايشت في الأندلس.

اللغات الرئيسة في الأندلس:

١. اللغة العربية، هي اللغة الرسمية.

٢. اللغة اللاتينية.

٣. اللغة القشتالية.

٤. اللغة العبرية.

٥. اللغة الأمازيغية، هي لغة البربر، وهي لغة شفهية غير مكتوبة.

مظاهر المثاقفة في الأندلس:

إن المعطيات أعلاه تشير إلى أن تعايش أقوام مختلفة وأديان مختلفة ولغات مختلفة لا بد من أن يفضي إلى تفاعل، ولو شهد بعض مظاهر القسر والغلبة لطرف معين هو العربي المسلم على بقية المكونات أقله أن لغة المعاملات الرسمية كانت العربية، فالحياة المشتركة تثمر أشكالاً مختلفة من التشابه والتمايز في الواقع نرى خيوطها في الملبس والمأكل والمسكن واللغة. إن البحث في كل ذلك يتطلب عملاً أوسع مما هو متوفر لدينا ومخصص لهذه المناسبة؛ ولأن الترجمة عمل في اللغة، سيقتصر البحث على تأثير الترجمة في المثاقفة في الأندلس.

أشرنا أعلاه إلى اللغات التي استخدمتها جماعات واسعة من السكان في الأندلس، مع الإشارة إلى أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية في البلاد، وهي اللغة العامة Lingua Franca لغة التعامل بين الناس. لكن وجود مجموعة تلك اللغات يفترض وجود ترجمات بينها ويفترض تفاعلاً بينها أثمر لغة عربية أندلسية، وانتقال بعض مفردات هذه اللغات إلى بعضها البعض. يبدو هذا واضحاً بين اللغات العربية والعبرية واللاتينية والإسبانية.

لكن في الحياة ثمة أشياء تبرز تلقائياً، مثل الترجمة غير المباشرة، ليس بمعناها الأكاديمي: الترجمة بلغة وسيطة، بل باستخدام لغة الإشارة والنطق معاً فيعرف الطرفان المتعاملان اسم الشيء كل بلغة الآخر. وهكذا تنشأ لغة جديدة تولدها الحياة بلا معجم ولا قواعد، تولد، بدورها، لغة عربية أندلسية، ولغة اسبانية أندلسية، ويذهب بعضهم إلى القول بولادة لغة أندلسية انقرضت، هي نتاج الحياة المشتركة للأقوام التي تعايشت نحو ثمانمئة عام على أرض زرعوها وصنّعوا منتجاتها وتبادلوها، وبنوا مدنها وقراها ومدارسها وتشاركوا خدماتها. الحياة المشتركة هي البوتقة الحقيقية للمثاقفة، حتى القوى المتحاربة تتعايش.

وقد استعرب هؤلاء، وأخذوا اللغة العربية، واستخدموها بألسنة لم تألف نطقها الأصلي، فولّدوا مع آخرين تعلموا العربية لأسباب مختلفة، العربية الأندلسية،

التي كانت لغة الحياة العامة، في ذلك المكان، في ذاك الزمان. ولما كانت العربية هي اللغة العامة، أي اللغة الثانية، الأولى هي لغته الأصلية. فماذا أخذت العربية، بوصفها، اللغة العامة، وماذا أعطت اللغات المحلية، القشتالية واللاتينية والعبرية والأمازيغية. هذه العملية التفاعلية الطبيعية تجعل مجموعة هذه اللغات تعطي وتأخذ وتثمر العربية الأندلسية والإسبانية الأندلسية.

لن نقدم أمثلة من كل اللغات، يكفي أن نقدم أمثلة من لغتين هما اللاتينية والإسبانية القشتالية: ماذا أخذتا من اللغة العربية؟

إليكم أمثلة من اللاتينية:

- بئر: (bīr) وفي اللاتينية «pīrā» ، وهي كلمة مستعارة من العربية وتعني «بئر».
- كُرسي: (cursus) في الكلمة اللاتينية مأخوذة من العربية «كرسي»، مسار أو مقعد.
- الكلمة اللاتينية «mānsio» إقامة أو مزارع وتعني مزرعة .(mazra'a)

تأثير العربية الأندلسية في الإسبانية:

- الكلمة الإسبانية (almohada) تأتي من العربية المخدة (al-mikhadda) أو «وسادة».
- (azúcar) وتعني السكر .(al-sukkar)
- الكلمة من أصل إسباني (maceta) بمعنى «وعاء زهور» المزهرية :

(al-muzāhariya) تعني «مزهرية».

- تعني (cocina) المطبخ .(al-maṭbakh)
- (jabón) وتعني صابون .(al-ṣābūn)
- (vino) الذي تعود جذورها إلى اللاتينية «vinum». وتعني الخمر (al-khamr)

أمثلة على الكلمات المشتركة التي دخلت الإسبانية من العربية:

ثمّة كلمات عربية دخلت اللغة الإسبانية في فترة الأندلس كانت مستمدة من

العربية، ويظهر هذا التأثير في مجالات كثيرة:

- «Alcázar» تعني «قلعة» في الإسبانية، وهي من الكلمة العربية: القصر (al-qaṣr)
- «Almazara» تعني «معصرة زيت»، وهي من الكلمة العربية: المعصرة (al-maṭḥara)
- «Alhóndiga» تعني «قمح»، وهي من الكلمة العربية الحنطة (al-ḥanṭa)

هذا نتاج الترجمة غير المباشرة متضافرة مع قوى الحياة، وقوى العمل في الواقع؛ أما فعل الترجمة المباشر فمختلف. في الترجمة المباشرة نرى أسماء، نجد أعمالاً تنتقل من لغة إلى أخرى كاملة، ويكون لها تأثير نرى نتائجه عبر الزمن. وقد تجلى ذلك في المكتبة والمدرسة والجامعة وعمل حكام حكماء شجعوا الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية. في هذه الورقة نتحدث عن مدرسة طليطلة.

مدرسة طليطلة للترجمة

إحدى المؤسسات الثقافية الأكثر أهمية في تاريخ العصور الوسطى، لعبت دوراً محورياً في نقل المعارف والعلوم من العالم العربي الإسلامي إلى أوروبا. تأسست المدرسة في مدينة طليطلة (Toledo) بعد أن استعادها الإسبانيون من العرب عام ١٠٨٥ م.

الخلفية التاريخية

بعد استعادة طليطلة، وجدت أوروبا نفسها أمام كنز هائل من الكتب والنصوص العلمية والفلسفية المكتوبة بالعربية. كانت طليطلة مركزاً حضارياً وثقافياً مزدهراً تحت الحكم العربي الإسلامي، إذ توافرت فيها مكتبات غنية في شتى المجالات. وقد أدرك الملوك الإسبانيون، ورجال الكنيسة والعلماء الأوروبيون، أهمية هذه النصوص، وبدؤوا بترجمتها إلى اللاتينية والإسبانية.

دور مدرسة طليطلة

١. مركز للترجمة متعددة الثقافات.

كانت مدرسة طليطلة للترجمة فريدة من نوعها لأنها جمعت بين علماء من

خلفيات دينية وثقافية مختلفة. شارك في هذه المدرسة مسيحيون، ويهود، ومسلمون، وتعاونوا معاً في مشروع ضخم لترجمة النصوص من العربية إلى اللاتينية، وأحياناً من الإسبانية إلى اللاتينية، وقلما كان العكس.

٢. أعمال الترجمة

تركزت الترجمات في مدرسة طليطلة على مجالات متعددة، أبرزها:

- الفلسفة: تُرجمت أعمال الفلاسفة اليونانيين مثل أرسطو وأفلاطون، إلى جانب شروح وتعليقات الفلاسفة المسلمين مثل ابن رشد (Averroes) وابن سينا (Avicenna).
- العلوم: شملت الترجمات مجالات الطب (مثل أعمال ابن سينا والزهراوي)، والفلك (مثل أعمال الخوارزمي)، والرياضيات، والكيمياء، والفيزياء.
- الأدب والدين: إلى جانب العلوم والفلسفة، تمت ترجمة نصوص دينية وأدبية ساعدت على تشكيل الفكر الأوروبي في تلك الفترة.

المترجمون ذوو الشهرة:

١. جيراردو الكريموني

يُعَدّ جيراردو الكريموني المترجم الأكثر شهرة عصره. يُنسب إليه أنه ترجم أكثر من ٧٠ عملاً من العربية إلى اللاتينية، بما في ذلك «المجسطي» لبطليموس و«القانون في الطب» لابن سينا. وقد أسهم ترجماته في إحياء العلوم الكلاسيكية في أوروبا.

٢. دومينغو غوديسالبو ويوحنا الإشبيلي

عملا معاً. كان يوحنا الإشبيلي يترجم من العربية إلى الإسبانية ودومينغو غوديسالبو من الإسبانية إلى اللاتينية.

٣. مايكل سكوت

اكتسب شهرته بترجمة أعمال ابن رشد.

تأثير مدرسة طليطلة

أسهمت مدرسة طليطلة على نحو كبير في النهضة الأوروبية بتوفير نصوص علمية وفلسفية كانت غير معروفة في أوروبا الغربية. كانت هذه الترجمات أحد العوامل التي أدت إلى ظهور الجامعات الأوروبية وازدهار الفكر العلمي والفلسفي في القرون اللاحقة.

الترجمات التي تمت في طليطلة كانت أساساً لكثير من التطورات العلمية في أوروبا، حيث أصبحت النصوص العربية المترجمة مصدراً رئيساً للمعرفة في مختلف المجالات. ساعدت هذه الجهود على إدخال المعرفة العلمية والفلسفية إلى السياق الأوروبي، وكانت لها تأثيرات بعيدة المدى في تطور العلوم والفكر في أوروبا.

الإرث الثقافي

تركز إرث مدرسة طليطلة في دورها كنقطة تقاطع بين الحضارات. فقد جمعت بين التراث الإسلامي واليهودي والمسيحي في مكان واحد، مما أسهم في خلق جو من التسامح والتفاعل الثقافي. هذا الإرث لا يزال يُدرس ويُحتفى به في مجالات دراسات التاريخ والفلسفة والعلوم، ويُنظر إلى مدرسة طليطلة كأحد الجسور التي ربطت بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. وقد تجدد نشاطها في أواخر القرن العشرين (١٩٩٤) لتغدو مدرسة للترجمة حديثة تعنى باللغتين العربية والعبرية، وتمارس نشاطات ثقافية مهمة في منطقة المتوسط.

الخلاصة

تأثرت اللغة العربية الأندلسية على نحو كبير باللغات المحلية مثل اللاتينية والإسبانية، ونتج عن هذا التفاعل اللغوي دخول كلمات ومصطلحات جديدة من لغات شتى إلى العربية. ودخلت مفردات عربية كثيرة في اللغات الأوروبية في تلك الفترة، الأمر الذي يعكس التبادل الثقافي واللغوي الغني الذي حدث في الأندلس.

هل من لغة مشتركة تحدثت بها المكونات السكانية المختلفة في الأندلس؟

في الأندلس، كما في المجتمعات متعددة الثقافات، تطورت لغة مشتركة تُستخدم للتواصل بين المكونات السكانية المختلفة، وتُعرف هذه اللغة المشتركة عادةً باسم «اللغة الميسّرة» أو «لغة التواصل». في الأندلس، كانت اللغة العربية هي اللغة الأساسية التي استخدمها معظم السكان في الأمور الرسمية والعلمية والأدبية، ولكن تفاعل السكان من خلفيات ثقافية ودينية مختلفة أدى إلى تطور بعض المفردات والتعابير المشتركة. فكان ثمة عربية أندلسية وإسبانية أندلسية، وغالباً كان ثمة لغة أندلسية مكونة من مفردات مشتركة بين لغات الأقوام التي تعايشت في ذلك المكان الأندلس، في حقبة طويلة تاريخياً (٧٢٢ – ١٤٩٢)، وهذه الفرضية الواقعية تتطلب عملاً بحثياً لعل الإسبانيين هم الأكثر قدرة على فعل ذلك.

التوصيات:

١. العمل على تطوير ندوة الترجمة، وربطها بعمل أقسام اللغات الأجنبية في جامعاتنا لجعل موضوعاتها مشاريع تخرج طلاب الدراسات العليا.

٢. العمل مع الجهات المعنية في إسبانيا على إعادة تشكيل الشخصية الأندلسية.

٣. الاهتمام بالبحث اللغوي من دون أن ننسى أن اللغة ليست نحواً وصرفاً.

❖ ❖ ❖

الترجمة والتأثير في الرأي العام

عبير حمود

بداية أودُّ أن أشكر وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب على هذه الندوة، لأنها أتاحت لي الفرصة لأكون مع أساتذة كبار أغتني بالتعلم منهم.

موضوع بحثي بعنوان «الترجمة والتأثير في الرأي العام».

أهمية الترجمة

لاشك أن للترجمة في العصور، أهميةً قصوى، في نقل المعارف والثقافات بين الحضارات، بفضلها يجري التلاقح الحضاري، وهي وسيلة تواصل بين الناس، ونشر المعرفة بين الشعوب، مما يسهم في الصلات المعرفية والانفتاح على الآخر المختلف، وهذا ما يبني جسور تواصل حضاري، يؤدي لكسر حدّة سوء الفهم بين البشر، إنها إحدى الوسائل المهمة التي تقضي على الكراهية، وما تولّده من صراعات وحروب.

ويمكن القول إن التطور البشري المذهل في هذا العصر، لم يكن ليحدث لولا الترجمة، التي تستفيد من علوم الآخرين، وتفيد إبداعاً جديداً، يستفيد مما سبقه، فالترجمة تعتبر نافذةً نطلّ فيها على منجزات الآخر، مثلما تجعل هذا الآخر مطلا على منجزاتنا في العلم والأدب دون أية حواجز، إنها سفر إلى العالم كله، فنتعرّف الآخر دون جواز سفر، شرطها الوحيد إتقان لغتين: لغة المصدر ولغة الهدف.

الرأي العام

كان الرأي العام في السابق يتشكل في المجتمع، من خلال الأفكار التي يشكلها أصحاب الرأي والحكماء والخطباء، الذين ينشرونها شفاهاً، ثم بدأت الكتابة

سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد، المسمارية منها والهيروغلوفية، لكنها بقيت محصورة في المعابد، وحكراً على كهنتها، الذين شكلوا رأياً عاماً اتبعه معظم البشر، ولا ننسى دور الشعراء في العصور القديمة والوسطى، فقد كانوا وسيلة إعلامية مؤثرة في تكوين رأي عام، فهم يخاطبون عقل الناس ومشاعرهم معاً.

ولكن بعد اختراع كوتنبرغ الطباعة، حدثت ثورة معرفية، فانتشرت القراءة على نطاق واسع، واستطاعت الكتب أن ترتقي بوعي شريحة كبيرة من البشر، ولا سيّما في أوروبا، فقد كانت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية أحد عوامل نهضتها، فقد نشطت فيها هذه الحركة من الكتب العربية، التي كانت لغة عالمية في العصور الوسطى، خاصة أنها ترجمت التراث اليوناني، فبدت للآخرين لغة وسيطة، مع أنها أبدعت في مختلف العلوم والآداب، لا يمكن أن ننكر، هنا، قدرة هذا الآخر على اختيار كتب تؤثر في نهضة الوعي العام والتنوير، إذ انتشرت بفضل هذه الترجمة الأفكار العقلانية، فشكلت رأياً عاماً جديداً في أوربا، ينتقد الأوضاع المتردية فيها لاسيما الذهنية المنغلقة لدى رجال الكنيسة.

يُلحظُ أن تأثير الترجمة في النهضة الأوربية كان كبيراً، حتى داخل المؤسسة الكنسيّة نفسها، إن معظم رجالات النهضة الأوربية كانوا رجال دين، مثل غاليلو، كوبرنيكوس، مارتن لوثر ...إلخ.

أما في مرحلة العصر الحديث في منطقتنا العربية، فقد أسهمت الترجمة في تشكيل رأي عام جديد فيها، بدأت بظهور أول مطبعة في اسطنبول وحلب، ومن ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر، لنستيقظ على صوت مدافعها، فيظهر لنا البون الشاسع بين التطور الحاصل في أوربا وبين التخلف العلمي عند المماليك حكام مصر آنذاك، وقد أدرك حاكم مصر (محمد علي) بعد خروج الحملة الفرنسية، أن سر قوتهم، يكمن بالعلم والصناعة والجيش، لهذا أول ما قام به، هو إرساء قاعدة علمية في مصر، فقام بإرسال البعثات العلمية الى أوربا، حيث أُرسل رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا بصفته إماما للبعثة، وألّف عند عودته كتابه الشهير «تخليص الإبريز

في تلخيص باريس» تحدّث فيه عما شاهده في باريس من تطور علمي واجتماعي وسياسي، أنعش بذلك الأذهان، ورمى حجراً في المياه الراكدة داخل مصر، فبدأ بتشكيل رأي عام جديد وطرح فكرة أن ثمة عالما بات متنوّراً، سبقنا بمسافات بعيدة، فطرح مع رجال النهضة الآخرين في ذاك العصر فكرة تدور فحواها حول أسباب تقدم الغرب ولماذا تأخر العرب بعد أن كانوا أبناء حضارة عريقة؟

أدرك رفاعة الطهطاوي أهمية نقل المعارف والعلوم من الغرب إلى الشرق، وأن إنشاء جيل يُعنى بالترجمة ويتقنها مهم جداً؛ لهذا طلب من الحاكم (محمد علي) أن ينشئ معهداً لتعليم اللغات الأجنبية، سمّاه (دار الألسن) وقد افتتحه هذا الحاكم عام (١٨٣٥) كان فيه قسم لترجمة الكتب، وقد أشرف الطهطاوي بنفسه على مراجعتها، مما ساعد في نهضة الترجمة!

يُلحظ أن هؤلاء جميعاً، أدركوا أن ثمة رابطاً واضحاً بين الترجمة وتشكيل ثقافة تؤثر بالوعي العام، فتتسع آفاقه، ولا سيّما مع انتشار الصحف والمجلات والكتب. أصبح الرأي العام، من أهم موضوعات علم السياسة، فالسياسات الإعلامية هي المشكل الأساسي لهذا الرأي على الصعيد المحلي والعالمي، فأصبح له دور أساسي في تحديد طبيعة النظم السياسية، وفي تشكيل الأفكار المتنوعة والمتباينة، لذلك بات من السهل التلاعب بالجمهور، بحيث أصبح قابلاً لتقبل أي فكرة أو اقتراح: فقد حُوِّلت الصهيونية مثلاً من معتدية الى مُعتدى عليها، عبر مؤسسات إعلامية كبرى في الغرب، يملكها صهاينة، فتشكل لدينا عبر الترجمة جمهور غير قادر على الاحتكام للعقل، ومحروم من المعرفة، لهذا يمكن أن يتعاطف مع الظالم ضد المظلوم، بتأثير هذه الوسائل، التي تنشر المعرفة عن طريق الترجمة من العربية أو العبرية إلى اللغات الأوروبية وغيرها، عندئذٍ نفتقد الروح النقدية بسبب غياب الثقافة والمعرفة بالتاريخ وبما نعيشه اليوم من حقائق أيضاً، وبذلك يمكننا أن نلحظ أن الرأي العام بات قابلاً لتصديق أي إشاعة، فانتشرت الأساطير والحكايا الأكثر غرابة، التي تجذب الناس عادة، مثلما انتشرت لغة الغرائز والعواطف، التي يتمّ فيها التحريض ونشر الأحقاد، وقد اتضحت اليوم، على سبيل المثال، المهمة السيئة لوسائل التواصل

الحديثة، التي تستطيع الإسهام في انحراف الرأي العام عن الحقيقة والواقع، فمثلا تبيّن أن شركة (ميتا) التي تصدر بمعظم اللغات تشرف على منشورات الفيس بوك والواتس تمنع أي منشور يعبر عن حقيقة ما يجري في غزة ولبنان من إبادة جماعية للفلسطينيين، إذ منع فيسبوك نشر أي منشور يفضح الممارسات الصهيونية في غزة، كما حاول محاربة أي صوت عربي، يفضح تلك الممارسات، وما يرتبط بها من عنف واضطهاد، كل ذلك لأن هذه الشركة تملك موظفين يترجمون عن العربية والعبرية، وهنا نلحظ أنه بدل أن يؤدي ظهور وسائل التواصل الحديثة إلى نشر المعرفة والحقيقة، باتت، كمعظم وسائل الإعلام، وسيلة لنشر التضليل والكذب، فيمتد أثرها السلبي ليشمل الفرد والمجتمع، وهذا ما أكّده كتاب «أمراض وسائل التواصل الحديثة» الذي ترجمته.

الترجمة والتأثير في الرأي العام (تجربتي المتواضعة الخاصة)

من المؤكد أن المترجم يلعب دوراً محورياً في تشكيل الرأي العام، من خلال اختياراته للعناوين ذات المحتوى المهم، الذي يخاطب المتلقي؛ كي يغني عبرها أفكاره، فيرتقي بعقله وذوقه الجمالي، وبذلك يسهم في نشر أفكار جديدة بنّاءة، إذ إن المترجم صاحب رسالة توعوية؛ لهذا سأتوقف وقفة سريعة مع تجربتي في الكتب التي قمت بترجمتها. رغم ترجمتي لثمانية كتب إلى الآن (أربع منها منشور، اثنان قيد الطباعة، اثنان مخطوطان) لكني ما زلت في بداية الطريق.

كتاب «أمراض وسائل التواصل الحديثة Malades des nouveaux médias»

من أجل مخاطبة الرأي العام والتأثير فيه، رأيت من الأفضل تغيير ترجمة كلمة «Malades» التي تعني «مرضى» في الفرنسية وتأويلها في العربية إلى «أمراض»؛ كي لا يستفز المتلقي بأن العنوان يتوجه إليه بصفته مريضا، أما كلمة «أمراض» فإنها تحذره من أن هذه الوسائل قد تصبح مرضاً يصيبه.

أعتقد أن وسائل التواصل الحديثة، باتت جزءاً أساسياً من حياتنا المعاصرة، وهي سلاح ذو حدّين، في توجيه الرأي العام، فكما ذكرنا سابقا كان لها دور سلبي،

في نشر التطرف عند البعض، فعملت على ضياع أجيال بأكملها، لسهولة نشر الأفكار المسمومة عند الشباب المأزوم، فدمّرت البلاد والعباد، لكن بالمقابل، أدت هذه الوسائل الاجتماعية، الى نشر أفكار تسهم في التواصل الإنساني والانفتاح على أفكار ايجابية، تشكّل الرأي العام، فتخلق جوا من الانفتاح على الآخر، وتقبّل بعضنا بعضاً، وحاول المؤلف في هذا الكتاب أن يركز على سلبيات وسائل التواصل التي أصبحت مرضاً.

أما عن كتبي المترجمة الأخرى، فقد لاحظت مدى أهمية كتب التنمية البشرية، التي تعتمد لغة العلم الرصينة، فهي تخاطب احتياجات المتلقي عامة، والعربي خاصة؛ لهذا لاقت سوقاً رائجةً، لأنها تحاول أن تقترب من هموم إنسان عصرنا الحديث، فتعالج مشاكله، استنادا إلى رؤية فلسفية عميقة، وليست سطحية (تلك التي قد نجدها في كتب رائجة غير رصينة علمياً) لهذا لاحظت، في أثناء ترجمتي، مدى الثقافة العميقة، التي يتمتع بها المؤلف الفرنسي (فريدريك لو نوار) في عدة جوانب، فقد اعتمد على رأي فلاسفة عظام مثل: سبينوزا، نيتشه، ...إلخ، وعلى متصوفة غربيين وشرقيين مثل «أحمد بن عطا الله الإسكندراني» وهذا ما جعلني أتحمّس لهذا المؤلف، فترجمت له ثلاثة كتب متتابعة وهي قوة الفرح، والتأمل بقلب منفتح، والحكمة لمن يبحث عنها، كما ترجمت كتاب السعادة مهما يحصل لـ (روبير إيميرلي). ولا يمكن أن أنسى، هنا، تأثير الأزمة، التي عاشتها (سورية) في كل الأجيال، ولا سيّما جيل الشباب، فأحسست أنني حين أترجم مثل هذه الكتب أقوّي نفسي، وأقوّي غيري، في الوقت نفسه.

وقد تأكّد لي التأثير الإيجابي لهذه الكتب حين لاحظت مدى تجاوب القراء معها، ربما لأن مثل هذه الكتب تقف إلى جانبنا في تحمّل كثير من الصعاب، خاصة في التعامل مع الآخرين، وكيف تقوي البنية النفسية لهم، نظراً لانتشار الأزمات في مجتمعنا بكل أنواعها، ومن ثَمَّ فهي تعزز القدرة على مواجهة ما تخلفه هذه الأزمات من صعوبات، وهي لا تكتفي بالنظريات فقط، بل تمنحهم وسائل عملية، يمارسونها في حياتهم، وبذلك تربط بين العلم والحياة، والإحساس بالأخر، فتركّز على قيمة

العطاء دون مقابل (على حد قول لونوار) في حياتنا!

أخيراً، يتبين لنا، ضرورة الاهتمام بالترجمة والمترجم، والاهتمام باللغة العربية والأجنبية معاً، فالترجمة تعدّ جامعة مفتوحة تكوّن رأياً عاماً ينهض بالحياة، فتسهم في التأسيس لثقافة متسامحة، ترفض العنف والإرهاب وتنشر الوعي؛ طبعاً ما زلنا مقصرين، نحتاج إلى جهود إضافية لتصحيح هذا الخلل في العلاقات المحلية والعالمية حتى الشخصية.

❖ ❖ ❖

أثر الترجمة في المثاقفة

د. باسل المسالمة

ليس ثمّة شكٌّ أنّ الترجمة وسيلة من وسائل المثاقفة، «يُعرَّف مصطلح «المثاقفة» في حقلَيْ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية أنه دراسة التطوّرات النّاتجة عن اتّصال ثقافتين تَتأثّر وتُؤثّر إحداهما في الأخرى. وقد أصبحت المثاقفة مع الآخر أمراً حتمياً تفرضه طبيعةُ الحياة الحاضرة السّائرة نحو التّحاور والتّقارب بين الشّعوب والحضارات، ووسيلتها في ذلك التّرجمة»[1] ظهر مصطلح «التثاقف» أو «المثاقفة» سَنَةَ ١٨٨٠ في حقل الأنثروبولوجيا على يد جون ويسلي باول (John Wesley Powell)، وفُهِمَ على أنه يشير إلى الصلات بين الحضارات المختلفة، وإلى التداخل بينها. واستطاعتِ اللغة الإنكليزية تخطّيَ الحدود القومية بعد أن باتت لغة التفاهم بين أكثر الشعوب.

نقل العربُ علومَ الحضاراتِ المعاصرةِ ومعارفَها، وعزّز هذا النقلَ التواصلُ الثقافيُّ والحضاريُّ، فنقلوا عن اليونانية نصوصاً كثيرة في عهد المأمون، ونقلوا عن الحضارة الهندية والفارسية علوماً ما كانوا ليصلوا إليها لولا الترجمة، التي مكّنت الحضارة العربية الإسلامية من انفتاحها واتساع آفاقها. إذا افترضنا أنَّ الترجمة حوارٌ ثقافي بين لغات العالم المختلفة (وهي أكثر من ذلك بطبيعة الحال)، فلا بُدَّ أن ينتج عن هذا الحوار مثاقفةٌ بين الحضارات والشعوب على اختلاف ألسنتها وعقائدها.

يجب في البداية أن نتحدّث عن أهمية الترجمة، فلا يمكننا أن نتصوّر عالمنا من

(٣٨) سارة بوزرزور، «الترجمة والمثاقفة»، مجلة البدر، المجلد ٩، العدد ٧، ٢٠١٧، ص. ٢٠٦.

دون ترجمة، فهي نافذة التواصل بين الذات والآخر، والأداة الوسيطة التي يمكن من خلالها أن تستفيد كل أمة من فنون الأمم الأخرى وعلومها. نشّطت الترجمة حركة التفاعل بين الشعوب، فهي نشاطٌ يؤثّر ويتأثّر، ويمكن أن نجادل أنها أمُّ الفنون الإنسانية التي تنقل الثقافات بين الأمم، وتُقرّب الشعوب، وتدفع عجلة التقدّم الإنساني. وعليه، تغدو الترجمة إضافةً جديدة لا تتبدد في ثقافة الآخر، على الرغم من أنها تلاقحٌ حضاري، فالحضارات التي تُثري التراث الإنساني لم تغتنِ من تلقاء ذاتها، بل من قدرتها على استيعاب عوامل ثقافية أجنبية ودمجها في بنيتها، دون أن تتنازل عن مبادئها الثابتة. فعلى سبيل المثال، نجدُ في الحضارة الإسلامية بصماتِ الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، ولا شك أنّ في الثقافات الغربية آثاراً قويةً للثقافة العربية الإسلامية. ومن هنا، تُرى الترجمة أنها رديفةُ المثاقفة (acculturation)، فكلتاهما تسعى إلى خلق آفاقٍ جديدة لأشكال الثقافة المختلفة والتنوّع الثقافي، كما تختصر الترجمة والمثاقفة واقع الحضارات، الذي يتمخّض عنه تجدُّد الحضارات وازدهارها. يمكن القول، إذنْ، إنّ الترجمة مثاقفةٌ في حدِّ ذاتها. وما ينتج عنها هو شكلٌ من أشكال التواصل بين الثقافات المختلفة.

ليس ثمّة شك أنّ المثاقفة تتطلّب ثقافة التأثير والتأثر، لذا فإنها تسهم في رسم صورة الذات والآخر، ومن خلال المقارنة بين الصورتين تحدث المثاقفة. فعلى سبيل المثال، كانت رواية «حي ابن يقظان» لابن طُفيل (الفيلسوف والطبيب الأندلسي الذي عاش بين ١١٠٠م-١١٨٥م)، الأساس لغيرِ قليلٍ من روائع الفكر والأدب العالمي، مثل كتاب **عقيدة القس من جبل السافوا** للفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، ونجد أيضاً أحداثاً مشتركة واضحة بينها وبين رواية «روبنسون كروزو» للكاتب دانييل ديفو، وقصة ماوكلي فتى الأدغال وشخصية طرزان التي تتحدّث معظمها عن سلوك الإنسان حين يكون مُجبراً على العيش وحده في بيئة منعزلة.

ترجم ابن المقفَّع، المتوفَّى سَنَةَ ١٤٣هـ كتاب **كليلة ودمنة**، وهو تحفةٌ من تحف الترجمة، ومن أهم الكتب في السياسة وتقويم الأخلاق بالعظة والحكمة. كَتَبَ **كليلة ودمنة** باللغة السنسكريتية بيدبا الهندي لدبشليم الملك منذ نحو عشرين قرناً

ونيفاً على ألسنة البهائم والطيور، وعقده على اثني عشر باباً، وترجمه ابن المقفَّع عن الفهلوية إلى اللغة العربية في العصر العباسي الأوّل. وقد تنافست الأمم على ترجمة هذا الكتاب، لكنَّ ابن المقفَّع أضاف بعض القصص من نسج خياله، وعدّل في بعضها، وأكسب المترجَمَ منها رُوْحاً جديداً أضفاهُ أسلوبُهُ الشائقُ وعرضه الماتع.

يرى الباحث العراقي علي القاسمي أنّ «المتلقِّيَ ينتفعُ من النَّصِّ المترجم انتفاعَهُ بالنص الأصلي، بحيث يخلق النص المترجم فيه القدرة على التأمل والإبداع. وهكذا يفسح هذا النوع من الترجمة الهجرة الحقيقية للأفكار والنظريات والمناهج والأسلوب»[٢]. وهذا بحد ذاته مثاقفة. ويرى أنّ النص الأصلي لا يحيا إلا بالترجمة، فالنص الأصلي لا يحيا بلغته الأصلية، وإنما يحيا في اللغات التي تُرجِمَ إليها. فملحمة جلجامش الشهيرة، على سبيل المثال، كُتبت أصلاً باللغة السومرية، ولكن علماء الآثار لم يعثروا على نصوصها الأصلية حتى اليوم، وإنما عثروا عليها مترجمةً إلى لغات أخرى نذكر منها اللغة الأكادية. وهكذا، قدّمت الترجمة خدمةً عظيمةً للثقافة السومرية.

وقد اطّلعت أوروبا على الفكر الفلسفي اليوناني من جرّاءِ الترجمة العربية له؛ لأنّ بعض الأعمال الفلسفية اليونانية القديمة مفقودة اليوم. قد تُحيي الترجمة لغةً أصلية ميتة كُتب بها النص الأصلي، وخير مثال على ذلك الكتاب المقدّس: «العهد القديم والعهد الجديد الذي لا يعيش اليوم بلغته الأصلية الميتة، وإنما بلغات الترجمة. والأمر ينطبق كذلك على فكر سقراط وأفلاطون وأرسطو الذي يحيا باللغات الأخرى، وليس بلغته الأصلية الإغريقية القديمة الميتة»[٣].

ليس ثمة شك أنّ للترجمة أثراً كبيراً في الثقافة المنقول عنها، فقد يستعصي النص الأصلي على فهم القارئ، لكنه يتضح من خلال ترجمته إلى لغة أخرى،

---

(٣٩) علي القاسمي، **علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية**، ط١ (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٨)، ص.٢١٤.

(٤٠) انظر محمد عصفور، **الترجمة: طريق إلى المستقبل**، (الأردن: مؤتمر اللغة في المؤسسات الأردنية، الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني) ص.٩.

وحينئذٍ يلجأ بعض الناطقين بلغة النص الأصلي إلى قراءته في ترجمة أجنبية لفهمه. فعلى سبيل المثال، لم يقرأ بعض القرّاء الألمان كتاب «الفينومينولوجيا» لهيغل بلغته الأصلية، بل قرؤوه بترجمة فرنسية من أجل استيعابه وفهمه على نحو أفضل.

تُضفي الترجمة أحياناً أهمية أكبر على النص أكثر مما تحتفي به ثقافته الأصلية. فقد أصاب الكاتب الأمريكي إدغار ألان بو في فرنسا سمعةً لم ينلها في بلاده. ويعود ذلك إلى صعوبة أسلوبه باللغة الإنكليزية في حين أنّ ترجمته إلى الفرنسية كانت على يد الشاعر الرومانسي الكبير تشارلز بودلير المعروف بلغته السلسة وأسلوبه العذب الرشيق.

وحول أثر الترجمة في المثاقفة يمكن القول إنّ «الترجمة الأدبية» تهتم بالشكل الفني والجمالي للنص الأصلي؛ لأنّ الغاية منها هي خلق الوعي الجمالي والفني الذي أنتجته النصوص في بيئتها الثقافية الأصلية. ولعل هذا الوعيَ الجماليَّ هو السبب في إقبال المترجمين على ترجمة نصوص أدبية كثيرة إلى اللغة العربية، منها **زوربا** لكازانتزاكيس، **والمسخ** لكافكا، **ودون كيشوت** لسرفانتس، **والأبله** لدوستويفسكي، **والحرب والسلم** لتولستوي، **والبخيل** لموليير، **وهاملت** لشكسبير، وغيرها.

لا شك أنّ المثاقفة جعلت العالم قريةً صغيرة، ولعل الترجمة هي التي تدعم آلية هذا التقارب الثقافي، فتغدو أداةً فعّالة لتجسير الهوة بين الثقافات، وعنصراً معرفياً مهماً ينمّي الفكر والمعرفة. ترتبط الترجمة بالمثاقفة من حيثُ إنها أداةٌ تواصلية، فالترجمة شكلٌ من أشكال التواصل الثقافي. ترتبط الترجمة بالمثاقفة أيضاً من الناحية المعرفية، ذلك أنها تُسهم في إغناء الثقافات. ومن هنا، تتجه العلاقة بين المثاقفة والترجمة نحو بناء رؤية معرفية غايتها أنّ المثاقفة لا تلغي الآخر. يذكر د. رشيد برهون في مقالته «الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة»: «أنّ الترجمة وسيلة لوعي الفارق بين التثاقف والإلغاء الثقافي، في حين يعني التثاقف الإنصات المتبادل بين الثقافات والاعتراف باختلافها»[٤]. لهذا نجدُ ترجمةَ النصوص الأدبية تدعم

(٤١) د. رشيد برهون، «**الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة**»، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع١، المجلد ٣١، يونيو - سبتمبر ٢٠٠٢، ص: ١٧٢.

ما نسميه «المثاقفة الأدبية»، و«النَّصَّ المترجَمَ» يحقق اعترافاً ثقافياً بالآخر بدلاً من إلغائه، بواقعه، ونمط تفكيره، وبيئته.

ولمّا كانت الغايةُ من «المثاقفة الأدبية» هي «فهم الإنسان وفهم علاقته بالكون الذي يعيش فيه، وما تتضمنه هذه العلاقة الكبيرة من علاقات كثيرة أخرى، أهمها علاقته ببيئته الطبيعية والاجتماعية، لأنّ الأدب مدخل إلى فهم الإنسان في مجالات حياته كلّها»[٥]، كان لا بُدَّ أن تحدد «المثاقفة الأدبية» من خلال الترجمة تفاعل القيم الإنسانية، وتضيق هُوَّة الاختلافات بين الشعوب.

إنّ النظر في أعمال شكسبير وتَلَقِّيَهُ في دولٍ غيرِ ناطقة الإنكليزية يجعلنا نفكر كيف يفهم المجتمع الألماني، على سبيل المثال، عاداتِ المجتمعِ الإنكليزي وقيمَهُ وفكرَهُ وكيف يتمثلُها وكيف تصبح جزءاً من هُويته. يعتقد الألمان أنّ الأديب الإنكليزي وليم شكسبير (١٦١٦-١٥٦٤) كان ألمانياً، نظراً للحظوة الكبيرة التي لاقتها مؤلّفاته ومسرحياته بعد ترجمتها إلى اللغة الألمانية. ويدّعي الكاتب دانيل هانان في تقرير نشرتْه صحيفة «ذي ديلي تلغراف» البريطانية، أنّ شكسبير كان فعلاً ألمانياً، وقال إنَّ الأديب الإنكليزي مايكل ريدغريف (Michael Redgrave) (١٩٨٥-١٩٠٨) كان أحد المعجبين به، وكان يرى أنّ مجموعة مسرحياته – ولا سيّما **الملك لير** – كانت تبدو أفضل باللغة الألمانية. ويضيف الكاتب أنه لطالما كان للألمان علاقةٌ قويةٌ غيرُ عاديةٍ مع الشاعر شكسبير، وأنّ الأديب الألماني يوهان غوتفريد هردر (Johann Gottfried Herder) – الذي كان له أثرٌ كبير في خلق الشعور القومي الألماني- كان مولعاً بمسرحيات شكسبير. ويرى أنّ شكسبير «عبقري من الشمال» وُلد بطريق الخطأ في إنكلترة، وأنّ أعماله وصلت إلى الكمال حين امتزجت بأفكار اللغة الألمانية وفلسفتها، وأنّ كثيراً من عظماء الكتّاب الألمان سعوا إلى تقديم شكسبير بلسانه الحقيقي، وترجموا أعماله الأدبية إلى الألمانية. كما يوضّح أنّ الأديب الألماني البارز يوهان غوته (١٧٤٩–١٨٣٢) أحبَّ مسرحيات شكسبير لاتساعها وأصالتها وتلقائيتها، ولهذا بنى له مسرحاً في مدينة فايمار بألمانيا.

(٤٢) تيسير شيخ الأرض، «**الترجمة بين الفعل والانفعال الثقافي**»،مجلة الوحدة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق ١٩٩٧، ص. ١٣.

لا شك أنّ أعمال شكسبير تُرجمت مراراً إلى لغات عدّة، وكانت موضوعاته كالحب والقوة والغيرة والخيانة عالمية. يمكن أن تؤثّر جودة الترجمات وأسلوبها إلى حدٍّ كبير في كيفية إدراك شكسبير. تعطي بعض الترجمات الأولوية للدقة الحرفية، بينما تهدف ترجمات أخرى إلى البنية الشعرية وعناصرها، التي يمكن أن تؤثر في فهم الجمهور واستمتاعه بالنص.

في النهاية، يمكن القول إنّ الترجمة والمثاقفة ترتبطان ارتباطاً وثيقاً إلى درجة أنّ الترجمة تعد وسيلة من وسائل المثاقفة، لا بل تغدو الترجمة مثاقفةً في حدِّ ذاتها، وهذا الارتباط يعزز الهوية الثقافية والاعتراف بهوية الآخر المستقلة. تكمن أهمية المثاقفة في أنها طرح لرؤيتنا للآخر وأنها تفاعلٌ بين الذات والآخر يعكس رؤية تطوّرية وحضارية للعالم.

ولادةُ المترجم(ـة): أثرُ الترجمةِ في صناعةِ الرأي العام

د. أماني العيد

تؤثر الترجمةُ وتتأثرُ بالأيديولوجيا، فهي حصيلة ومجموع ثقافي ولغوي معاً. إنّ الترجمة ليست ببساطة عملية ترجمة من لغة إلى لغة أخرى بل تتضمّن هذه العملية أيضاً نقل قيم ومعتقدات وأفكار المؤلفين الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية التي تصبُّ على نحو أو بآخر في عمليةِ الترجمة، ومن ثَمَّ تؤثرُ في الرأي العام.

حين نترجمُ ننقلُ هذا الإرث الثقافي بكل مكوِّناته من لغةٍ إلى أخرى، فتكونُ الترجمةُ جِسرَ عبورٍ بين الثقافات، ويكونُ المترجمُ سفيراً ودبلوماسياً بين الدول. وهنا تكمنُ أهميةُ الترجمةِ لدورها الفعال في الأزماتِ والصراعاتِ وتغييرِ المجتمعاتِ. ولذا لا بدَّ أن نسألَ أنفسنا: هل المترجمون حقاً سفراءَ النوايا الحسنة؟ ومَنْ أو ماذا يُحدد هذه النوايا؟ إنَّ عملية النقل بين اللغات والثقافات هي عمليةٌ غيرُ منفصلةٍ عن ثقافة النص المصدر إضافةً إلى ثقافة المترجم أو المترجمة وأيديولوجيا اللغة المضيفة و أيديولوجيا السلطة أو دار النشر. إذن هناك تأثر وتأثير متبادلان – من وإلى – في أثناء عملية الترجمة. هذه الأخيرة قد تخضع أيضاً لعواملَ خارجيةٍ كثيرةٍ مثل الرقابة والإطار السياسي للبلد الذي يعيشُ فيه المترجم أو المترجمة. فالمترجمون ليسوا بمعزلٍ عن التطوّرات السياسية والاجتماعية، وليسوا مُجرَّد أداةِ نقلٍ سلبيةٍ غير فاعلةٍ رغم التحديات التي تحيطُ بعملية الترجمة. للمترجمين دورٌ في اختيارِ موضوعاتٍ تُسهمُ في منحِ صوتٍ لمن لا صوتَ لهم، ومحاربةِ التمييز القائم على الجندر أو النوع الاجتماعي، وتفعيلِ الرأي والرأي الآخر، وتقريبِ الحضاراتِ والثقافات بدلاً من شيطنةِ الآخر المختلف. تقعُ هذه الاختيارات تحت تأثير سياسات

دور النشر والبلد الراعي للترجمة، وتتسعُ وتتشعبُ هذه الموضوعات بتطوّرِ المجتمعاتِ وانفتاحها ورغبتها في تعرُّف هذا المكوّن الحضاري المختلف بغية خلقِ بيئةٍ ثقافيةٍ تفاعليةٍ متنوعةٍ لا تنظر إلى الآخر بعين التوجّس والريبة، بل تنظرُ إلى الآخر بعينِ الاكتشاف والاستكشاف والفضول وحُبّ المعرفة.

اليوم مع وجود الشابكة ووسائل التواصل الاجتماعي وانتشار الصورة الرقمية، أصبحَ عاملُ الزمنِ نسبياً لأنَّ السفرَ عبر الثقافات متاحٌ بسهولةٍ ويُسر من بيوتنا وأجهزتنا الإلكترونية، ومن ثَمَّ أصبحَ التأثر بهذه الثقافات أسرع من قبل وقد يكون أخطر. هنا أمامَ هذه الفجوة الزمنية بين العالم العربي والعوالم الأخرى، يتعيَّنُ على المترجم والمترجمة مهمّة رَدم أو جَسْر هذه الهُوّة – هذا لا يعني بالضرورة مُحاكاة وتقليد الآخر كالببغاء بل تسليط الضوء على المُرَكب الثقافي للحضارات الأخرى للاستفادة مما وصلوا إليه من تطورات علميّة وفكريّة ونفسيّة واجتماعيّة دون خسارة خصوصيتنا الثقافية أو ضياع هُويّتنا وإرثنا الحضاري. إنَّ هذا الجِسر الذي تضعه الترجمة بيننا وبين الآخر قد يُسهم في التخفيف من وطأة الأدلجة المتسارعة التي نتعرّض لها يومياً على وسائل التواصل الاجتماعي وفي الإعلام، ومن هنا تأتي أهمية الترجمة في نشر الوعي والتعريف بأنفسنا وبالآخر.

تتضمّنُ ترجمة النص الأصلي فهم النص وإعادة كتابته وصياغته لتتناسب مع جمهور القرَّاء في اللغة الهدف، وهنا تظهرُ أهمية دورُ المترجم(ة) كمؤثر ومؤثرة في الرأي العام. من خلال اختيار المادة العلمية للترجمة نفتحُ البابَ على آفاقٍ جديدةٍ أمام القرَّاء قد تساعدنا في فهم الواقع وإعادة تشكيله وصياغته وربما تغييره بالكامل. لا أتكلّم هنا عن عملية الترجمة التي يعرّفها كثير من الباحثين والباحثات بصفتها ملتصقة بموت الكاتب وإعدام النص الأصلي (زيد وبنودي ٢٤٦)، بل أتكلم على ضرورة استمرارية عملية الترجمة التي تصبُّ في تغيير وتكييف الواقع وفق ما نريد. وهنا تأتي أهمية طرح موضوعات متنوِّعة في السياسية والفلسفة والعلوم والتكنولوجيا والأدب وضرورة متابعة المحاور البحثية الجديدة في البيئة والتغير المناخي، النِّسوية والدراسات الجندرية، الذكاء الاصطناعي ودوره في الترجمة

وغيرها من موضوعات. لا يحدث تغييرُ المجتمعات في ليلةٍ وضحاها، ومثلما تستغرقُ الترجمة سنة أو أكثر لترجمة كتاب ومثلما استغرق منا تعلم اللغات الأجنبية سنوات، كذلك يحتاجُ جمهور القراء إلى الوقت الكافي لقراءة مختلف الموضوعات وفهمها واستيعابها ومعالجتها فردياً واجتماعياً ومناقشتها وتقبّلها أو ربما رفضها. من خلال أعمالنا المترجمة إلى اللغة العربية تحدثُ عملية تبادل ثقافي وحضاري تؤثر في المجتمع وتتأثر بالثقافات واللغات الأجنبية. إنَّ المترجم والمترجمة على تماسٍ مباشرٍ مع الثقافات الأجنبية لولعهم باللغات وفضولهم ورغبتهم الملحة لاستكشاف الآخر والسفر عبر الزمن من خلال اللغة. هُم بالفعل مسؤولون عما ينقلونه من علوم وموضوعات مسؤولية أخلاقية وأكاديمية وإنسانية. إنَّ هذا المخزون الحضاري بين أيديهم يضعهم على خط النار بين أيديولوجيا اللغة المصدر وأيديولوجيا اللغة الهدف، وبين رغبتهم في نقل الموضوعات الجديدة والملحّة من جهة والفلترة التي تمليها عليهم الحساسية الثقافية وأيديولوجيا دار النشر أو سياسة البلد من جهة أخرى. وهنا تتضاعفُ المسؤولية لأنَّ الترجمة مع هذه التحديات القائمة تفرضُ عليهم إعادة صياغة النص الأصلي وربما الحذف والإضافة[٦] لإيصال المعنى بما يتوافق مع توجهات وتوجيهات دار النشر. بمعنى آخر، تفرضُ عملية الترجمة على المترجم(ة) الدخول في صراعات حقيقية – داخلية وخارجية - تتجسدُ من خلال الأفكار والقيم والمعتقدات والاختلافات الثقافية والاجتماعية والسياسية. إنَّ الاختلاف بين الشعوب والأفراد أمرٌ واقعٌ؛ على عكس ما قاله جون بول سارتر في مسرحيته لا مخرج واصفاً الآخر بالجحيم[٧]- يرى المترجمون الآخر بوصفه الطريق نحو فهم أنفسنا، ومن خلال الآخر نعي أهمية ثقافتنا واختلافنا. لابدَّ أن يكون هناك مَخرَج، وهذا ما تقدّمه لنا الترجمة من خلال التلاقح الثقافي الذي

(٤٣) في التفاعل بين الأيديولوجيا والترجمة يتكلم المؤلفان بيان ولي على مصطلحي التغريب foreignization والتدجين / التوطين domestication. من خلال هاتين التقنيتين يتحايل المترجم على القيود المفروضة عليه بجعل النص المترجم أقرب إلى النص الأم عن طريق التغريب أو جعله أقرب للغة المترجم الأم عن طريق التدجين (٤٤٤).

(٤٤) كتب سارتر مسرحيته لا مخرج No Exit سنة ١٩٤٤ ووردت فيها عبارته الشهيرة «Hell is other people» أو عن الفرنسية «L'enfer, c'est les autres»

تخطّه بين الحضارات على اختلافها. لسنا على خلافٍ أنَّ المترجمين يُسهمون في إغناء المكتبة والثقافة العربية بشتّى أنواع العلوم والفنون والآداب العالمية، ولكنَّ أوَّل من يحترق بنارِ المعرفةِ هُم المترجمون لأنهم على تماسٍ مباشرٍ مع هذا الآخرِ الغريبِ بكل مكوّناتهِ الحضاريةِ وإرثهِ الثقافي والاجتماعي. إنَّ هذا الاحتراق ضروري لجعل الترجمة مُمكنة وفي مُتناول الجميع.

في بحث بعنوان «الأيديولوجيا والترجمة» (٢٠٠٣)، جاء تعريف الترجمة بأنها «عملية إعادة كتابة للنص الأصلي سواء كان هذا الفعلُ شعورياً أو لا شعورياً،» بوعي أو دون وعي (زيد وبنودي ٢٤٧). في ضوء هذا التعريف، وإذا كانت الترجمة هي حقاً إعلانُ موت الكاتب وإعدامُ النص الأصلي، أؤكد أهمية الترجمة في وعي وفي ضرورة سبر أغوار اللاوعي لما لهذين من أثرٍ مباشرٍ في عقولِ القرّاء، وأطرحُ على المترجمين بعض الأسئلة: لمن نترجم؟ وكيف نؤثّر في عقول القرّاء؟ وكيف نرى مجتمعاتنا بعد إضافاتنا وإسهاماتنا في عالم الترجمة؟ للكلمة أثرٌ سحري يفتحُ الأبواب الموصدة وهي ليست بريئة ولا هي حيادية، بل مشحونة بالمعاني ومُحمّلة بنتاج الشعوب وآمالهم وأوهامهم وإحباطاتهم وصدماتهم العابرة للأجيال. للكلمة أثرٌ لا يُمحى لأنها تجمع وتفرّق، تبني وتهدم، تشجّع وتثبّط الهمم، توحّدُ الطاقات وتهمّشُ، لذلك أرى المترجمين أمناء على الكلمة وسفراءها، ومن خلال عملهم ندركُ ارتباط الشعوب وتأثيرها بعضها ببعض. المترجمون ليسوا بمعزلٍ عن شجون الأمة أو التحدّيات التي تواجهها. إننا نراهم يعملون جنباً إلى جنب مع صنّاع القرار في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطبية والعلمية. ولأنهم يدركون قوّة الكلمة وأثرها، نراهم يتأثرون ويؤثرون. ومن ثَمَّ المترجمون ليسوا مجرّدَ أدواتٍ سلبيةٍ في يد المؤسسات أو السلطة بل إنهم في الحقيقة يكشفون لنا الطريق ويمهدونها. فالترجمة هي خط العبور أو الحد الفاصل بين الثقافات وبين القادة والشعب، ومن هنا يجبُ علينا إدراكُ أهميةِ هذه الأمانةِ لما تحمله من أثرٍ وتأثيرٍ متبادلين بين عدة أطراف وجماعات.

بالعودة إلى السؤال الذي طرحته سابقاً عن النوايا والقصد من الترجمة، من

البديهي أو ربما من الأهمية بمكان أن نسبُرَ أغوار اللاوعي، وندركَ حقيقة الوحوش أي الأيديولوجيا التي تتربَّصُ بنا تحت مُسمَّياتٍ مُختلفة مثل الفوقية الذكورية، مُصادرة الرأي والرأي الآخر، الكراهية وشيطنة الآخر المختلف، سيادة الانحياز الجندري في اللغة، السرقة الأدبية والتلاعب بالنص. هل يمكننا حقاً التخلص من الأدلجة أم أنّ هذا الطرح طوباوي بعض الشيء؟ وهل يمكننا القيام بالترجمة بمعزلٍ عن المؤثرات الخارجية أو تحييد اللغة عن الانحياز أو حتى عدم تسييس اللغة لصالح فريقٍ ضد آخر؟ أو إنّ اللغة منحازة أصلاً بطبيعتها ومجرّد استخدامها هو فعلُ انحياز؟ وإذا تكلمنا على موتِ المؤلف في أثناء عملية الترجمة، فكيفَ يمكننا التكلم على ولادة المترجم(ـة) إذا كان لابدّ له ولها أن يتكيّف مع القواعد والسياسات المقيّدة لدور النشر والمؤسسات والسلطة؟ في بحث بعنوان «الأيديولوجيا في الترجمة: نظريات وتأملات» (٢٠١٦)، يؤكد لي داي قائلاً: «على الرغم من تأثير الذاتية في الاختيار الاستراتيجي للترجمة، فإنَّ موقع الترجمة والغرض منها والاختيارات اللغوية لأي مترجم عاقل وأخلاقي ومؤهل سيجري تحديدها إلى حد كبير من خلال النص المصدر والسياقات الأكبر لأنَّ ذاتية المترجم تعكس دائماً وتتوافق مع الاحتياجات والإعدادات الموضوعية»(٥٠٥). بمعنى آخر، إنَّ ذاتية المترجم(ـة) غير منفصلة عن السياقات الأكبر المحيطة بعملية الترجمة ووجود هذه الذاتية هو أمرٌ طبيعيٌّ لا يمكن تجاهله. في الختام لا بدَّ من بذل جهود ومهارات لغوية عالية لنقل المعرفة من حيز ثقافي إلى آخر، وهذا النقل والتأثير تحكمه عوامل كثيرة – زمانية ومكانية وثقافية وسياسية. وبين الموت والولادة، يضعنا المترجمون من خلال إثراء مكتبتنا العربية بمختلف الكنوز المعرفية أمام الوحوش التي نخافها لنستكشف معهم مَن نكون وماذا نريد وإلى أين نحنُ ماضون.

قابلية نقل اللغة الإنكليزية ودورها في تشكيل هوية وسائل الإعلام والثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين

د. عدنان عزوز

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة تأثير استخدام المفردات الإنكليزية في البنى الثقافية العربية. يركز على تحديد مدى تأثير اللغة الإنكليزية على الجوانب الثقافية ضمن المسلسلات التلفزيونية السورية-اللبنانية «ستيلتو» و«الخائن». بالإضافة إلى ذلك يسعى البحث لاكتشاف الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي تقف وراء استخدام اللغة الإنكليزية في هذين المسلسلين. كما يفحص تأثير اللغة الإنكليزية في وسائل الإعلام الجماهيرية ودورها في تشكيل الهوية العربية. تكشف البيانات التجريبية من الدراسة أن الكلمات الإنكليزية تشكل ٢٠٪ من إجمالي الحوار في المسلسلات المعنية. بينما شكلت الأسماء nouns أكبر نسبة من بين الأصناف القواعدية الأخرى بنسبة وصلت إلى ٦٦,٠٤٪. مع وصول نسبة متعلمي اللغة إلى ١٠٠٪. يخلص البحث لعدة استنتاجات واستخدام حكيم وسياقي مناسب للمفردات الإنكليزية، مع تأكيد الحفاظ على التراث اللغوي والثقافي العربي كعنصر لا غنى عنه للهوية الفردية والجماعية.

مقدمة :

إن مفهوم تأثير اللغة الأجنبية والهوية المحلية موضوع قديم وجديد. فمنذ بداية الحضارة الإنسانية، سعت المجتمعات إلى الحفاظ على ثقافتها بعيداً عن التأثير اللغوي للغات الأخرى. ولكن في عصر العولمة وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي

على نطاق واسع، لا يمكن للحدود الطبيعية أن تحمي المجتمعات من تأثير اللغات والمفاهيم الثقافية الأخرى. فاللغة هي حاملة الحضارة والمفاهيم الثقافية. وعلى مستوى العالم، يسعى اللغويون إلى حماية لغاتهم الأم من خلال تبني متطلبات عصرهم وترجمة أي مفردات جديدة إلى لغتهم الأم كما يقوم بذلك مجمع اللغة العربية. ومع ذلك، فإن هذه المهمة لا تتكلل دائماً بالنجاح لأن اللغة الإنكليزية هي لغة العلم في القرن الحادي والعشرين، ولا يمكن لأي لغة في العالم أن تواكب خطوات تقدم اللغة الإنكليزية بسبب التطور العلمي في مجال التكنولوجيا وأنماط الحياة التي تشملها وتقودها الولايات المتحدة الأمريكية. والعالم العربي ليس استثناءً من وضع مجتمعات اللغات الأخرى في العالم التي تواجه قدراً هائلاً من المفردات الجديدة القادمة من اللغة الإنكليزية على أساس يومي. ومع الجهود المضنية التي يبذلها اللغويون العرب لترجمة المفردات والتراكيب والاصطلاحات الجديدة، تميل هذه الجهود إلى تعريب هذه الكلمات. ويتجلى هذا الاتجاه لصعوبة أو عدم وجود مرادف لغوي عربي بوسعه أن يعبر عن المعنى الدقيق للمفاهيم والمفردات الجديدة التي تتدفق من اللغة الإنكليزية في شتى مناحي الحياة.

إن التوتر بين تبني اللغة الإنكليزية والحفاظ على الهوية الثقافية يشكل قضية ملحة في العالم العربي. ومع انتشار اللغة الإنكليزية على نحو متزايد، هناك خوف متزايد من أن التراث اللغوي والثقافي الغني للغة العربية قد يتضاءل. تشير بعض الدراسات إلى أن هذا التحول اللغوي قد يؤدي إلى شكل من أشكال التجانس الثقافي، حيث تتشكل الهويات المحلية على نحو متزايد من خلال التأثيرات العالمية (الغربية غالباً) بدلاً من التقاليد الأصلية (Ryding, 2010; Saleh, 2022). واستجابة لذلك، كانت هناك حركة متنامية داخل العالم العربي لتعزيز اللغة والثقافة العربية، وضمان عدم تسبب العولمة في التآكل الثقافي (Zughoul, 2003).

تؤدي وسائل الإعلام الجماهيرية دوراً حاسماً في هذه الديناميكية، إذ إنها قناة أساسية يتم من خلالها نشر الثقافة واللغة العالمية (الغربية على نحو خاص). لقد أدى تدفق المحتوى باللغة الإنكليزية من خلال التلفزيون والأفلام ووسائل التواصل

الاجتماعي إلى خلق ثنائية ثقافية، إذ تتعارض المثل وأنماط الحياة الغربية غالباً مع القيم العربية التقليدية (Ayish, 2003؛ Elsheikh & Saleh, 2022). وقد أدى هذا إلى نقاش نقدي حول دور وسائل الإعلام الجماهيرية في تشكيل التصورات الثقافية والحاجة إلى تمثيل أكثر توازناً للهوية العربية في عالم معولم (Elasmar, 2003؛ Fahmy, 2021). كما أدى الوجود الشامل للغة الإنكليزية في وسائل الإعلام إلى تبني العبارات والتعبيرات الإنكليزية في اللغة العربية اليومية، مما زاد من تعقيد العلاقة بين اللغة والهوية (Bassiouney, 2022).

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مدى قابلية اللغة الإنكليزية للنقل اللغوي في تشكيل نمط الحياة والقيم الثقافية للمجتمعات العربية؟

٢. ما الدلالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية لإدخال مفردات اللغة الإنكليزية في سياق وسائل الإعلام العربية؟

منهجية البحث

يتمثل المجتمع البحثي للدراسة الحالية في شخصيات المسلسلات السورية اللبنانية «ستيلتو» و«الخائن»، وهي مقتبسة أصلاً من مسلسلات تركية مختلفة، وقد بُثَّتْ في عامي ٢٠٢٣-٢٠٢٤.

عدد الشخصيات الرئيسية في كل مسلسل: ١٤-٢٠. ينتمون إلى الفئة الاجتماعية الراقية، وتدور أحداث المسلسل في لبنان.

عينة البحث

عينة عن الكلمات الإنكليزية المستخدمة في مسلسل «الخائن»:

couple, sorry, normal, doctor, mercy, note, moisturizer, ok, bye, grape, shoes, math, scarf, bonjour, el-weekend,

honeymoon, cake, see you, bonjour, monsieur, meter, hello, no way, session, jewelry design, bravo, hotel, focus, special, mom, I am super thrill, camp, dad, sorry, app, editing, look, deal, class, assistant, maximum, exact, homework, scholarship, prestige, presentable, meeting, cream, goal, tactic, good night, terminal, surprise, scarf, lipstick, intimate.

عينة عن الكلمات الإنكليزية المستخدمة في مسلسل «ستيلتو»:

Boucle, perfect, balcony, madam, compound, intimate, terminal , doctor, please, please, save (v) Dream, hills, grade eleven, master, the song in the series is English, long time to see, piano, café, weekend, see you, relax, hello, ok, military school, sexy, bon jour, thank you, shoes, bag, hot chocolate, bravo, school, morning, good morning, please, balatas, color, boots, stylist, at least, minimum, super market, organic, positive, please, compound, sorry, thank you, D ١٠, class, house, baby, nanny, parking…etc

عرض بيانات البحث

تظهر الجداول الآتية توزع الكلمات في المسلسلين ومن ثم توزع الأصناف القواعدية ضمن كلمات اللغة الإنكليزية:

توزع الكلمات في مسلسلي ستيلتو والخائن (الحلقتان الأولى والثانية)

توزع الكلمات بمسلسلي ستيلتو والخائن (الحلقتان الأولى والثانية)	الوقت/ بالدقيقة	مجموع الكلمات	الكلمات العربية	الكلمات الإنكليزية	نسبة الكلمات الإنكليزية
	أول ١٥ دقيقة	٥١٠	٤٠٠	١١٠	22%
	ثان ١٥ دقيقة	٦٩٠	٧٠٠	١٦٠	23%
	ثالث ١٥ دقيقة	٨٠٠	٥٠٠	١٣٥	16%
المجموع	٤٥	٢٠٠٠	١٦٠٠	٤٠٠	20%

النسب المئوية لكل فئة قواعدية

فيما يأتي النسب المئوية لكل فئة قواعدية:

الأسماء: ٠٤, ٦٦٪ – العبارات وأدوات التعجب: ٣٢, ١١٪ – الصفات: ٤٩, ٨٪ – الأفعال: ٧٢, ٤٪ – الظروف: ٧٢, ٤٪ – التعابير الشائعة: ٧٢, ٤٪.

تكشف البيانات التجريبية من الدراسة أن العبارات الإنكليزية تشكل ٢٠٪ من إجمالي الحوار في المسلسلات المعنية مع التركيز على استخدام اللغة الإنكليزية مع الأطفال واليافعين. بينما تمثل الأسماء النسبة العظمى من هذه المفردات بنسبة ٦٦٪ بالمقارنة مع الأصناف القواعدية الأخرى، مع وصول نسبة متعلمي اللغة إلى ١٠٠٪.

الاستنتاجات:

١- الفروق بالنسبة إلى الفئة العمرية:

أ- بالنسبة إلى الأطفال واليافعين:

يتكلم الطفل الذي يدرس في مدرسة دولية بالإنكليزية دائماً من قبيل shoes, mom, I am super excited, camp, dad, sorry, app, editing, deal. وفي أغلب الأحيان، عند الحديث مع الطفل، يتعمد الأهل التحدث معه باستخدام مفردات إنكليزية وكأنهم يخبرونه بطريقة غير مباشرة أنه إذا أردت أن تحجز مكاناً مرموقاً لك في هذا العالم المتغير، فعليك أن تجعل اللغة الإنكليزية وسيلة تواصلك الأساسية.

ب- بالنسبة للرجال والنساء:

معظم الممثلين في المسلسلين هم ممثلون سوريون، وفي المسلسلات الأخرى المصورة في سورية لا يتحدث الممثلون سوى اللغة العربية. مما يظهر توجه كتاب السيناريو لاستخدام الكلمات الإنكليزية ضمن سياق الحوار، وفي سورية قلّما يستخدم الناس مفردات إنكليزية على عكس اللبنانيين الذين اعتادوا استخدام اللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية.

يعكس هذا الأمر الثقافات الجديدة التي يتفاعل معها السوريون مما يؤثر في سلوكهم ولغتهم خاصة بعد الحرب، إذ أجبر الكثير من السوريين على مغادرة البلاد والانتقال خارج وطنهم الأم. وهذان المسلسلان يعكسان هذا الاتجاه الجديد. يحاول السوريون التكيف مع البيئة الجديدة التي يقطنونها، لذا فهم يميلون إلى استخدام اللغة الإنكليزية لإبلاغ الآخرين على نحو غير مباشر بأننا متشابهون ولا سيّما مع انتشار موجات كراهية الأجانب والاتجاهات المعادية للسوريين في تركيا ولبنان ودول أخرى حول العالم.

٢- البعد العاطفي والوجداني لاستخدام اللغة العربية:

تميل الشخصيات إلى استخدام اللغة العربية فحسب حين يكون هنالك مشهد فيه مونولوج شخصي. يعكس هذا الأمر إحساس الشخصيات أن اللغة العربية هي لغة الدفء والحنان، وهي التي يلجأ إليها المرء للتعبير عن مكنوناته العاطفية والانفعالية، وهي عزاؤهم حين يريدون التعبير عن أنفسهم بصدق ودون أي أقنعة.

ومن هذا المنطلق فإن اللغة العربية تعكس الهوية الحقيقية لذلك الشخص بعيداً عن الأعباء والضغوط الاجتماعية التي تدفع الشخص إلى استخدام اللغة المستهدفة لأغراض اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها. وأيضاً تستخدم الشخصيات اللغة العربية فحسب حين تكون في حالة انفعال أو توتر أو غضب. ويعود هذا الأمر لأن الكلمات تتسلل إلى ألسنتهم دون المرور بعملية تصفية لهذه الكلمات في عقولهم كما يقوم المرء بذلك في الأوقات العادية.

٣- البعد الاجتماعي لاستخدام المفردات الإنكليزية:

استُخدِمَت اللغة الإنكليزية كأداة لرسم الحدود الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية. إذ حين تتحدث الشخصيات الثرية في المسلسل تميل إلى استخدام ظاهرة التناوب اللغوي code-switching كوسيلة لإظهار تفوقهم على غيرهم من الناس الذين لا يتمتعون بهذا المستوى العالي من اللغة الإنكليزية،بينما حين يتحدث عوام الناس أو الفقراء في المسلسل مثل المريض «فاروق» فإنهم يستخدمون اللغة العربية فحسب. وحين تتحدّث الدكتورة «أسيل» مع مرضاها العاديين فإنها لا تستخدم سوى اللغة العربية وهو ما يعكس اعتقادها الراسخ والواعي لاستخدامات اللغة، وأن هذا الشخص لن يفهم ما تنطق به بالإنكليزية، وذلك يعود إلى مستواه الاجتماعي المتدني.

ومن الجدير بالذكر أن عدداً محدوداً جداً من المفردات الفرنسية تُستخدم في التفاعل الاجتماعي بين شخصيات المسلسل. ومع ذلك، تنتمي هذه المفردات إلى أنواع المفردات المستخدمة في التحية مثل bon jour وbon nuit وbon soir. ويمكن أن يُعزى هذا إلى الاعتقاد السائد سابقاً بأن التحدث بالفرنسية يعكس النداء الاجتماعي في المجتمع اللبناني قبل تقدم المفردات الإنكليزية.

٤- اللغة الإنكليزية كلغة مرموقة:

غالباً ما يُنظر إلى اللغة الإنكليزية كلغة ذات مكانة أعلى، وترتبط بالعولمة والتعليم والحداثة. وينطبق هذا الاتجاه على نحو خاص في البيئات الحضرية والطبقات العليا

والمهنية حيث قد يُنظر إلى إتقان اللغة الإنكليزية كمؤشر على المكانة الاجتماعية والاتصال الدولي والهوية الدولية.

٥- التبديل بين الشفرات للتعبير عن الهوية:

من خلال دمج الأسماء الإنكليزية، يمكن للمتحدثين السوريين الإشارة إلى مكانتهم النخبوية أو انحيازهم إلى هوية عالمية، مع الحفاظ على جذورهم الثقافية والوطنية من خلال اللغة العربية. يسمح هذا التبديل بين الشفرات للمتحدثين بوضع أنفسهم ضمن مجموعات اجتماعية متعددة (النخبة، والمتعلمين، والدوليين).

٦- التخصص الوظيفي لغلبة استخدام الأسماء الإنكليزية nouns:

- استعارة المفاهيم الحديثة أو المتخصصة: تُظهر الأبحاث أن الأسماء غالباً ما تُستعار من لغة ثانية حين تشير إلى مفاهيم حديثة أو متخصصة أو تقنية. في السياق اللبناني السوري، تُستخدم اللغة الإنكليزية غالباً للمصطلحات المتعلقة بالتكنولوجيا والأعمال والأزياء والعلوم. تشير هيمنة الأسماء إلى أن اللغة الإنكليزية تُستخدم في هذه المجالات الوظيفية حيث قد لا يكون للغة العربية معادلات شائعة الاستخدام أو حيث يُتَعرّفُ المصطلح الإنكليزي على نطاق أوسع.
- الفجوات المعجمية أو الكفاءة: قد تملأ الأسماء الإنكليزية أيضاً فجوات في المعجم العربي، وخاصة للمصطلحات التي ليس لها معادلات دقيقة أو أكثر إيجازاً في اللغة الإنكليزية. ففي البيئات المتعددة اللغات، غالباً ما يختار المتحدثون المصطلح الأسرع أو الأكثر شيوعاً في سياق معين.

٧- تحول اللغة أو الحفاظ عليها:

- مؤشر تحول اللغة: يمكن أن تكون النسبة العالية من اللغة الإنكليزية في مجال معين (مثل الأسماء) علامة مبكرة على تحول اللغة، حيث يدمج المتحدثون ببطء المزيد من اللغة الإنكليزية، ولا سيّما في المجالات المهنية أو الرسمية. إذا

انتشر هذا السلوك خارج المتحدثين رفيعي المستوى، فقد يؤدي ذلك إلى زيادة استخدام اللغة الإنكليزية بين مجموعات أخرى، مما قد يؤثر في سياسات اللغة أو أنظمة التعليم.

- الحفاظ على البنية العربية: على الرغم من استخدام الأسماء الإنكليزية، فمن المرجح أن يظل الهيكل العام للمحادثة باللغة العربية. وهذا يعكس نمطاً يُعرف باسم التبديل الإدراجي، إذ يُدرَج كلمات أو عبارات محددة من لغة واحدة في البنية النحوية للغة الأخرى، مما يشير إلى الحفاظ على اللغة جنباً إلى جنب مع استعارة العناصر المعجمية.

٨- العولمة والتأثير الثقافي:

- تأثير وسائل الإعلام العالمية والتعليم: قد يعكس استخدام الأسماء الإنكليزية أيضاً تأثير وسائل الإعلام العالمية والترفيه والتعليم، حيث تنتشر اللغة الإنكليزية. في لبنان، الذي يتمتع بتقليد قوي من التعدد اللغوي (العربية والفرنسية والإنكليزية)، يتبنى المتحدثون السوريون من الطبقة الراقية الأسماء الإنكليزية كجزء من تعرضهم للثقافات الدولية، وخاصة في قطاعات مثل الأعمال والتكنولوجيا والأوساط الأكاديمية.
- السياق اللبناني: نظراً لأن لبنان بلد متعدد اللغات حيث تتعايش العربية والفرنسية والإنكليزية، فقد يتكيف المتحدثون السوريون من الطبقة الراقية مع «قاعدة محلية للتعدد اللغوي»، إذ تُدمَج اللغة الإنكليزية على نحو متزايد في الكلام اليومي.

٩- التبديل اللغوي كاستراتيجية لغوية:

- تمييز الخبرة أو عضوية المجموعة: قد يكون التبديل اللغوي إلى اللغة الإنكليزية، ولا سيّما للأسماء المحددة، استراتيجية لإظهار الخبرة أو الانحياز إلى مجموعة اجتماعية معينة (على سبيل المثال، المهنيون في مجال الأعمال أو القانون أو التكنولوجيا). تُظهر الأبحاث أن المتحدثين غالباً ما يتحولون إلى لغة مرموقة أو

أجنبية حين يريدون تأكيد المعرفة أو السلطة في مجال ما.

- الوظيفة البراجماتية: قد تخدم اللغة الإنكليزية وظائف براجماتية في التواصل، مما يجعل بعض الموضوعات (مثل الموضوعات الفنية أو الأعمال أو الموضة) أكثر سهولة في الوصول إليها أو مألوفة أو ذات صلة.

الخاتمة

١. التبديل بين اللغات والتكيف مع اللغة: أصبحت اللغة الإنكليزية لغة عالمية رئيسية، وفي المجتمعات المتعددة اللغات مثل لبنان، قد يتحول الأفراد بين اللغات أثناء المحادثات. وينطبق هذا على نحو خاص على الأفراد من الطبقة العليا الذين غالباً ما يكون لديهم إمكانية الوصول إلى التعليم والتعرض الدولي. يشير استخدام الأسماء الإنكليزية على وجه الخصوص إلى أن هؤلاء المتحدثين قد يتكيفون مع المصطلحات الإنكليزية التي تفتقر إلى المكافئات المباشرة في اللغة العربية، أو يستخدمون اللغة الإنكليزية للمفاهيم الحديثة والعولمية (Alexiadou & Lohndal, 2018). يتماشى هذا مع البحث في خلط اللغة والتبديل بين اللغات الذي يحدد دمج العناصر المعجمية من اللغات المهيمنة مثل اللغة الإنكليزية في الكلام اليومي للمتحدثين ثنائيي اللغة.

٢. الحظوة والهوية: قد يُنظر إلى اللغة الإنكليزية، ولا سيّما الأسماء المتعلقة بالحياة المهنية أو التقنية أو الحياة الحديثة، على أنها لغة مرموقة. في لبنان، حيث ارتبطت الفرنسية والإنكليزية تاريخياً بالتعليم العالي والمكانة الاجتماعية، فإن دمج الأسماء الإنكليزية من قبل السوريين من الطبقة العليا يمكن أن يدل أيضاً على رغبتهم في الحفاظ على هوية اجتماعية معينة أو تأكيدها (Diab, 2009). يمكن أن يسلط اختيار اللغة الإنكليزية الضوء على هوية ثنائية اللغة أو عالمية، تعكس التأثيرات الاقتصادية أو التعليمية أو الثقافية من الغرب (Ennaji, 1991).

٣. ثنائية اللغة والعوامل المعرفية: التركيز على الأسماء مهم لأن الأسماء هي عادةً الفئة اللغوية الأكثر استعارة في مواقف الاتصال اللغوي. وقد أظهرت الأبحاث

أن الأسماء تميل إلى الاندماج بسهولة أكبر في الخطاب الثنائي اللغة بسبب دورها النحوي الأقل تعقيداً مقارنة بالأفعال والفئات النحوية الأخرى (Muysken, 2000).

يعكس هذا السلوك اللغوي كثيراً من الاتجاهات الرئيسية في المجتمعات المتعددة اللغات، ولا سيّما بين النخبة. وهذا يشير إلى أن اللغة الإنكليزية ليست مجرد مؤشر على المكانة الاجتماعية والهوية الدولية، بل إنها تؤدي أيضاً دوراً وظيفياً في التعبير عن الحداثة والاحترافية والتواصل العالمي. ومع ذلك، فإن حقيقة أن استخدام اللغة الإنكليزية يقتصر في المقام الأول على الأسماء تشير إلى أن اللغة العربية لا تزال مهيمنة من حيث البنية النحوية والمحادثة العامة.

المراجع

Alexiadou, A., & Lohndal, T. (2018). Units of language mixing: A cross-linguistic perspective. Frontiers in Psychology, 9, 1719.

Ayish, M. I. (2003). Arab world television in the age of globalization: An examination of transnational broadcasting in the Middle East. Arab Studies Quarterly, 25(4), 1531-.

Bassiouney, R. (2022). Language and Identity in Modern Egypt. Cambridge University Press.

Diab, R. (2009). Lebanese university students' perceptions of ethnic, national, and linguistic identity and their preferences for foreign language learning in Lebanon. The Linguistics Journal, Special Edition, 101120-.

Elasmar, M. G. (2003). The impact of international

television: A paradigm shift. Lawrence Erlbaum Associates.

Elsheikh, A., & Saleh, F. (2022). The Influence of Western Media on Arab Youth: A Critical Analysis. Middle Eastern Studies, 58(3), 333352-.

Ennaji, M. (1991). Aspects of multilingualism in the Maghreb. International Journal of the Sociology of Language, 87(1), 726-.

Fahmy, S. (2021). Global Media, Local Impact: The Role of Mass Media in Shaping Cultural Identity in the Arab World. International Journal of Communication, 15(1), 245267-.

Muysken, P. (2000). Bilingual speech, a typology of code-mixing. Cambridge University Press. Uk.

Ryding, K. C. (2010). A reference grammar of Modern Standard Arabic. Cambridge University Press.

Saleh, M. (2022). Globalization and Cultural Identity in the Arab World: Challenges in the Digital Age. Arab Studies Quarterly, 44(2), 190208-.

Zughoul, M. R. (2003). Globalization and EFL/ESL pedagogy in the Arab world. International Journal of Humanities, 1(1), 120-.

❖ ❖ ❖

هجرة الكلمات من لغة الضاد إلى بلاد الأندلس

آلاء أبو زرار

مقدّمة

قيل إنّ الكلام هو معجزة الإنسان. ومن إعجاز الكلمات أنها حية تخلق من رحم المعنى، وتمر عبر الألسنة الفانية التي تغادرها لساناً تلو الآخر، لتبقى الكلمة خالدة في ذاكرة الحضارات. بها يحيا الإنسان وبها يموت. ولولا الكلمة لظن المرء أنه أول الخلق، وأنه ما من بشر قد اختبروا الحياة من قبله. والسر كله يكمن في حركة هذه الكلمات بين اللغات والحضارات. للكلمة قدرة سحرية على حزم متاعها إن لزم الأمر والسفر عبر الزمن لتبقى شاهدة على ماضٍ ظنناه اندثر. تلك هي هجرة الكلمات التي سنمرّ عليها في هذه الورقة البحثية. هي هجرة تمت في ظروف تاريخية استثنائية لتجعل لغة الضاد رحالة مغامراً حطَّ رحاله في كنف بلاد الأندلس، وأخرج من جَعْبته الكثير من التعابير والمعاني التي بقيت حتى يومنا هذا.

المثاقفة ما بين اللغتين العربية والإسبانية:

تُعَدُّ اللغة الإسبانية معبراً لأي مقاربة يقوم بها الباحثون في المثاقفة اللغوية والتاريخية ما بين الأندلس والوطن العربي. فنجد في الإسبانية ما من شأنه أن يوثق القيم الحضارية والثقافية والأحداث التاريخية في بلاد الأندلس آنذاك. استمرت اللغة الإسبانية في نقل ما استطاعت نقله من الإرث العلمي الذي تركته الحضارة العربية والإسلامية. فمن المعروف أن اللغة ليست مجرد كلمات وقواعد نحو، بل إنها تحمل بين طياتها قيماً حضارية هي مزيج بين الثقافتين في الماضي والحاضر.

ومما لا شك فيه أن اللغة العربية كانت لغة العلوم والتطور، وكان الطلاب الأجانب في الأندلس يسارعون لإتقانها ليرفعوا من مستوى حصيلتهم العلمية. لكن في هذا الزمن نشهد تراجعاً في اهتمام الطلاب الإسبان في تعلّم اللغة العربية التي كانت مركز اهتمام أجدادهم. وقد أعرب اللغوي المستعرب خوان جويتيسولو عن امتعاضه إزاء هذا التراجع معتبراً أنه من المحال التطرق للثقافة الإسبانية في غياب اللغة العربية كونها أحد مكونات هذه الثقافة. وهذا وجه من أوجه المثاقفة التي تمثلت بالمورسكيين وهم أهل الأندلس الأصليون الذين عانوا من التهجير والاغتراب في أمريكا اللاتينية. فتأتي اللغة الإسبانية لتكون مثالاً على التثاقف ما بين العرب والإسبان الذين امتزجت دماؤهم وأصولهم. وقد تشربت شبه الجزيرة الإيبيرية الكثير من الثقافة العربية نتيجة دخول العرب للمنطقة وذلك على امتداد أكثر من ثمانية قرون، فنجد أن الحياة اليومية لدى سكان إسبانيا والبرتغال مشبعة بالكثير من العادات والتقاليد العربية حتى الإسلامية على الرغم من أن من يقوم بهذه العادات الآن قد لا يكون عربياً ولا حتى مسلماً. فنجد في بعض القرى الإسبانية أن العجائز ما يزلْنَ حتى يومنا هذا يردِّدْنَ عبارة «لا لا خالا» فوق رأس جثمان قريب لهم، ويؤكد الخبراء في المخطوطات التي تركها المورسكيون أن هذه العبارة تعني «لا إله إلا الله»، وإن سألت عجوزاً من هؤلاء العجائز عن معنى ما تقول في مراسم العزاء فسيهز رأسه ويقول: إنها مجرد عادة توارثها عن أجداده كي ترقد روح الفقيد بسلام.

كلمات مهاجرة:

لا تقتصر الكلمات المهاجرة من العربية إلى الإسبانية على الجانب الأدبي والديني، بل تطال الجانب الإقتصادي نظراً للطرق التجارية التي كانت رائجة في ذلك العصر ما بين الإسبان والعرب. فنجد دخول هذه الكلمات قد طال جميع أوجه الحياة اليومية لدى الإسبان، ونذكر الشيء اليسير على مستوى لفظ الحروف. فالإسبانية أخذت من العربية حرفي الثاء والخاء ومن النحو نجد أن ال التعريف

موجودة أيضاً وتلفظ (el). ومن الكلمات التي دخلت المطبخ الإسباني مثلاً نجد:

Barenjan: أي باذنجان. azucar: أي السكر. aceit: الزيت.

ونجد في عالم القماش والأثاث واللباس الكثير مثل كلمة: almohada: أي المخدة. camisa وتعني القميص.

ومن ناحية التأثر بالجانب الديني نلحظ أنهم يلقون التحية بقول: hola وهي كلمة آتية من لفظ الجلالة الله. ojalala وتعني إن شاء الله. وللدلالة على شخص بلا أخلاق يقال: mindonde: أي من دون دين. وأخيراً كلمة mezquita، وتعني مسجداً.

الألخاميادو:

بعد سقوط الأندلس بات تداول اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون. فنشأت في القرن الخامس عشر لغة هجينة تعتبر آخر القلاع اللغوية لدى المورسكيين، وهي لغة الألخاميادو، وهي عبارة عن تطبيق نظام رسومي وهجائي موحد للترجمة الصوتية من الإسبانية إلى الحروف العربية. وهو يعتبر تحدياً كبيراً واجهه المورسكيون في التوفيق ما بين الحروف العربية الثقيلة على الأصوات الإسبانية الرقيقة. فاجتهد أهل الأندلس في الحفاظ على هويتهم الثقافية من الاندثار، وذلك من خلال مبادلة كل حرف روماني قشتالي بحرف عربي وجدوه الأقرب إليهم من ناحية الصوت محاولين التوفيق بين ما هو مكتوب بالحروف العربية وما هو منطوق من أصوات إسبانية.

وتشتق كلمة ألخاميادو من الكلمة aljama التي تعني الحي الذي يسكن فيه المسلمون.

ومن أهم الكتابات التي استخدمت لغة الألخاميادو كي تنجو من الضياع: قصة «العصر الذهبي» وقصة «علي والأربعون جارية» وقصة «الإسكندر ذو القرنين». وفي مجال العلوم التقنية كتاب «إبراهيم المرباش» المسمى: العز والمنافع للمجاهدين

بالمدافع. وهو كتاب متخصص في التقنية العسكرية. وفي نهاية القرن التاسع عشر كُشف عن مخطوطات بلغة الألخميادو تضم السيرة النبوية وقصص الأنبياء وبعض كتب الفقه والحديث. وهي محفوظة إلى الآن في المكتبة الوطنية في مدريد.

دور الترجمة في المثاقفة ما بين العربية والإسبانية

في العصر الحديث برزت الكثير من الجهود لتعزيز الصلة ما بين العربية والإسبانية ولا وسيلة أكثر نجاحاً في هذا الصدد أفضل من الترجمة. لهذا فقد نشأت في إسبانيا كثير من المؤسسات مثل مؤسسة البيت العربي التي عنيت بترجمة الكثير من الأعمال الإسبانية إلى القارئ العربي. إلى جانب مؤسسة ابن طفيل التي ترجمت قرابة الأربعين كتاباً من العربية إلى الإسبانية. كما نشأ في إسبانيا مشروع ثقافي بعنوان «موسوعة المكتبة الأندلسية»، وهي تصدر الكتب باللغة الإسبانية، فتقدم للقارئ الإسباني عدداً كبيراً من كبرى الأعمال الأدبية في العالم العربي. كما قام المستشرق الإسباني إيميليو غارثيه غوميث بترجمة الأدب الأندلسي إلى الإسبانية ليكون في متناول القارئ الإسباني إرث يخبره عن الحضارة العربية التي سادت في المنطقة لثمانية قرون كاملة.

وقد بان أثر المثاقفة العربية في الترجمات الإسبانية وعلى الأدباء أنفسهم، ولعل أبرزهم الشاعر والروائي الإسباني أنطونيو غالا الذي دفعته أصوله الأندلسية للغوص في أعمال أدبية تناولت الوجود العربي والأمازيغي في الأندلس، فكتب: «المخطوط القرمزي» عن سيرة آخر ملوك الأندلس أبي عبد الله الصغير إضافة إلى عناوين أخرى مثل: غرناطة بني نصر، والأندلسي وكتاب قرطبة غالا.

ومن الأعمال الأدبية التي كُتبت بقلم إسباني، وتشبعت بالروح العربية رواية الزعفران للأديب الإسباني خوسيه مانويل غارسيا مارين الذي يرى نفسه عاشقاً للعالم الأندلسي ولقصر الحمراء. فمن الواضح إلى أي مدى أصبحت الأندلس وطناً روائياً في العوالم السردية لدى كثير من الروائيين الإسبان المعاصرين.

خاتمة

تهدف كل هذه الجهود إلى بلورة المثاقفة التاريخية القائمة ما بين الحضارتين العربية والإسبانية التي لا يمكن أن تكون قائمة لولا وجود الترجمة التي كانت وما تزال منارة تنير طريق الباحثين واللغويين لاكتشاف الماضي ولفهم رؤية كل أمة لهذا الماضي وللحاضر في شتى المجالات. فعلى الرغم من التاريخ الدموي الذي واكب تلك الحقبة في شبه الجزيرة الإيبيرية وعلى الرغم من حرق عدد هائل من الكتب التي كانت شاهدة على حالة المثاقفة آنذاك، ما بقي من المخطوطات إلى جانب جهود المترجمين كان كفيلاً بمدّ جسر عقلاني ومسالم بين المفكرين في كلتا الحضارتين.

هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة

رهف الخطيب

اللغة العالمية: هي اللغة التي تُستخدم على نطاق واسع في التواصل بين الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافات ولغات مختلفة، وتكون عادةً هي اللغة الثانية للأفراد الذين ليست لغتهم الأم، وتلعب اللغة العالمية دوراً مهماً في تسهيل التواصل الدولي والثقافي والتجاري.

من الجدير بالذكر أنه لا يوجد لغة عالمية معترف بها رسمياً في جميع أنحاء العالم، ولكن اللغة الإنكليزية هي اللغة الأكثر انتشاراً على مستوى العالم، وتُستخدم على نطاق واسع في عدة مجالات مثل: التكنولوجيا والعلوم والأعمال.

إن تحول لغة ما إلى لغة عالمية هو أن تصبح هذه اللغة ملك كل من تعلمها «له نصيب فيها»، أي ألا أحد يملكها بعد الآن..

حين تكتسب اللغة دوراً خاصاً معترفاً به في كل بلد يكون للغة ما مكانة عالمية حقيقية. قد يبدو هذا وكأنه شيء بديهي، ولكنه ليس كذلك، لأن مفهوم «الدور الخاص» له عدة جوانب. ويكون هذا الدور واضحاً في البلدان التي يتحدث بها عدد كبير من الناس اللغة كلغة أم. وفي حالة اللغة الإنكليزية، فإن هذا يعني أن الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وأيرلندا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب إفريقيا والعديد من بلدان الكاريبي ومجموعة من الأقاليم الأخرى. ولكن استخدام اللغة الأم في عدة بلدان وعدد الأفراد والدول التي تتحدث هذه اللغة لا يمكن أن يعطي هذه اللغة صفة العالمية ومثال على ذلك اللغة الإسبانية فهي اللغة الأم في نحو عشرين دولة ولا سيّما في أميركا اللاتينية. ومن ثَمَّ، فإن استخدام اللغة الأم في حد ذاته لا يمكن أن يمنح

اللغة مكانة عالمية. ولتحقيق مثل هذه المكانة للغة على أنها عالمية، يتعين على البلدان الأخرى في مختلف أنحاء العالم أن تتبنى هذه اللغة. ويتعين على هذه البلدان أيضاً أن تقرر منحها مكانة خاصة داخل مجتمعاتها، حتى ولو كان عدد المتحدثين بها كلغة قليلاً (أو لا يوجد على الإطلاق).

يمكن جعل لغة ما لغة رسمية لبلد ما، وذلك لاستخدامها كوسيلة للتواصل في مجالات رسمية مثل المحاكم ووسائل الإعلام والنظام التعليمي. ولتحقيق هذا الهدف بنجاح في هذه المجتمعات، فمن الضروري إتقان هذه اللغة التي اعتبروها اللغة الرسمية في مجتمعاتهم في وقت مبكر قدر الإمكان. وكثيراً ما توصف مثل هذه اللغة بأنها «لغة ثانية»، لأنها تعتبر مكملة للغة الأم أو «اللغة الأولى». ويتجلى دور اللغة الرسمية اليوم على نحو ملحوظ في اللغة الإنكليزية، التي تتمتع حالياً بنوع من المكانة الخاصة في أكثر من سبعين دولة، مثل غانا ونيجيريا والهند وسنغافورة وفانواتو.

يمكن جعل لغة ما أساسية في تدريس اللغات الأجنبية في المدارس في بلد ما، حتى ولو لم تكن هذه اللغة لغة رسمية. وتصبح اللغة التي يتعلمها الأطفال في المدرسة، وتكون بذلك اللغة الثانية بالنسبة إليهم.

تؤدي اللغة الصينية المندرينية دوراً مهماً في جنوب شرق آسيا. والآن أصبحت اللغة الإنكليزية هي اللغة الأكثر انتشاراً في التدريس كلغة أجنبية - في أكثر من مئة دولة، مثل الصين وروسيا وألمانيا واسبانيا ومصر والبرازيل - وفي أغلب هذه الدول أصبحت اللغة الإنكليزية هي اللغة الأجنبية الرئيسية التي تُدرَّس في المدارس، وكثيراً ما تحل محل لغة أخرى في هذه العملية. على سبيل المثال، في عام ١٩٩٦ حلت اللغة الإنكليزية محل اللغة الفرنسية كلغة أجنبية رئيسية في المدارس في الجزائر.

هناك تباين كبير في الأسباب التي تدفع إلى اختيار لغة معينة كلغة أجنبية مفضلة عن غيرها: وتشمل هذه الأسباب التقاليد التاريخية، والرغبة في الاتصال لغاية التبادل التجاري أو الثقافي أو التكنولوجي. وفي حالة اختيار اللغة الأجنبية المفضلة، فإن «وجود» اللغة قد يختلف إلى حد كبير، وذلك بناءً على الدعم المالي الكافي لتعليم

اللغة. وفي بيئة مدعومة ومهيأة على نحو جيد، وذلك بتخصيص الموارد لمساعدة الأفراد على الوصول إلى اللغة وتعلمها، من خلال وسائل الإعلام والمكتبات والمدارس ومعاهد التعليم العالي. وبزيادة عدد ونوعية المعلمين القادرين على تدريس اللغة. وإتاحة الكتب والأشرطة وأجهزة الحاسوب، وجميع أنواع المواد التعليمية.

وتضيف هذه الأسباب إلى تعقيد الموقف العالمي الحالي للغة الإنكليزية، ولكنها لا تغير السبب الأساسي. فبسبب التطور الثلاثي المتحدثين باللغة الأولى، واللغة الثانية، واللغة الأجنبية. فمن المحتمل أن تصبح اللغة العالمية في نهاية المطاف مستخدمة من قِبَل عدد أكبر من الأفراد مقارنة بأي لغة أخرى. وقد وصلت اللغة الإنكليزية بالفعل إلى هذه المرحلة. وتشير الإحصاءات إلى أن نحو ربع سكان العالم يجيدون اللغة الإنكليزية بالفعل، وأن هذا الرقم ينمو باطراد ـ ففي أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بلغ هذا الرقم نحو ١,٥ مليار شخص. ولا يمكن لأي لغة أخرى أن تضاهي هذا النمو. وحتى اللغة الصينية، التي توجد في ثماني لغات منطوقة مختلفة، ولكنها موحدة بنظام كتابة مشترك، لا يعرفها سوى نحو ١,١ مليار شخص.

(Crystal, 2003)

تشير هيمنة اللغة الإنكليزية إلى السيطرة المطلقة أو الهيمنة السياسية والثقافية التي تمارسها اللغة الإنكليزية على مستوى عالمي، وتُعَدُّ اللغة الإنكليزية الآن اللغة الأكثر انتشاراً واستخداماً في العالم، وتستخدم كلغة أساسية في الاتصالات العالمية والعلمية، المالية والتجارية. ونتيجة لهذا الانتشار الواسع، أصبحت اللغة الإنكليزية وسيلة مهمة للتواصل بين الثقافات والشعوب المختلفة.

(Kachru, 1986)

من أسباب تطور اللغة الإنكليزية كلغة عالمية:

الإمبراطورية البريطانية: كانت الإمبراطورية البريطانية واحدة من أكبر الإمبراطوريات في التاريخ، وكان للغة الإنكليزية دور مهم في انتشارها حول العالم نتيجة سيطرة الإمبراطورية على كثير من البلدان، مما أدى إلى انتشار اللغة الإنكليزية في هذه البلدان نتيجة التبادل الثقافي والتجاري.

الثورة الصناعية: أسهمت الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر في نمو القوى الاقتصادية والصناعية للدول الناطقة بالإنكليزية، مما جعلها لغة رئيسية في التجارة والصناعة العالمية، إذ أدت إلى انتشار التجارة والصناعة والابتكارات التقنية التي جعلت اللغة الإنكليزية لغة رئيسية في هذه القطاعات.

العولمة: مع زيادة التجارة الدولية والاتصالات والثقافة العالمية، أصبحت الحاجة إلى لغة مشتركة للتواصل بين الثقافات ملحة، وكانت اللغة الإنكليزية الخيار الأكثر شيوعاً بين الدول الناطقة باللغة الإنكليزية.

الإعلام والتكنولوجيا: تأثير الإعلام والتكنولوجيا الحديثة كان له دور كبير في انتشار اللغة الإنكليزية، حيث أصبح استخدام الإنترنيت ووسائل الإعلام العالمية باللغة الإنكليزية كلغة أساسية في هذا المجال.

(Crystal, 2003)

الترجمة: تؤدي الترجمة دوراً مهماً في انتشار اللغة الإنكليزية على مستوى العالم، من خلال عملية الترجمة، تُنقل المعرفة والثقافة من لغة إلى أخرى، مما يسهل فهم اللغة الهدف واستيعابها وزيادة التفاعل بين الثقافات المختلفة، تُعَدُّ الترجمة وسيلة فعالة للتواصل والتفاهم بين الشعوب وتسهم في تبادل الأفكار والمعلومات.

ترجمة النصوص الأدبية والشعر، المقالات العلمية، التقارير الاقتصادية، والمواد التعليمية إلى اللغة الإنكليزية تسهم في انتشارها وزيادة انتشار المعرفة والمعلومات بين الأفراد والمجتمعات. كما تُعَدُّ الترجمة أداة للتواصل الثقافي والتفاهم بين الشعوب.

(Bassnett, Lefevere, 1998), (Baker, 2018)

كما أن لسهولة مفردات اللغة الإنكليزية وقواعدها، وسهولة تركيب جملها دوراً كبيراً في انتشارها عالمياً، فمفردات اللغة الإنكليزية المشتقة من لغات أخرى مثل الفرنسية واللاتينية وغيرها من اللغات تسهل على الناطقين بلغات أخرى فهم مفرداتها وتعلمها بسرعة.

وتعتبر قواعد اللغة الإنكليزية بسيطة نسبياً مقارنةً ببعض اللغات الأخرى مما يجعلها سهلة التعلم والاستيعاب.

وتتميز اللغة الإنكليزية بتركيب جمل بسيط ومباشر، مما يجعلها أكثر وضوحاً وسهولة في التعبير والتواصل. وهذا ما يشجع الأفراد على تعلمها واستخدامها على مستوى العالم.

(Celce-Murcia, Larsen-Freeman, 2015). (Swan, Watter, 2013)

ومما أدى أيضاً إلى انتشار اللغة الإنكليزية عالمياً هو سهولة تعلمها والتشجيع على تعلمها، وذلك يعود إلى سهولة العثور على موارد تعلمها وإمكانية ممارسة اللغة الإنكليزية في الحياة اليومية، ويكون أيضاً لدى الأفراد رغبة ودافع لتعلمها نظراً لأهميتها في مجالاتٍ عدة منها: الدراسة والعمل والسفر. ولا شك أن لتنوّع الموارد التعليمية المتاحة لتعلم اللغة الإنكليزية دوراً كبيراً في انتشارها عالمياً، ومن هذه الموارد الكتب الإلكترونية والدورات التعليمية المتاحة عبر الشابكة التي تكون أغلبها مجانية أو بسعر قليل وإمكانية اتباع هذه الدورات في أي وقت، وبالتأكيد تطور التطبيقات الذكية التي تساعد على تعلم اللغة الإنكليزية وسهولة الحصول عليها ومن هذه التطبيقات: القواميس وتطبيقات المحادثة وتعلم المفردات وغيرها.

أثر هيمنة اللغة الإنكليزية على المشهد الثقافي العالمي:

اللغة هي أداة التواصل بين أفراد المجتمع، وهي الأداة الوحيدة للتعليم والتعلم ونهوض أي مجتمع، الثقافة هي جميع النتاجات المادية والمعنوية التي ينتجها المجتمع عبر تاريخه في سبيل الحفاظ على ديمومته واستمراريته، واللغة هي الوسيلة الوحيدة لنقل الثقافة بين المجتمع الواحد وبين المجتمعات الأخرى. إن العلاقة بين الثقافة واللغة وطيدة ومتينة، فلا يمكن أن تكون ثقافة بلا لغة، ولا لغة بلا ثقافة، فاللغة والثقافة يرتبطان معاً برابط قوي حيث لا يمكن أن تنفصل أحدها عن الأخرى، كما أن اللغة هي الجسر المتين الذي يحتفظ بالتراث الثقافي وتنقله من جيل إلى آخر، واستخدام المجتمع للغة يجعل المعارف والأفكار البشرية ذات قيمة اجتماعية.

وتعلم أي لغة يجب أن يكون في إطار ثقافتها لأن أي مجتمع لا يمكن له أن يؤسس نفسه إلا من خلالها، وهي الوسيلة لنقل ثقافتها إلى جميع أنحاء العالم، فاللغة والثقافة جزء لا يتجزأ تنشأ وترعرع في وقت واحد، وهذا ما تجسده قوة العلاقة بينهما وترابطهما المتين.

مفهوم الثقافة (culture):

يعود أصل كلمة culture إلى الكلمة اللاتينية culture التي تعني حرث الأرض وزراعتها وقد بقيت هذه الكلمة مقترنة بهذا المعنى في العصرين اليوناني والروماني، حيث استخدمها شيشرون مجازاً بالدلالات نفسها. فقد أُطلق على الفلسفة Medis Culture أي زراعة العقل وتنميته وفي عصر النهضة اقتصر مفهوم culture على مدلوله الفني والأدبي فتمثل في دراسات تتناول التربية والإبداع، وبعدها عمد فلاسفة القرن السابع عشر إلى تطبيق المناهج العلمية في دراسة المسائل الإنسانية وأفردوا مضماراً خاصاً للعمليات المتعلقة بمفهوم culture ففي كتابه (تقدم المعرفة) يعتمد فرنسيس بيكون صورة التثمير الزراعي للدلالة على أحد مرامي الفلسفة الكامن في هذا المفهوم واستخدمها بذات المعنى فولتير وأقرانه من مفكري فرنسا، حيث كانت كلمة culture تعني لديهم تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة واستعملها توماس هوين بمعنى العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويريه على جذرها اللغوي والدلالات المشتقة منه إلى أن جاء أدوارد تيلور ووضع كتابه Primitive Culture عام ١٨٧١، وفي أول فقرة في كتابه وضع تعريفاً لهذا المفهوم يُعد حتى اليوم من أوفى التعريفات وأشملها بحيث لا يزال يُستخدم في معظم الكتابات الأنثروبولوجية. وينصُّ هذا التعريف على أن culture بمعناها الأنثوغرافي الواسع هي: ذلك الكلَ المركب الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع وبانتقال مفهوم culture إلى Kulture الألماني اكتسبت الكلمة مضموناً جماعياً، فقد أصبحت تدلُّ على التقدم الفكري الذي يحصل عليه الفرد أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة، وذلك اتساقاً مع التصور

الألماني لتاريخ البشرية الذي يعتبر درجات التقدم الفكري معياراً أساساً للتمييز بين مراحله ففي القرنيين التاسع عشر والعشرين عالج المفكرون الألمان – انطلاقاً من دراسة تاريخ culture طبيعة الحياة الروحية والعلاقة بين علوم نيتشه فيلهيلم ديلتاي، فيلهلم فانيدل باند، هاينريش روبكيرت وجورج سيميل، الخطوط العريضة للتفكير الفلسفي والاجتماعي القائم على القيم المجسدة في إنتاجات هذا المفهوم وعلى طبيعة القيم المتعلقة به.

ويعرف الفيلسوف الأمريكي جون ديوي مع culture بأنها حصيلة التفاعل بين الإنسان وبيئته ويعرفها رالف لنتون بأنها شكل متكامل من السلوك المكتسب ونتائجه، يشترك في عناصره وينقلها أفراد مجتمع معين، أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، أو هي الجزء الذي خلقه الإنسان في محيطه وهي التي تحدد الأساليب الحياتية، أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات.

وقد ورد غي معجم ويبستر الجديد الثالث أن culture تتمثل فيما يأتي:

١- فن الزراعة أو عملية الزراعة.

٢- عملية التنمية الناتجة عن التعليم والنظام والخبرة الاجتماعية.

٣- استنارة التذوق وامتيازه اللازمان للممارسة الفكرية والجمالية في:

- المضمون الفني والفكري للمدنية.

- تنقية السلوك والتذوق الفكري.

- تعرُّف الفنون الجميلة والإنسانيات والمجالات الفسيحة للعلم وتذوقها باعتبارها نوعاً من المهارة أو المعرفة الإدارية أو التقنية أو المهنية.

٤- الإطار الجمالي للسلوك البشري ومنتجاته المتمثلة في الفكر والكلام والعمل المعتمد على قدرة الإنسان على التعليم ونقل المعرفة إلى الأجيال المتتالية من خلال استعمال الأدوات واللغة ونُظُم التفكير المجردة.

إن الثقافة تنشأ في مجتمع معيَن ثم تنتشر إلى المجتمعات الأخرى فيما يترجم «الانتشار الثقافي» أي انتقال الثقافة من المجتمع الأكثر رقيّاً إلى المجتمعات الأدنى أو الأقل تطوّراً.

التثاقف أو المثاقفة Acculturation:

ويُقصد بها أثر الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال بينها أيّاً كانت طبيعة هذا الاتصال أو مُدته، وقد عرَف ميلفن هرسكوفيتز ورالف لنتون وروبرت رفيلد (التثاقف) بأنه التغيير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر، مما يترتب عليه حدوث تغييرات في الأنماط الثقافية الأصيلة السائدة في إحدى الجماعتين أو فيهما معاً.

(نصر محمد عارف، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، ص ١٩-٢٥).

العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة وطيدة ومتينة ولا يمكن فصلهما بعضهما عن بعض، تعتبر اللغة الوسيلة التعبيريّة التي يعبّر فيها الإنسان عمّا يجول في خاطره من أفكار، ومن هنا فإنّ اللغة هي أساس الثقافة، فمن خلالها يمكن للإنسان أن يشرح للآخرين وجوه التميّز الثقافيّ لدى أمّته، ويتعرّف أيضاً على الثقافات العالمية الأخرى. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ الثقافة توظّف وبشدة عند تعليم اللغات للأجانب الراغبين في تعلّمها، فهنا يكمن مدى التكامل بين الثقافة واللغة، فهما مترابطتان بصلابة، ولا يمكن الفصل بينهما مهما حصل. إلى جانب ذلك، فإنّ ثقافة المجتمع تسهم في تطور لغته وإثرائها، من خلال إدخال كثير من المفردات الجديدة إليها، فاللغة تقتبس مفرداتها من ثقافة الشّعوب الأصليّة التي تتكلم بها، وما اللغة العربيّة وبحر مفرداتها الذي لا حصر له إلّا مثالٌ واضحٌ وجليٌّ على ذلك. فالحفاظ على اللغة والثقافة تحدّد شخصيّة الفرد والمجتمع، والتي تسهم في توجيه التفكير لدى الإنسان، فمن الضروري الاعتناء بهما، وتوريثهما إلى الأجيال اللاحقة، وهذا الواجب يتوزّع على العديد من الجهات؛ كالأسرة، والمدرسة، والمختصّين، وغيرها، غير أنّ الأسرة لها دور كبير في صياغة شخصيّة الفرد، لا يُحبذ أن يتكلّم الأب أو

الأمّ مع الأطفال بلغة غير لغتهم الأم بداعي التّطور، ومواكبة العصر، وهذا لا يعني عدم تعليم الأطفال لغاتٍ أخرى، لكن يمكنهم ذلك بعد أن يُتقنوا لغتهم الأمّ.

إن الإنسان بطبيعته مخلوق اجتماعي لا يمكنه العيش بمفرده، لأنه يتفاعل على نحو مستمر ودائم مع أقرانه، ويكون هذا التفاعل مبنياً على ضرورة توفر وسيلة وآلية واحدة ومهمة وهي اللغة، التي لا يمكن فصلها عن الإنسان، فهي التي يتميز بها من غيره من الكائنات الحية. فاللغة ظاهرة متشعبة ومعقدة لكونها نظام معقد من الرموز، ولها معانٍ مختلفة، كما أنها الباب الوحيد للولوج إلى عمق الثقافة والبنية الاجتماعية للإنسان، وهي من أهم العوامل الرئيسية لبناء المجتمع وتكوينه، والمشاركة على نحو فعّال وأساسي في تحديد الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدث بها، هذا الذي يؤكد وجود علاقة متينة بين كل من اللغة والمجتمع، فهما مرتبطان على نحو وثيق، فلا وجود لمجتمع دون لغة ولا للغة دون مجتمع. كما أن لكل لغة ثقافتها وعمق العلاقة بين اللغة والثقافة يظهر في جميع المجتمعات على الصعيد العلمي والاجتماعي والثقافي والسياسي، فلهذا العمق له تأثير كبير في جميع الأصعدة، فلا يمكن لأي مجتمع أن يتعلم أفراده والوصول لمستويات علمية رفيعة دون وجود اللغة والثقافة معاً، ولا تستطيع أي دولة من الدول أن تبني علاقات سياسية ودبلوماسية مع الدول الأخرى من دون وجود اللغة والثقافة، وفي هذا المجال تظهر أهمية تعلّم اللغات الأخرى وثقافتها، وتعليم لغتنا العربية ونشر ثقافتها للآخرين، فلا يمكننا التواصل مع الآخرين من دون تعلّم لغتهم وتعليمهم للغتنا، بالواقع تعليم لغتنا العربية ونشر ثقافتها يحتاج إلى جهود مكثفة أكثر من ذلك، فأصبح استخدام اللغة الإنكليزية شائعاً بين المجتمعات أكثر من اللغات الأخرى على نحو عام، وذلك بسبب التطور العلمي والتكنولوجي السريع الذي نعيشه اليوم، وأسهم أيضاً على نحو واضح في تحول منحى اللغة وانحرافها عن مسارها وسياقها الصحيح، فتظهر إشكالية في التواصل اللغوي في المجتمع وصعوبة تحديد العلاقة بين اللغة والثقافة كوسيلة للاتصال والتواصل.

اللغة هي ظاهرة اجتماعية واصطلاحية تستند على مكون حسي والآخر ذهني

غير مادي فهما مكونان متلازمان، وهي نسق من الإشارات والرموز تشكل أداة من أدوات المعرفة، وتُعَدُّ من أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين الأفراد في المجتمع الواحد في جميع مجالات الحياة وعلى كل الأصعدة، وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطاً وثيقاً، فجميع أفكار الفرد تصاغ في قالب لغوي حتى تلك الأفكار التي تجول في عقل الفرد الباطن، كما أنها عبارة عن رموز صوتية لها نظم متوافقة في التراكيب، والألفاظ، والأصوات وتُستخدم في الاتصال والتواصل الفردي والاجتماعي.

أكّد خبراء بالعلوم الإنسانية أنه يوجد مسلمات أربع أساسية ينبغي وجودها عند معالجة أي مسألة تتعلق باللغة وهي:

اللغة وعاء الفكر وأداة التفكير، ووسيلة للتفاهم والتواصل الاجتماعي، وعنوان الهوية للفرد والمجتمع، وترتبط اللغة بالثقافة والقيم الحضارية.

وبناءً على ذلك تقوم اللغة على أربع وظائف أساسية بحسب العلماء والمختصين في علم اللغة: فالوظيفة الأولى هي التواصل مع الغير، والثانية تمثل الكون لأنفسنا في عقولنا، والثالثة والرابعة هما الوظيفتان الوجدانية والأدائية، وهما مرتبطتان بالبحث عن تأويل المعنى بناءً على السياق ومقام الخطاب، ومن ثم فإن اللغة لا تقتصر على التواصل بين البشر فحسب، وإنما تشكل أساس الوجود الإنساني، وتشكّل القانون الأول الذي يفرض نفسه على كل فرد داخل المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوده إلى الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة.

إن اللغة هي الأساس التي تقوم عليه أي أمة ومن هذا الجانب تظهر أهمية اللغة المعيارية، وضوابط التأويل في لغة الخطاب، وهكذا، فإن المنظومة اللغوية هي بمنزلة بيت الكائن البشري، فيها ينظم حياته وكل أموره المعيشية، ويخزن رموزه وثرواته إنها تؤويه وتحفظ أسراره، ومن مشكاتها يرى العالم ويدركه، وهذا ما جعل الأديب الفرنسي ألبير كامو إلى أن يقول: نعم لي وطن، هو اللغة الفرنسية.

ويقول الألماني هيدجر إن لغتي هي مسكني، هي موطني، ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون. (الثقافة واللغة، فياض، ٢٠١٧).

إن تأثير هيمنة اللغة الإنكليزية على المثاقفة ملحوظ على نحو كبير في جوانب منها:

انتقال الأفكار والثقافات: باعتبار اللغة الإنكليزية لغة عالمية وانتشارها الواسع عالمياً سهل عملية التواصل ونقل الأفكار والثقافات بين الأفراد والمجتمعات من مختلف البلدان.

تأثير الثقافة الإنكليزية: تعتبر اللغة الإنكليزية لغة الأدب والفن ووسائل الإعلام العالمية وقد أدى ذلك إلى انتقال الثقافة الإنكليزية والأميركية إلى ثقافات أخرى.

تأثير الأدب الإنكليزي: يحظى الأدب الإنكليزي الكلاسيكي والمعاصر بشعبية واسعة حول العالم، ويؤثر في الكتابة والثقافة الأدبية في كثير من الثقافات.

التعليم والبحث: تكون الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية باللغة الإنكليزية، مما يؤثر في النهج الثقافي والعلمي للباحثين والمثقفين.

على الرغم من الفوائد الكثيرة لهيمنة اللغة الإنكليزية على المثاقفة، قد تسبب بعض التحديات مثل فقدان اللغات الأصلية والثقافات المحلية.

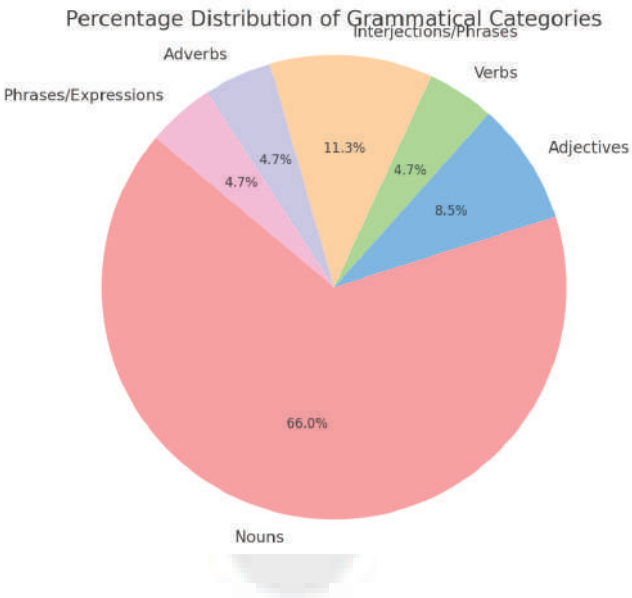

يمكن للبحث الأكاديمي أن يقدم وجهات نظر متنوعة.

. (Pennycook, 1998) ,(Graddol, 2006)

المراجع

Baker, M. (2018). In Other Words: A Coursebook on Translation. Routledge.

Bassnett, S., Lefevere, A. (1998). Constructing Cultures: Essays on Literary Translation. Multilingual Matters.

Celce-Murcia, M., Larsen-Freeman, D. (2015). The Grammar Book: Form, Meaning, and Use for English Language Teacher. Heinle ELT.

Crystal, D. (2003). English as a Global Language. Cambridge University Press.

Graddol, D. (2006). English Next: Why Global English may mean the end of English as a Foreign L anguage. The British Council.

Kachru, B.B. (1986). The Alchemy of English: The Spread, Functions, and Models of Non-Native Englishes. Urbana: University of Illinois Press.

Pennycook, A. (1998). English and the Discourses of Colonialism. Routledge.

Swan, M., Watter, C. (2013). The Good Grammar Book. Oxford University Press.

حسام الدين فياض، الثقافة واللغة. (٢٠١٧).

نصر محمد عارف، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم.

❖ ❖ ❖

دور الترجمة والمثاقفة في تطوّر المسرح العربي

د. ميسون علي

تمهيد :

تُعد الترجمة إحدى أهم وسائل المثاقفة في المسرح، لأنها فعل ثقافي متطوّر ينتج عنه فعل مثاقفة طويل الأمد، ويظل هذا الفعل الثقافي يوسع من دائرة المثاقفة في بيئته لاستيعاب أكبر قدر ممكن من المعارف المسرحية. ودور الترجمة في هذا التواصل غاية في الأهمية، في ضوء الاعتراف بالتنوّع الثقافي، فالمسرح العربي لم يتقوقع على نفسه، بل حاول في إطار المثاقفة وعبر حركة الترجمة أن يتفاعل مع الثقافات الأخرى، وأن ينهل منها.

لا بد من أن أشير بداية إلى أن أول من استخدم كلمة مسرح بالمعنى الحديث هو الكاتب المصري توفيق الحكيم (١٨٩٨-١٩٨٧) الذي عرف المسرح الغربي عن كثب، وكتب نصوصاً مسرحية عديدة. وكان هناك اختلاف كبير فيما يتعلّق بتسميات المسرح في المسرح العربي،أما دلالات هذه التسميات فكلها تصب في العرض، الذي أعطي الأهمية الأولى منذ دخول المسرح عالمنا العربي مع رواد المسرح العربي مارون النقاش (١٨١٧-١٨٥٥)- أبو خليل القباني(١٨٣٣-١٩٠٥) يعقوب صنوع(١٨٣٩-١٩١٢) الذين كانوا يكتبون نصوصاً كي يتم عرضها، ولم يقوموا بتسمية نصوصهم مسرحيات، بل تسميات أخرى مثل (الكوميدي - تمثيلية روائية - لعبة)، وبعد ذلك أي في ثلاثينيات القرن العشرين، ظهر المسرح بصفته نوعاً أدبياً، حتى إن كثيراً من المؤلفين المسرحيين كانوا يسمون مسرحياتهم روايات.

مرحلة البدايات وإرهاصات المثاقفة :

لم ينقطع الحوار بين الحوار المسرح العربي والمسرح الغربي، بل كان للمسرح الغربي الذي نشأ لدى الإغريق في القرن ٥ ق.م تأثير كبير في المسرح العربي منذ بداياته، بدأ هذا التأثير، مع مشاهدة العروض المسرحية في أوروبا، فالتأثر بالمسرح الغربي بدأ أولاً فناً بصرياً ثم نصاً ومادة مكتوبة ومقروءة، ومن المعروف أن الاهتمام بترجمة المسرح بدأ منذ منتصف القرن التاسع عشر مع جيل الروّاد وأهمهم المسرحي مارون النقاش الذي ترجم وأعدّ وقدّم مسرحيات موليير للمتفرج العربي، وأديب إسحق (١٨٥٦-١٨٨٥) وهو كاتب ومترجم سوري قديم ، ترجم مسرحية «أندروماك» للكاتب الفرنسي راسين، كما ترجم مسرحية «شارلمان» لفيكتور هيغو، وإسحاق كان كاتباً له إلمام بالكتابة المسرحية، وكان يتابع العروض المحلية، وكان قد شاهد العروض المسرحية لأول مرة في روما وفينيسيا ثم في باريس، وعاد متأثراً بهذا النوع الجديد من الثقافة، ثم حاول أن يستلهم بعض الأفكار من النصوص الأجنبية، وهناك تجربة أبي خليل القباني في دمشق، الذي استفاد من ترجمة مارون النقّاش لموليير، وقدّم مسرحية «البخيل» لموليير ولكن بعد أن أعدّها، بما يكفل لها البيئية والراهنية ، ترجمة مسرحية هاملت.

أما البداية الحقيقية لترجمة المسرح في بلادنا ما شكّل أول فعل مثاقفة كانت بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) مع دخول المستعمر الفرنسي،فقد بدأت تنشط حركة الترجمة والمثاقفة، و كانت تحديداً عن الفرنسية والإنكليزية وتطورت مع حركة الطباعة والمجلات، أما الترجمة عن اللغة الروسية، يمكن القول توثيقياً لم نعرف عن المسرح الروسي نصوصاً عن اللغة الروسية، بل عرفناها من خلال اللغتين الفرنسية والإنكليزية، إذ كانتا القناتين الفعليتين لوصول المسرح الروسي إلى البلاد العربية، أي إننا عرفنا المسرح الروسي لفترة طويلة عبر لغة وسيطة.

لقد أدرك الروّاد ضرورة الاستفادة من المسرح الأوربي، مع الوعي بأن نسخ المسرح الأوروبي عقيم، لذلك لجؤوا إلى استخدام عدّة وسائل لحل هذه الإشكالية

منها الترجمة وتقديم هذه الأعمال وعلى نحو رئيسي شكسبير وموليير، والقيام بتعريب وتقديم هذه الأعمال أحياناً، مثل «طرطوف» لموليير، بمعنى تعريب الأسماء والأماكن والمواقف، بل ما يدور في خيال مؤلف النص من أفكار ومعانٍ ومضامين.

وبعد تلك المرحلة تبنى المسرح العربي صيغة المسرح الغربي على نحو كامل على مستوى الكتابة والعرض. والطريف في الأمر أن هذه العلاقة التي كانت علاقة أخذ باتجاه واحد لم تشكّل عقدة نقص عند المثقف العربي، فهو في سؤال الهوية هذا كان واعياً تماماً بالوضع التاريخي.

وإذا كانت العلاقة مع الغرب خالية من التوتر في البداية فذلك لأن النهضويين لم يروا في الغرب قوة استعمارية، وإنما رأوا في فكره وإنجازاته بُعداً كونياً تعاملوا معه ببساطة «وعلينا أن نلحظ أن تأثير الغرب في تلك الفترة أواسط القرن التاسع عشر، لم يكن هيمنةً وإلحاقاً بل كان تحريضاً على اليقظة وعلى تحديث المجتمع. تلك كانت فترة التفاؤل التاريخي الذي عمّ فيها الإحساس بضرورة التقدم وبإمكانية التقدُّم».

وعلى الرغم من أن المسرح العربي استمد شكله في أواخر القرن التاسع عشر من المسرح الغربي، ظلّت عناصر التغريب الملحمية المستمدة من الفرجة الشعبية المحلية سائدة فيه، وهذا واضح في تجربة الرواد الأوائل. وكان هاجس الكثيرين من الأوائل، ممن ترجموا للمسرح، وأعدوا النصوص مثل جورج أبيض (١٨٨٠ - ١٩٥٩) التشديد على أدبية النص المسرحي وعلى قدرة العرب على مجاراة الغرب في كتابة نصوص تحمل سمات الدراما المكتوبة على نحو جيد بناءً على القواعد التي كانت تحكم النص المسرحي الغربي.

الترجمة والمثاقفة ومرحلة التأسيس للمسرح:

لقد شهد المسرح العربي، في هذا الحيّز الزمني القصير نسبّياً على نشأته، تحولات كثيرة هي مراحل تكونه، فنضجه، ثم حداثته. فإذا كانت حقبة النصف الأول من القرن العشرين هي مرحلة التأسيس للمسرح عبر تجربة الرواد الأوائل، إذ سار المسرح في هذه المرحلة باتجاه إرساء جملة من التقاليد التي كان لها أثر كبير

في فرض أعراف المسرح الدرامي الإيهامي الذي اعتمد شعرية وقواعد أرسطو في كتابه (فن الشعر)، أما شكل مكان العرض فكان مُستمداً من شكل المكان في العمارة الإيطالية. مع كل ما سيتبعه على صعيد الشكل والمضمون. هذا حتى ستينيات القرن العشرين حين نوقشت في هذه الفترة العلاقة الإيهامية في المسرح على نحو واع، بفضل عدد من المسرحيين المتميّزين، وذلك مع بداية تعرُّف ما أنتجه الكاتب والمخرج المسرحي الألماني برتولت بريشت (١٨٩٨-١٩٥٦) ضمن منهجه في المسرح الملحمي، والذي نظّر للتغريب وأعطاه قيمته التعليمية والفكرية والأيديولوجية.

نتبين في هذه المرحلة بعض الاتجاهات الجديدة في البناء المسرحي كالاستفادة من المباعدة والتغريب وكسر الجدار الرابع أي الاستفادة من المسرح الملحمي.وتمت الاستفادة من تنظيـــرات «بريشت» في المسرح الملحمي،إذ ظهرت منذ تلك الفترة محاولات لاستنباط عناصر تغريب من التراث العربي مثل: الحكواتي - السامر - الراوي - واستخدام عناصر مسرحية تعلن عن كسر الإيهام والمسرحة. أي إبراز التقنيات المسرحية واستخدام تقنية المسرح داخل المسرح الذي يؤدي إلى تحقيق تداخل بين الوهم والواقع على نحو يدفع المتفرج إلى أن يطرح على نفسه تساؤلات عن موقعه مما يعرض أمامه.

ويمكننا التأكيد أن ترجمة نظرية المسرح الملحمي للكاتب والمخرج الألماني برتولد بريشت، وكذلك نصوصه المسرحية، شكلّت نقلة نوعية في مسيرة المسرح العربي عموماً والسوري خصوصاً، عبر استخدام تقنيات التغريب وكسر الإيهام، وعلى صعيد الأداء عدم تقمص الممثل للشخصية التي يؤديها، بل المباعدة بينه وبينها لجعل المتفرج مراقباً للأحداث والأداء غير مندمج بهما، واستثارة ومخاطبة وعيه الإعلان عن المسرحة تعبيراً عن الحاجة للخروج بالمسرح عن نطاق الأدب والكلمة، وإعلانه كفن مستقل له خصوصيته المشهدية. اندرج ذلك ضمن ردة فعل على المسرح الإيهامي المغلق الذي يخفي أعرافه، وهناك الأهداف التي وضعها المسرح العربي لنفسه منذ منتصف القرن الماضي منها التأصيل والهوية والتراث، والذهاب أبعد من الأسئلة المعتادة: العلاقة مع الغرب والمثاقفة والتبعية، التي كانت على الرغم

من تنوعها وأهميتها، تبدو لنا أنها قاصرة على توجه هذا المسرح ولم تعالج ماهيته، لسؤال أساسي يرتكز على شرعية هذا المسرح وخصوصيته، انطلاقاً من العلاقة التي يفترض أن يتبناها مع ثقافته الخاصة وتراثه، ومع نماذج عالمية من الثقافات الأخرى.

هناك اليوم على مستوى الخطاب النقدي إشكاليات أساسية مطروحة، منها قضية ازدواجية المرجعية بالنسبة إلى هذا المسرح (عربية وغربية) وهذه القضية تصب مباشرة في المثاقفة. وهناك الموقف من التجريب لأنه في جوهره يحمل أسلوب حرق المراحل.

وبهذا المعنى أيضاً ينبغي أن نحدد معنى المثاقفة التي فتحت الباب أمام تطور المسرح العربي منذ بدايات القرن العشرين. المثاقفة كما نراها يجب أن تقترن بوعي تاريخي بما يحصل اليوم، وأن تكون بحثاً إنسانياً لا يلغي التاريخ ولا المجتمع ولا الآخر، على العكس، إنه يستفيد من وجود هذا الآخر للإغناء، فالمنجزات الفكرية التي حققها الغرب هي منجزات ذات طابع كوني وتشكّل إرثاً مشتركاً للبشرية، ولن يكون بإمكاننا أن ننجز أي تقدم من دون وعيها والإفادة منها.

التأصيل والهوية والمثاقفة :

مع أن مسألة الهوية كانت حاضرة منذ البداية، على شكل إقرار الذات وإمكانيتها، فإنها برزت على نحو صارخ حين بدأت الدول الغربية في تقسيم المنطقة واستعمارها، وهنا بدأ المثقف، والمسرحي بطبيعة الحال، يعيش ازدواجية، فهو يقتبس أفكاراً ونماذج ثقافية ويقاوم استعماراً في آن واحد.

هذه الإشكالية ستطبع أكثر فأكثر المسرح في مرحلة الستينيّات من القرن العشرين التي تعتبر مرحلة جديدة، ومحطة مهمة. ففي الستينيّات ومع فورة الحداثة بعد الحرب العالمية الثانية في العالم من جهة، والمد القومي في العالم العربي من جهة ثانية، والتغيرات السياسية والاجتماعية الكبيرة التي عرفتها المنطقة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر، ثم استقلال دول المغرب العربي، عرف المسرح العربي

مرحلة جديدة. «فمنذ أواخر الخمسينيات بدأت الثقافة العربية ومن ضمنها المسرح تتساءل عن خصوصيتها وما يميز هويتها. كان هناك شعور لدى المثقفين أنّ النهضة التي تشهدها البلاد العربية هشة، ولا بد من تدعيمها، والبعض رأى أن تدعيم هذه النهضة على المستوى الثقافي يقتضي تمثل ثقافة الغرب بصورة أعمق، ومحاكاة فنونها بكفاءة. أما البعض الثاني فقد رأى أن تدعيم النهضة إنما يتم بالتخلص من كل أشكال التبعية وفي مقدمة ذلك التبعية الثقافية. ولقد كان هذان الموقفان مع توسطاتهما، الإطار العام الذي انصبت فيه كل نقاشات الفكر العربي منذ عصر النهضة الأولى في أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن.

إذن، لقد انعكس البحث عن الهوية على المسرح في هذه المرحلة، وأهم مظاهر هذه المرحلة هو إعادة النظر في تعريف المسرح وصياغة مواقف (بعضها جاء على شكل بيانات) لتأكيد الهوية الخاصة ووظيفة المسرح في المجتمع، وهنا مثلاً طُرح أيضاً شعار استلهام التراث وإحيائه لتأصيل المسرح، اتجاه في الكتابة يدعم ويطور تياراً في المسرح العربي، الذي حاول أن يجد لنفسه فرادة بتبني منطق الحكاية والسرد في المسرح، وكذلك في تخطي فكرة فصل الأجناس الأدبية التي أخذها الأدب العربي عن الغرب أعراف المسرح الإيهامي وبالفعل كان هناك موقف من التراث أكثر عمقاً من المرحلة الأولى التي تميزت باستلهام المواضيع منه: (الموقف من السرد والحكي - البحث في أشكال احتفالية مستقاة من التراث مثل السامر، وبنية المسرح داخل المسرح).

لاقى (التغريب) المستمد من منهج الألماني برتولد بريشت، كتقنية أو كهدف إيديولوجي اهتماماً كبيراً على صعيد التنظير في الكتابات النظرية والبيانات المسرحية (كما سنرى) ضمن الاهتمام بموضوعة تأثير العرض في المتفرج، أو في الكتابة المسرحية، فظهرت محاولات لاستنباط عناصر تغريب من التراث العربي أمثال الحكواتي - السامر – والراوي.

فالكاتب المسرحي المصري توفيق الحكيم وفي حديثه عن تأصيل المسرح العربي في كتابه «قالبنا المسرحي». بحث عن صيغة «أورو عربية» ولم يتحرّر من منافسة

الشكل الغربي والنجاح على المستوى التطبيقي، كان يهدف في تنظيره إلى التخطيط لمستقبل مسرحي يكون على صورتين (الأنا / الآخر) أي الغرب، إنه التنظير الذي يُمارس من منطلق ثوابته والتخطيط الذي يقيس وجوده بوجود الغرب، وهو يقترح استحداث شكل مسرحي من التراث، إلى جوار الشكل الأوربي السائد في الممارسة العربية: «هل يمكن أن نخرج عن نطاق القالب العالمي، وأن نستحدث لنا قالباً وشكلاً مسرحياً مستخرجاً من داخل أرضنا وباطن تراثنا».

يُحدّد توفيق الحكيم القالب المسرحي المقترح استناداً إلى التراث بثلاثة عناصر رئيسية، يقول: «قالبنا المسرحي يقوم أساساً على الحكواتي والمقلداتي وأحياناً المداح إذا لزم الأمر».

أما المبرّر الذي ينطلق منه الحكيم مجارياً أحدث نظريات المسرح المعاصر فيتجلى في قوله:

«إن جمهور اليوم قد شبَّ عن الطوق، وبلغ النضج والوعي الذي يرفض معه فكرة (التمثيل عليه) أي فكرة الإيهام المسرحي ... فهو لا يكتفي بأن نقدم له اللعبة ولكنه يريد أيضاً أن نقدّم له كيف صنعت اللعبة. إنه يريد أن يشارك في الخلق، ولو بمتابعة أسرار الخلق...ولذلك لجأت بعض المسارح هناك أخيراً إلى أن تركب الديكورات في حضور الجمهور بعد فتح الستارة وأثناء العرض لا قبل ذلك».

لا شك في أن توفيق الحكيم في رؤيته هذه، يبدو متأثراً بنظرية المسرحي الألماني برتولد بريشت، وذلك بالعمل على تغيير الأنماط التقليدية للإنتاج والتلقي.

أما الخاصية الثانية فتتجلى في أن الحكيم يرفض مفهوم الأداء السائد «التمثيل» ويقابله بمفهوم «التقليد»، وفي سياق رسمه للحد بين التمثيل والتقليد، يقول: «المقلد غير الممثل... إن الممثل يتقمَّص الشخصية... ولكن المقلّد عمله عكس التقمُّص».

ولسنا بحاجة إلى القول إن مفهوم التقليد في مشروع توفيق الحكيم يحيل على مشروع بريشت للأداء، وإذا ما تفحصنا فكر بريشت نفسه، وجدنا أن نظرته إلى الأداء مرتبطة بالتغريب، إذ يقول:

«من أجل الحصول على «تأثير التغريب» يتعين على الممثل أن ينسى كل ما تعلمه حين كان يحاول أن يحقق. بواسطة تمثيله. الاندماج الانفعالي للجمهور بالشخصيات التي يخلقها. إنه ملزم فقط بعرض الشخصية وليس أن يعيش الشخصية».

كما يدعو توفيق الحكيم إلى الاستغناء في العرض المسرحي عن مستلزمات الخشبة والتمثيل كلها. متأثراً بذلك بأسلوب ومنهج (المسرح الفقير) الذي دعا له المخرج البولوني إييجي غروتوفسكي:

«لن يكون لقالبنا هذا بالطبع خشبة مسرح ولا ديكور ولا إضاءة ولا ماكياج ولا ملابس. فكما كان الحاكي والمقلد والمداح والشاعر يقومون في الماضي بأعمالهم بملابسهم العادية في أي مكان ويحدثون أعمق الآثار. كذلك مسرحنا سيكون بهذه البساطة... سنعود إلى المنبع الصافي الذي يتصل مباشرة بالجوهر».

بهذا الشكل يوضح الحكيم رؤيته لمكان العرض، تلك الرؤية التي تحاول أن تستغني عن خشبة المسرح التقليدية، وهنا يبتعد عن عناصر المسرح الغربي كلها «الخشبة التقليدية». ضمن هذه الرؤية، يحاول الحكيم الاتصال بأحدث نظريات المسرح الحديثة، ومما لا جدال فيه أن هذه الرؤية تقارب الآخر من ناحية الابتعاد عن الشكل التقليدي.

أما الكاتب المسرحي يوسف إدريس (١٩٢٧-١٩٩١) الذي استخدم قي نصّه (الفرافير) تقنيات المسرح الملحمي، ووضّح رؤيته المسرحية في بياناته المسرحية التي أصدرها تحت عنوان (نحو مسرح عربي).

أما الكاتب التونسي عز الدين المدني (١٩٣٨-) ففي بيانه الأول الذي بدأ به مسرحيته «ديوان الزنج» تحت عنوان «بيان حول استعمال الفضاء المسرحي» الذي نشره عام ١٩٧٣، وبيانه الثاني «نحو كتابة مسرحية عربية حديثة» الذي نشره عام ١٩٧٨.

لقد لجأ عز الدين المدني إلى مفهوم «الاستطراد» الذي استخدمه في مسرحية «الزنج»، والذي يمكن اعتباره تقنية من تقنيات التغريب المستخدمة عادة لكسر الإيهام المسرحي، مما يؤدي إلى عدم اندماج المتلقي في العمل المسرحي. فالوسائل

إلى تحقيق هذا الغرض متنوعة ومتعددة، وأهم هذه الوسائل قطع تسلسل الأحداث بإدخال عنصر أو عناصر غريبة عنها، كأن يظهر المؤلف على الخشبة، ويخاطب شخصية من شخصيات المسرحية، ولعل هذا ما استعمله الكاتب في الاستطراد، ففي الاستطراد الثاني في مسرحية «الزنج» خاطب المؤلف أعضاء الوفد العباسي واحداً واحداً بطريقة أشبه ما تكون بالاستنطاق، فاضحاً نوايا الوفد العباسي الحقيقية ومذكراً في الوقت نفسه الجمهور بأن الأمر يتعلق بعرض مسرحي لا غير، ومن ثَمَّ لا داعي للاندماج، بل يجب التحلي بالفطنة وحضور البديهة حتى يمكن فهم حقيقة ما يدور من أحداث وأقوال.

أما الكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس (١٩٤١-١٩٩٧) الذي سافر إلى فرنسا عام ١٩٦٦، فتعرّف المسرح الغربي في فترة تحولاته الأساسية والجوهرية، واستطاع أن يستوعب ويتبنى أهم الطروح الجديدة في تلك المرحلة، وأن يطوّعها ويؤقلمها مع أرضية واهتمامات المسرح العربي ومتلقيه. واستخدام تقنيات المسرح الغربي في تلك المرحلة، لم يؤد عند سعد الله ونوس إلى عملية نسخ، وإنما كان عملية جدلية ربطت ودمجت أهم التطورات التي دخلت على المسرح العالمي والشعبي، في أشكال الفرجة في المنطقة وتقاليدها، وتراثها الثقافي والشعبي، وذلك لصالح موضوعات تتعلق مباشرة بالواقع. وهذا ما نجده في مسرحيات مثل «الملك هو الملك» ١٩٧٧ و«مغامرة رأس المملوك جابر» ١٩٧٩.

ولكي يعمق الكاتب علاقة الاشتباك ما بين الخشبة، يستخدم تقنيات اللعبة والحكاية التي تولد حكاية أخرى وتقنية المسرح داخل المسرح، فتبدو الأمور كأنها لعب ينقلب إلى جد. هكذا يدور الحوار بين المساحات الثلاث (الحكواتي - المقهى - الصالة) مُستفيداً في ذلك من المسرح الملحمي.

ويمكننا أن نشير في هذا السياق إلى تجربة الكاتب المصري محمود دياب (١٩٣٢-١٩٨٣) في مسرحيته «باب الفتوح»، إذ يبرز شكل المسرح الملحمي بوصفه الشكل الأجلى في هذا النص، وتتبدى التأثيرات البريشتية في العناصر المختلفة التي تكوِّن هذا الشكل، بداية من عنصر الزمن. فإذا كان دياب قد جعل أحداث مسرحيته

تجري على مستويين زمنيين مختلفين: المستوى المعاصر الذي يشمل مجموعة معاصرة من سبعة شبان، ثم المستوى التاريخي، وهو الذي يحتوي اللحظات التالية لنهاية معركة حطين، ويمتد ليصور أبرز ملامح صراع صلاح الدين والصليبيين، وكذا أبرز ملامح الصراع داخل مجتمع صلاح الدين نفسه، فإن هذا المستوى التاريخي قد جعل الزمن التاريخي – أي زمن وقائع الصراع داخل مجتمع صلاح الدين نفسه – هو الزمن الأبرز والأكثر ظهوراً وتأثيراً عبر مسار الأحداث. ويبدو أن محمود دياب كان يتبع خُطا بريشت الذي (أجرى حوادث مسرحياته كلها في مكان وزمان بعيدين كل البعد عن جمهوره. ويُعد الإبعاد الزماني الناتج عن التركيز على الزمن التاريخي نتيجة مباشرة للتغريب البريشتي.

ونتج عن تعدد مستويات الحدث محاولة دياب أن يربط بينها، فبرزت تقنيات مسرحية يتشابه بعضها وتقنيات بريشت في مسرحياته الملحمية. فعند توازي مستويين زمنيين أو تزامنهما، برزت تقنية التعليق الذي يقوم على أساس تغلغل الكورس إلى دخيلة الشخصية التي تسهم في حادثة ما، تغلغلاً يبين عن المشاعر أو الأفكار المتناقضة التي تدور في وجدان أو ذهن هذه الشخصية، بينما تسلك الشخصية سلوكاً صامتاً ينم عن الفعل الذي تمارسه أو يستغرقها.

الترجمة وتعزيز المثاقفة في المسرح العربي المعاصر:

كانت مرحلة السبعينات من القرن العشرين فترة الانفتاح الأكبر على المسرح الغربي المعاصر ومساءلته واستيعاب مفاهيمه، وفي الوقت نفسه كانت مرحلة التعبير عن الأصالة العربية اعتماداً على التراث الشعبي ومسرحته، وخلخلة الجاهز فيه، وتقديمه وفق قراءة تطالب المؤلفين والمخرجين العرب بالتخلي عن النموذج الغربي، والحسم في أن الإجابة الثقافية عن هوية المسرح العربي التي كانت موزعة بين الوفاء للتقليد والانخراط كلياً في المشروع الثقافي الغربي.

من المعروف أن الترجمة وهي أداة المثاقفة، نشطت في الوطن العربي بعد حصول البلدان على استقلالها وكذلك تأسيس المسارح القومية وافتتاح الأكاديميات

المسرحية، إذ ظهرت في مصر سلسلة روائع المسرح العالمي عام ١٩٥٩ ، وفي الكويت سلسلة من المسرح العالمي منذ عام ١٩٦٩، ترافق ذلك مع تأسيس المسرح القومي في مصر وسوريا ١٩٦١، وإن كانت هذه الترجمات - على أهميّتها - تتم عبر لغة وسيطة، ومن الأهمية بمكان ما قامت به وزارة الثقافة السورية من نشر ترجمات لأهم النصوص والدراسات، لتكون خير معين لدارسي المسرح وللكتاب والمخرجين المسرحيين للاطلاع على الثقافة المسرحية من شتى أنحاء العالم. وفي هذه الفترة بدأ الاهتمام في الغرب بترجمة المسرح العربي، فظهرت ترجمات لنصوص سعد الله ونوس وتوفيق الحكيم ومحمود دياب ويوسف إدريس، لتتحقق المثاقفة، وإن لم تكن بحجم الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

وقد اهتمَّت وزارة الثقافة منذ نشوئها عام ١٩٦٠بهذه المهمة الإبداعية، واهتمت بترجمة الدراسات والنصوص المسرحية الأجنبية بما فيها مسرح الطفل، وكانت الترجمة عن عدة لغات في مقدمتها الفرنسية والإنكليزية والروسية والإسبانية والألمانية، وقد تُرجمت نصوص من المسرح السياسي الوثائقي للكاتب الألماني بيتر فايس «نحن والولايات المتحدة» ترجمة فاروق عبد القادر، و«حديث عن فيتنام» ترجمة إبراهيم وطفي، ومن المسرح التعبيري «لعبة حلم» لأوغست سترنبرغ ترجمة ابراهيم وطفي، ومن مسرح أمريكا اللاتينية مسرحية «الثعلب والعنب» للكاتب البرازيلي جولهيرم فيجويردو، ترجمة فيصل الياسري، ومسرحية «بطولة بيونس آيريس» للأرجنتيني أوزوالدو دراكون، ترجمة ضيف الله مراد، و«الغزاة» للتشيلي آغون وولف، ترجمة رفعت عطفة، ومسرحية «الصبر المتحرّق (مسرحية عن بابلو نيرودا) لأنطونيو سكاراميتا، ترجمة ممدوح عدوان، ومن المسرح الملحمي «أيام الكومونة» للألماني برتولد بريشت ترجمة صياح الجهيم، مسرح العبث «لعبة البينج بونج» للفرنسي آرتور آداموف، ترجمة فاروق عبد القادر، ومن الكتابة الجديدة مسرحيات ناتالي ساروت بعنوان «الصمت ومسرحيات أخرى» ترجمة ريم الأطرش، ومن المسرح الألماني «النسّاجون» لجيرهارت هاوبتمان، ترجمة محمد جديد، و«إيفيجنيا في تاوريس» للكاتب غوته، ترجمة حسن صقر، و«ليلة جمعة» و«مرتس

- حياة فنّان» لهاينز كيبهارت، ترجمة إبراهيم وطفي، ومن المسرح الياباني «خمس روائع حديثة من مسرح (نو) الياباني» ليوكيو ميشيما، ترجمة علي الخش، ومن المسرح الروسي الأعمال المسرحية الكاملة للكاتب ليون تولستوي، ومسرحية «صور من الماضي» بأجزائها الثلاث للكاتب الكساندرسوخوفو – كوبيلين، ومسرحية «المفتش» لنيكولاي غوغول ترجمة شريف شاكر. ومسرحية «الإبن الأكبر» لإلكساندر فابيلوف، ترجمة ضيف الله مراد، ومسرحيات فيكتور روزوف «الخالدون» ترجمة نزار عيون السّود، و«أربع قطرات» و«حالة حرجة» ترجمة ضيف الله مراد، ومن المسرح الإنجليزي «ملك الفضة» و«الكذبة» لهنري آرثر جونز، ترجمة عيسى سمعان، ومسرحية «الكوميديا السوداء» لبيتر شافر، ترجمة توفيق الأسدي، ومن المسرح البلغاري «البينا» للكاتب يوردان يوفكوف ترجمة ميخائيل عيد، ومن المسرح التركي ترجم جوزيف ناشف مسرحيات «المرحوم» و«قبل أن يئوب الثلج» و«الرحيل» و«مَن هو الميت» لجواد فهمي باشكوت، ومسرحية «مصنع الأقدام والسيقان» لسرمت جابكان، ومما أسهم في تنشيط الترجمة هو مجموعة من الكتّاب والمسرحيين ممن درسوا في الخارج وعادوا إلى الوطن. مثل الدكتور شريف شاكر الذي ترجم «إعداد الممثل في التجسيد الإبداعي» و«إعداد الدور المسرحي» لقسطنطين ستانيسلافسكي، وفوّاز السّاجر ووليد قوتلي وسعد الله ونّوس ونبيل حفّار وعادل قرشولي ونديم محمد وماري إلياس وفايز قزق. وضمن الترجمات الآنفة الذكر، ظهرت مسرحيات ذات مقدمات نقدية، تركّز على مضامين النص الفكرية، والمؤلف والسياق وقيمة المسرحية أدبياً وفنياً، دورالكتّاب المسرحيين الذين أسهموا في الترجمة، وأعطوها حقها في التنوير والتثقيف، وعدّوها عملاً مُتمماً للكتابة. ما قدّمه سعد الله ونوس حين ترجم عن الفرنسية «حول التقاليد المسرحية» - لجان فيلار و«العائلة توت» لاستيفان أوركيني، وممدوح عدوان (١٩٤١-٢٠٠٤) الذي ترجم كتباً ومسرحيات عن الإنكليزية منها: «الشاعر في المسرح» لرونالد بيكوك - و«الكوميديا ديللارتي» لبيير لوي دو شاتر- و«المهابهاراتا» لبيتر بروك - ومسرحية «زجاج مكسور» لآرثر ميللر- وهذه الكتب صادرة كلّها عن وزارة الثقافة بدمشق و«الممثلون والتمثيل

(تاريخ التمثيل) لتوبي كول وهيلين كريشن شينوي، أما «حول الإخراج المسرحي» لرونالد بيكوك (صدرعن دار دمشق) وهؤلاء الكتّاب والمخرجين جمعوا بين عملهم الإبداعي، وبين مهنة التدريس في المعهد العالي للفنون المسرحية، مما جعلهم الأقدر على اختيارالدراسات والنصوص الضرورية للترجمة، وعلى فهم المسرح وتياراته واحتياجات دارسي المسرح، ومن ثم ترجمته إلى العربية.

الأبحاث والدراسات المسرحية

لقد أولت مديرية الترجمة في وزارة الثقافة أهمية كبيرة لترجمة الدراسات النقدية والأبحاث المسرحية المهمة ومنها: «تاريخ المسرح» لفيتو باندولفي، ترجمة الأب إلياس زحلاوي، «الملهاة السوداء» ل ج.ل.ستيان، ترجمة منير صلاحي الأصبحي، «المأساة الحديثة في ألمانيا» لفالتر هينك ترجمة عبده عبّود، «الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيق» ج.ل ستيان، ترجمة محمد جموّل، «سوسيولوجيا المسرح» (جزآن) لجان دوفينيو، ترجمة حافظ الجمالي، «نظرية الدراما الحديثة» لبيتر زوندي، ترجمة أحمد حيدر، «المسرح الأمريكي الحيث» فران جوتران، ترجمة ولي الدين السعيدي، «مسرح ميرخولد وبريخت» كاترين بليزايتون ، ترجمة فايز قزق، «دراسات في الأدب والمسرح» لمجموعة مؤلفين، ترجمة نزار عيون السود، «أبطل وطباع» ايفريم كارنفيلوف ترجمة ميخائيل عيد، «البروفة حبي» أناتولي إيفروس، ترجمة ضيف الله مراد، «سيمياء براغ للمسرح» مجموعة مؤلفين، ترجمة أدمير كورية، و«تقابل الفنون» إيتيان سوريو، ترجمة بدر الدين القاسم الرفاعي، «أنطون تشيخوف في معترك الفكر والإبداع» (جزآن) جيورجي بيردنيكوف، ترجمة أكرم سليمان، «المأساة الحديثة» ريموند ويليامز، ترجمة سميرة بريك، «التكامل الفني في العرض المسرحي» ألكسي بوبوف، ترجمة شريف شاكر، سلسلة أعلام منها: «برناردشو» إيريك بنتلي، ترجمة عيسى سمعان، «إبسن» موريس غرافييه ترجمة صلاح الدين برمدا، وكتاب «مقالات نقدية في المسرح» لرولان بارت، ترجمة سها بشّور، و«الفكرة الإخراجية والتشكيل الحركي» أوسكار ريمز،«تدريب الممثل» لسونيا مور، ترجمة زياد

الحكيم، و«تاريخ الأزياء» تأليف م.ن ميرتسالوفا، ترجمة آنا عكّاش، «مسرح الأطفال فلسفة ومنهج» موسى كولدبرغ، ترجمة صفاء روماني، فضلاً عن الكثير من نصوص مسرح الأطفال واليافعين.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى دور الجهات المعنية بالترجمة في وزارة الثقافة، الهيئة السورية العامة للكتاب التي أنشئت عام ٢٠٠٦ وهي المعنية الآن بالتأليف والترجمة، وتجاوزت من ثم الترجمة عن لغة وسيطة، قدمت ترجمات من مختلف التيارات، والمسرح الحديث والمعاصر لكتّاب مثل: مسرحيات السويسري ماكس فريش «سيرة حياة» و«بيدرمان ومدبرا الحرائق»، و«حين انتهت الحرب» و«يُغنّون من جديد» ترجمة أحمد حيدر، والفرنسي جان جونيه «الشرفة» ترجمة رجاء الشلبي، والإنجليزي توم ستوبارد «حبر هندي» ترجمة نايف الياسين، والروسي أنطون تشيخوف - مختارات، وهي نصوص مسرحية، ترجمة تحسين عبد الجبار إسماعيل، الفرنسية ياسمينة رضا «فن» ترجمة مازن المغربي. ونصوص مسرح العبث في كتاب «مسرحيات مُترجمة من الفرنسية» للفرنسي آرتور آداموف، ترجمة صفوان حيدر، وكتاب «المنهج العملي في تربية الممثل» لقسطنطين ستانيسلافسكي، ترجمة أكثم حمادة، لكن مديريات أخرى تسهم في مجال اختصاصها بما تراه مهماً (الدوريات: مجلة «المعرفة» التي كانت رائدة في ترجمة المسرح الملحمي وقدّمت «الهوراسيون والكوراسيون» لبرتولد بريشت، ومجلة «المعرفة» التي كانت أول دورية عربية تقدّم ترجمة لمسرحية «في انتظار غودو» للفرنسي صموئيل بيكيت للعربية - و«الآداب الأجنبية» التي صار اسمها الآداب العالمية - و«الحياة المسرحية» التي قدمت ترجماتٍ لمختلف الكتّاب مثل القضية بيتر فايس و«الليلة التي ذُبح فيها الرئيس» هاينز كيبهارات، ترجمة إبراهيم وطفي، و«رجل برجل»، «عرس البرجوازي الصغير» لبرتولد بريشت، ترجمة نبيل حفّار، «ازدهار وانهيار مدينة ماهاجوني» برتولد بريشت، ترجمة عادل قرشولي، «موت فوضوي صدفة» لداريو فو، ترجمة توفيق الأسدي، و«أضواء بوهيمية» رامون دل باليه أنكلان، ترجمة رفعت عطفة، «إنسوا هيروسترات» جريجوري جورين ترجمة توفيق المؤذن، مسرحية «الشهية» إلمر

آنسون، ترجمة توفيق المؤذن، «افعل شيئاً يا مِت» و «وحش طوروس» ترجمة جوزيف ناشف، وتجدر الإشارة إلى سلسلة مسرحيات - مجلة الحياة المسرحية، التي كانت تصدر على نحو كتاب إلى جانب المجلة وقد صدر منها على سبيل المثال: مسرحية «لجزيرة القرمزية» ميخائيل بولغاكوف، ترجمة نزار عيون السود، ومسرحية »إيزابيل ثلاثة مراكب ومشعوّذ» داريو فو، ترجمة ماري إلياس، ومسرحية «الثعلب والعنب» غيليرميه فغيويريدو، ترجمة وليد قوتلي، و«حديث صحفي في بيونس آيريس» لهنري فايرويتش، ترجمة زكريا نبيل خوري.

وهذه الترجمات سواء التي تُرجمت باسم وزارة الثقافة في الهيئة العامة السورية للكتاب أم ما قبلها، اكتسبت سمعة جيدة لدى القارىء العربي، فالترجمة عملية تتحقق عبر لجان تختار ما ترغب في ترجمته، ولأن ترجمة الكتاب فيها تخضع لعملية تدقيق على أسس أكاديمية وفكرية وفنية، قبل أن ينال الموافقة على الطباعة.

مراجع البحث :

- برهون (رشيد)، درجة الوعي في الترجمة، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان - المغرب، ٢٠٠٣.
- حسين (محمد عبد الله)، مسرح محمود دياب، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٨.
- دياب (محمود)، باب الفتوح ورجل طيب في ثلاث حكايات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
- بيانات لمسرح عربي جديد، دار الفكر الجديد، بيروت، ١٩٨٨.. ونوس (سعد الله).
- بن زيدان (عبد الرحمن)، ثلاث تجارب ومخرج من المغرب، مجلة اليوم السابع، باريس، ٣٠ أيار ١٩٨٨.
- إدريس (يوسف)، الفرافير، مكتبة مصر،القاهرة، ١٩٦٤.

- إدريس (يوسف)، نحو مسرح عربي، الوطن العربي للنشر، القاهرة، ١٩٧٤.
- إلياس (ماري) - قصّاب حسن (حنان)، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧.
- بريشت (برتولد)، نظرية المسرح الملحمي، ترجمة: جميل نصيف، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٣. الحكيم (توفيق) ،قالبنا المسرحي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٧.
- المدني (عز الدين)، الأدب التجريبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٢.
- نجم (محمد يوسف)، المسرحية في الأدب العربي الحديث (١٨٤٧ - ١٩١٤)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

❖ ❖ ❖

الترجمة بين المثاقفة والعولمة

هلا دقوري

مقدّمة

الترجمة فعل ثقافي لغوي حضاري، وبهذا فهي الرابط بين الحضارات، والوعاء الذي تنتقل المعرفة من خلاله من بقعة جغرافية إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى. إذن، هي نافذة فكرية ومدخل حضاري يضمن للهوية القومية المزيد من التواصل مع الآخر في كل مجالات إبداعه.

يقول المترجم المصري محمد عيد إبراهيم إن الترجمة فعل خيانة أصلاً، وتذكّر ثانياً، وتنوير ثالثاً. إنها فعل خيانة، لأنّ النص المترجم يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً عن النص الأصلي. وهي فعل تذكّر، لأنّ المترجم يفعل هذا مع نص جيد على الأقل، فيحييه في مكان آخر ولغة أخرى ووسط أو بيئة اجتماعية مختلفة. وهي فعل تنوير، لأنّ النص المترجم في لغته الجديدة ومكانه الآخر وبيئته المختلفة يقوم حتماً بدور رائد في وعي مَن يقرؤه(٨).

تكتسب الترجمة مكانة مهمة في مجال انتقال العلوم والفكر والأدب من مجتمع إلى آخر للأسباب الآتية:

١. الترجمة محرض ثقافي يفعل فعل الخميرة المحفزة في التفاعلات الكيماوية، فهي تقدّم الأرضية المناسبة التي يمكن للمبدع والباحث والعالم أن يقف عليها، ومن ثَمَّ ينطلق إلى عوالم جديدة يبدع فيها ويبتكر ويخترع.

---

(٤٥) محمد عيد إبراهيم، أعمال الندوة الفكرية التي أقامتها وزارة الثقافة وتنمية المجتمع في الإمارات، في الملتقى الفكري المصاحب لمعرض الشارقة الدولي للكتاب بعنوان: المتغيرات الحافزة لترجمة الثقافة والإبداع الإماراتي إلى اللغات الأجنبية.

٢. تجسر الترجمة الهوة القائمة بين الشعوب ذات الحضارات المختلفة.

٣. الترجمة هي الوسيلة الأساسية للتعريف بالعلوم والتكنولوجيا ونقلها وتوطينها.

٤. الترجمة عنصر أساسي في التعليم والبحث العلمي.

٥. الترجمة هي الأداة التي يمكننا عن طريقها مواكبة الحركة الثقافية والفكرية في العالم.

٦. الترجمة وسيلة لإغناء اللغة وتطويرها وعصرنتها.

بما أنّ الترجمة تعني التقريب بين الشعوب والأمم، فهي تؤدي إلى تواصل واتصال هذه الأمم والتأثير في بعضها البعض (وبهذا المعنى تكون مثاقفة)، وبما أنها أحد أهم أدوات التواصل بين الشعوب والحضارات، تجد بعض الدول نفسها مطالبة بالتحاور مع الشعوب الأخرى في عالم يتسارع فيه إيقاع الأحداث في كل المجالات ولا سيّما التقنية (وبهذا المعنى تدخل الترجمة في سياق العولمة).

العلاقة بين المثاقفة والترجمة

يعرّف مصطلح المثاقفة في حقلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على أنه دراسة التطورات الناتجة عن اتصال ثقافتين تتأثر وتؤثر إحداهما في الأخرى. وهذا يعني أن المثاقفة أمر حتمي تفرضه طبيعة الحياة المعاصرة السائرة نحو التحاور والتقارب بين الشعوب والحضارات، ووسيلتها في ذلك الترجمة. وتتمثل شروط المثاقفة في الاعتراف بواقع التنوع الثقافي والخصوصيات الثقافية والعلاقة العضوية والحميمة بين الثقافة والمجتمع، والمشاركة الطوعية والتفاعل السلمي، وتسليم كل طرف من أطراف الحوار بأنه لا يمتلك الحقيقة المطلقة، والإيمان بأن المعرفة نسبية لا تكتمل إلا بالتفاعل مع الآخرين، وأن وعي الآخر شرط أساس للوجود في العالم. وبهذا فإن الانغلاق يقع على الطرف النقيض للمثاقفة.

مجالات المثاقفة:

تتبدّى عملية المثاقفة في مجال الأفكار والتصورات وتبادل العلوم والمعارف،

والتواصل اللغوي، وتطال كل مجالات الإبداع والمهارات والخبرات، وكذلك التقاليد والعادات والأخلاق والسلوكيات.

أما الأبعاد التي تحكم المثاقفة فأربعة:

١. الوعي بالهوية الثقافية (الذاتية) والاطمئنان إليها.

٢. الاعتراف بهوية الآخر المستقلة.

٣. وضع ثقافة في مواجهة ثقافة أخرى، أو جملة من التصورات والمعتقدات والرؤى في حوار مع تصورات ورؤى مغايرة، دون توسل عناصر خارجة عن الثقافة، ودون التماس أدوات غير ثقافية تنصر ثقافة وتحطّم أخرى.

٤. والسماح للهوية أن تحاور الآخر باستقلال كبير وثقة بذاتها، دون أن تزوّر ما تقرأ أو تزور ذاتها، ودون أن تقع في أي «تبعية ثقافية».

إذن، المثاقفة هي تفاعل بين الذات والآخر من أجل صياغة جديدة، تعكس رؤية تطورية وحضارية للعالم (لكن ليس بالضرورة أن تتفاعل ثقافة مع أخرى وتعيد الثقافة الثانية التفاعل مع الثقافة الأولى. المثال على ذلك أننا نأخذ عن الثقافة الأوروبية الآن في حين أنها لا تتثاقف معنا لأسباب عديدة أو أنها تتثاقف بالحد الأدنى). وتقوم المثاقفة على أساس من الشراكة الضمنية بين (الأنا/النحن) و(الآخر) بغية إنتاج معرفة موضعية، تهدف إلى الارتقاء بالإنسان وشروط حياته.

وهنا لا بد لنا أن نقول إن الترجمة تعتبر إحدى أهم وسائل المثاقفة لأنها فعل ثقافي متطور ينتج عنه فعل مثاقفة طويلة الأمد على صعيد الأفراد والجماعات، ويظل هذا الفعل الثقافي يوسع دائرة المثاقفة في بيئته، وغايته من ذلك استيعاب أكبر قدر ممكن من المعارف الإنسانية، واكتساب خبرات الآخرين وجعلها سلاحاً له في التطور والارتقاء والمنافسة ثم العطاء الحضاري الثري، كما أن الترجمة هي المفتاح الذي تتفادى به الأمم الانغلاق الفكري من جهة، وتتخلص من خلاله من التبعية المطلقة التي تفضي إلى الذوبان في الآخر من جهة أخرى.

كيف تحقق الترجمة فعل المثاقفة:

دائماً ما تنطوي الترجمة على كل من اللغة والثقافة، ببساطة لأن كلتيهما لا يمكن فصلهما بعضهما عن بعضٍ. فاللغة جزء لا يتجزأ من الثقافة وهي تعبر عن الواقع الثقافي وتشكله على حد سواء، كما أن دلالات العناصر اللسانية سواء كانت كلمات أو مقاطع لا يمكن أن تفهم إلا ضمن السياق الثقافي الذي وظفت فيه. لذلك إذا كانت اللغة ترتبط بالثقافة وكانت اللغة ترتبط بالترجمة، فهذا يعني أن عملية المثاقفة ترتبط بالترجمة.

وبما أن الترجمة وسيلة لتبادل الثقافات ونشرها، وتعانق الحضارات والتقائها - لا تنافرها وصراعها - والاطلاع على ما لدى الآخرين من فكر وثقافة، فنحن مطالبون اليوم بالانفتاح على الحضارات والثقافات واللغات الأخرى لأنها تشكل نوافذ للاستفادة من الفكر العالمي.

إذن، المثاقفة هي ما يتولد ويتأسس من خلال احتكاك بين مجموعتين أو أكثر، أي أنها تشير إلى ثقافة في حالة ولادة. ولا يمكن أن تتحقق في صورة تدخل أطراف سياسة، وإلا أصبحت تبعية، وأصبحت أقرب إلى فعل ثقافي يحمل في طياته الرغبة في محو الآخر وفرض التبعية عليه ومعاملته بنظرة فوقية. ففي حالات الاختلاط القهري الناتج عن الحروب والاستعمار لا يمكن أن تتحقق المثاقفة، بل تكون نتيجة الاختلاط الناجم عن ذلك «تشوهات ثقافية». لذلك لابد من التفريق بين المثاقفة والغزو الفكري. فكلا المصطلحين يدل على وجود علاقة ما بين ثقافتين أو أكثر، وهذه العلاقة بين ثقافتين متباعدتين أساساً في جذورها الدينية وانتماءاتها العرقية، وواقعها الجغرافي، وتراثها الاجتماعي والثقافي والجمالي، إما أن تتبع منحى تواصلياً حوارياً يتولد منه التفاعل الحضاري، وإما أن تتبع منحى تصادمياً يتولد منه الاستلاب الحضاري. لذلك كان الغزو الفكري هو النقيض للمثاقفة، لأن المثاقفة تقوم على مبدأ التواصل وطلب الاغتناء بثقافة الآخر وإغناء ثقافته في الوقت نفسه في جو من التكافؤ والحوار، بينما يستهدف الغزو الثقافي احتلال العقل وغزوه من الداخل، واستغلال حالات الضعف الذاتي لتخريب المناعة الذاتية للكيان المغزوّ.

إذن، لا مثاقفة إلا بمشاركة إيجابية وركنها الأساسي حرية الاختيار وتلقائية المبادرة وسيادة القرار.

العلاقة بين العولمة والترجمة

العولمة مصطلح يعبر عن ظاهرة قديمة، أدت إلى جعل العالم قرية إلكترونية صغيرة تترابط أجزاؤها عن طريق الأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية والقنوات التلفزيونية، وقد ورد عن علماء التاريخ أن العولمة ليست ظاهرة جديدة بل قديمة ترجع في أصلها وبداياتها إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وظهرت مع بداية الاستعمار الغربي لآسيا وأوروبا والأمريكيتين، ثم ارتبطت بتطور النظام التجاري الحديث في أوروبا، مما أدى إلى ظهور نظام عالمي معقد اتصف بالعالمية ثم أطلق عليه اسم العولمة. رأى الباحثون أن العولمة تقوم على أربع عمليات أساسية، وهي المنافسة الكبيرة بين القوى العالمية العظمى، وانتشار عولمة الإنتاج وتبادل السلع، والابتكار والإبداع التكنولوجي، والتحديث المستمر[٩].

كثرت الآراء واختلفت وجهات النظر حول تعريف العولمة وذلك بسبب غموض مفهومها، فأصبح للسياسيين تعريف خاص بهم، وللاجتماعيين تعريف خاص بهم وهكذا، إلى أن تم تقسيم التعريفات جميعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي: ظاهرة اقتصادية، وثورة تكنولوجية واجتماعية، إلا أنه غالباً ما كان يستخدم مفهوم العولمة للإشارة إلى عولمة الاقتصاد والمقصود به تحويل الاقتصادات القومية إلى اقتصاد عالمي، وذلك من خلال مجالات مختلفة مثل التجارة، وتدفق رؤوس الأموال، وهجرات الأفراد، والاستثمارات الأجنبية، واستخدام وسائل التكنولوجيا بكثرة[١٠].

يمكن القول على نحو عام إن العولمة نظام عالمي قائم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية التي تقوم بدورها على الإبداع التقني اللامحدود، ودون وضع أي اعتبار للأنظمة والقيم والثقافات والحدود الجغرافية والسياسية في العالم.

---

[٩] رزان صلاح، ما هي العولمة، موقع موضوع، ٦ يونيو ٢٠٢٢.

[10] https://www.1stopasia.com/blog/globalization-and-its-influence-on translation-industry/

العولمة أنواع أهمها العولمة الاقتصادية وتظهر في وحدة الأسواق المالية وفي المبادلات التجارية، أما ظهورها البارز فهو في إنشاء منظمة التجارة العالمية (WTO). والعولمة السياسية التي تتبدى في الهيمنة المفروضة من قبل دول العالم القوية على الدول النامية والضعيفة من خلال تأثيرها في اقتصاد الأخيرة واختراقه، مما يجبر هذه الدول على الخضوع لما يرضي الدول القوية ويخدم مصالحها، ما يؤدي إلى حدوث اضطرابات كبيرة وعدم استقرار. والعولمة الثقافية وهي صياغة شاملة تغطي معظم جوانب النشاط الإنساني، وتستمد خصوصيتها من تطور الأفكار والقيم والسلوك، كانفتاح الثقافات العالمية وتأثرها ببعضها البعض. وبرزت على نحو واضح في تسعينيات القرن الماضي، أما الانفتاح الآن فلم يحدث له مثيل في أي فترة من فترات التاريخ. يمكن القول إن العولمة الثقافية تعني أن ينتقل اهتمام الإنسان من المجال المحلي إلى المجال العالمي، وخروجه من المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، إضافة إلى زيادة الوعي بوحدة البشر. كما توحي العولمة الثقافية إلى سيطرة الثقافات القوية ونشر قيمها وهيمنتها على الثقافات الضعيفة. أما العولمة الإعلامية فيقصد بها سيادة قيم ومفاهيم الدولة القوية والفعالة عبر وسائل الإعلام، وجذورها مرتبطة بتغطية الأخبار العالمية. وإذا ما نظرنا إلى الوقت الذي كان يتطلبه وصول خبر من مكان إلى مكان آخر مقارنة في هذا الوقت فعندئذٍ سندرك دور الإعلام في عصر العولمة الحالية[١١].

ما الدور الذي يمكن أن تقوم به الترجمة في إطار ما يسمى بالعولمة؟

حين نترجم عن المجتمعات المتقدمة، فإننا نحاول أن نلحق بها. وحين نترجم عن المجتمعات التي تشبهنا، فإننا نحاول أن نفهمها ونفهم طبيعة المشكلات التي تعيشها، وطبيعة الحلول المقترحة لهذه المشكلات. وبذلك يحاول الجميع أن ينصهر في بوتقة واحدة. لكن ثمة حقائق لا يمكن إغفالها منها ماهية العولمة وطبيعة وسائل الاتصال ووضع اللغة المحلية.

---

[٤٨] رزان صلاح، ما هي العولمة، موقع موضوع، ٦ يونيو ٢٠٢٢.

في إطار الاقتصاد استطاعت العولمة أن تطور آليات وهياكل تساعد – نظرياً – على دمج الاقتصاد العالمي في ظل فلسفة واحدة للتطور. ولدينا آليات وهياكل مثل اتفاقية الجات (GATT) والشركات متعددة الجنسيات، والمشروعات المشتركة، والتجمعات الدولية والإقليمية وكلها تأخذ طابعاً اقتصادياً. في الاقتصاد تحقق العولمة نجاحاً لافتاً لأنها تعتمد لغة لا هوية لها هي لغة المال والأرقام. لكن خارج دائرة الاقتصاد تبدو الصورة مختلفة، لأن العولمة تواجه هويات قومية ولغات محلية وحضارات متنوعة. فكيف تشكل من كل هذا نسيج متجانس أو أقرب إلى التجانس؟ إنها تفعل ذلك من خلال عدة وسائل أهمها اعتماد الترجمة وسيلة من وسائل التقريب بين الشعوب (الترجمات الآلية المتنوعة Bing مثلاً).

الآثار السلبية للعولمة الثقافية

على الرغم من وجود إيجابيات للعولمة إلا إن آثارها السلبية لا يمكن تجاهلها، أهمها الخسارة الثقافية؛ ولا سيّما وأنها تؤدي إلى اختفاء خصائص ثقافية محددة من بعض البلدان؛ كاللغة والتقاليد والصناعات المحددة. وبما أن مفهوم العولمة يروج أكثر في الجانبين الاقتصادي، والثقافي أو الاجتماعي، فالعولمة بالمجمل هي عملية حركية عالمية، تقوم على التجارة والاستثمار، أو هي عملية يتم فيها تحويل الظواهر المحلية أو الإقليمية إلى ظواهر عالمية، (كانتشار اليوغا الهندية كطريقة تواكب الحداثة للمحافظة على الرشاقة وليس كما بدأت تواصلاً روحياً تأملياً).

يقول الكاتب فوكو ياما في كتابه نهاية التاريخ: الكل سيأكل الهامبرجر وسيرقص الروك، وسيقلد نمط الإنتاج أو الحياة الأمريكية، وهذا دليل على أن الأمريكيين يرون ثقافتهم ثقافة عالمية، على الكل التأثر بها، وهو ما يؤدي إلى التبعية.

للعولمة تأثير لغوي واجتماعي هائل فهي التي تستدعي عملية الترجمة. منذ سنوات قليلة مضت كان هناك طلب أكبر على خدمات الترجمة التي تلزم المؤسسات التعليمية والشركات الخاصة أكثر من أي وقت مضى بسبب الاهتمام المتزايد لبعض دول العالم ببعضها الآخر لأسباب تعود إلى النزاعات والصدامات العالمية والأزمات

الاقتصادية العالمية والمخاوف والمصالح المشتركة مثلاً. وما زاد من العولمة في هذا الوقت هو تولي الذكاء الاصطناعي اليوم جزءاً من تلبية هذه الخدمات ولو بالحد الأدنى، وهذا جزء من عملية العولمة، وتأتي من خلال الحاجة إلى التقنية، وأدى إلى انتشار اللغة الإنكليزية كلغة عالمية أو لغة العولمة.

فأصبحت اللغة الإنكليزية والعولمة مرتبطان بعضهما ببعض. وباتت اللغة الإنكليزية تؤدي دوراً رئيساً في قطاع التجارة والأعمال وتنوع القوى العاملة، وأصبحت لغة التواصل الأساسية في معظم القطاعات، كالتحويلات المالية والشحن الجوي والبحري وأصبحت لغة العلوم والتقانة ولغة الحواسب ووسيلة التعليم عبر التطبيقات المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعية المختلفة. يستثنى من ذلك الصين التي تنشئ تقاناتها المحلية في محاولة منها لمنع التأثر بالعولمة والحفاظ على هويتها الوطنية. لذلك أنشأت فيسبوكاً صينياً بالكامل ليحل محل الفيسبوك العالمي، وبرنامجاً يدعى (We Chat) أصبح هو الهوية الصينية حيث يمكن تحديد هوية الشخص من خلال هذا التطبيق على جهاز المحمول وإجراء التحويلات البنكية وعمليات البيع والشراء والاستثمار والحجز الفندقي والسفر وكل ما يخطر على بال. وبذلك أوقف الصينيون التأثر بلغة العولمة لأنهم استطاعوا إيجاد البديل.

الترجمة بين المثاقفة والعولمة

الترجمة بين المثاقفة والعولمة هي إشكالية نهدف من خلال الخوض فيها إثارة جانب مهم يمكن اختزاله على النحو الآتي: هل ما زالت الترجمة تساهم - كاستراتيجية لتوليد الاختلاف – في تكريس لغة المثاقفة ولغة الحوار بين الثقافات والحضارات المتنوعة، أم أن دورها في الوقت الراهن سلبي في ظل العولمة الكاسحة التي تلغي الخصوصية اللغوية والهوية الثقافية والشخصية الحضارية للأمم، وتدحض فكرة التوازن لصالح الهيمنة والاختراق وتكريس الثقافة الواحدة؟ كيف تغدو الترجمة وسيلة لإحلال الحوار بين الثقافات؟ وبأي معنى تضطلع بدورها كاملاً لخلق مثاقفة متوازنة تبنى على الاغتناء المتبادل لا على الإلغاء والتفاضل؟ في ضوء هذه الأسئلة وغيرها، سنحاول ملامسة بعض الجوانب التي تثيرها الترجمة في علاقتها بالمثاقفة والعولمة.

أولاً: الترجمة والمثاقفة: (من الوحدة إلى التعدد)

كنتيجة حتمية للتواصل الهائل، أصبح التفاعل بين الثقافات القومية والحضارات المختلفة يعتمد على الترجمة ليس باعتبارها ترفاً فكرياً بل ضرورة إنسانية أملتها شروط الاختلاف والتعدد القائمة بين الأمم. لأنه لولا هذا الاختلاف والتعدد لما كانت الترجمة ضرورية ولا حتى ممكنة. وعليه، فإن وجودها وديمومتها مقرونان بهذا التعدد على مستوى اللغات والثقافات والحضارات. فهي لا تهدف، كما يقال عادة، إلى أن تطابق الأصل وأن تحاكيه وتماثله، بل أن تكرس ثقافة الاختلاف وأن تصبح استراتيجية لتوليد الفوارق. بهذا المعنى تكون الترجمة، لا علامة على تبعية ونقل وتجمد وموت، وإنما على انفتاح وغليان وتلاقح وحياة.

وهذه الفكرة يدعمها الباحث الاجتماعي الفرنسي ميشال دي كوستر Michel de Coster في قوله إنها مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة كالتأثير والتأثر والاستيراد والحوار والرفض والتمثل وغير ذلك، مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل الإشكاليات، ما يعني أن التركيبة الثقافية والمفاهيمية لا يمكن أن تبقى أو تعود بحال من الأحوال إلى ما كانت عليه قبل هذه العملية. وهكذا تبدو الترجمة مع كل مثاقفة أو تلاقح ثقافي وحضاري إضافةً وليس استلاباً. وتصبح كحمل شعبٍ للمشعل وتسليمه لشعب آخر بالاستفادة من مجمل الإنجازات التي توصلت إليها الشعوب الأخرى قبله. إذنْ، أمام ثقافة الأخذ والعطاء، والاستيعاب والإضافة، تتعدى المسألة التمازج والانصهار بل توليد فعل ثقافي جديد. وبهذا المعنى تنتقل الترجمة من الوحدة إلى التعدد.

ثانياً: الترجمة والعولمة: (من التعدد إلى الوحدة)

الشعوب غير متطابقة ثقافياً، ولكل شعب خصوصيته التي تميزه من غيره. لكن التمايز الثقافي ليس امتيازاً، والاختلاف لا يلغي وجود أواصر إنسانية مشتركة. وإذا كان ثمة توجه اليوم لقيام ثقافة عالمية، فإن دعوة كهذه قد تشكل خطراً في

ظل عصر العولمة، الذي وإن كان يمتاز بسرعة هائلة على مستوى انسياب المعلومات وتدفق المعارف، فإنه مع ذلك يسهم في تكريس عدم التكافؤ التكنولوجي والإعلامي، ويوجهها في اتجاه تقليص الهوة بين الثقافات المتنوعة، ومن ثَمَّ محاولة صهرها داخل الثقافة العالمية الواحدة، هي ثقافة الآخر الغربي. فالعولمة باعتبارها حصيلة المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد تسعى إلى محاولة إلغاء خصوصيات الثقافات، أي باختصار إلغاء للهوية التي تميز شعباً عن شعب آخر، وإلغاء للحضارة والفكر واللغة لصالح اللغة والثقافة الإنكليزية، أي لغة وثقافة القطب الواحد الممثل في الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما حدا بالبعض إلى اعتبار العولمة مرادفاً للأمركة.

وتشير المعطيات الراهنة إلى أن الوضع بات يتجه أكثر نحو ثقافة الهيمنة والاختراق في الوقت الذي كان فيه الوضع سابقاً متجهاً إلى ثقافة المثاقفة والتعايش... وأصبحت الترجمة تنتقل هي الأخرى من التعريف بالثقافات المتنوعة والمتعددة إلى الاقتصار فقط على تعميم ثقافة القطب الواحد ولغته، ما يعني زوال اللغات المحلية بالتدريج، وتقليص دور الثقافات في السياق الحضاري، ما يعني عجزها عن مواكبة التراكم العلمي والفكري الإنساني. لذلك ما يمكنها من استعادة دورها وحضارتها وقيمها المحلية يكمن في تطعيم ثقافتها مع الحفاظ على هويتها الأصلية.

ودون شك فقد أضحت الترجمة وسيلة من وسائل العولمة ونقل المعرفة، وحوار الحضارات وتواصل الثقافات المختلفة[١٢]؛ غير أن الواجب والمنطق يفرض علينا أن نكون على وعي تام حيال هذه القضية حتى لا يجري استغفالنا، وتنطوي علينا الحيل، وننجرف مع التيار، فنكون جزءاً منه من حيث لا ندري، لذلك فإننا بحاجة إلى إعمال العقل والمنطق وتوجيه مدّ هذه العولمة بما يتناسب مع هويتنا التي أصبحت

(12) Wiersema, Nico, Globalization and Translation: A Discussion of The Effect of Globalization on Today's Translation, https://translationjournal.net/journal/27liter.htm

في معرض التهديد[١٣].

كما ندرك أيضاً تزاحم الفضاء المادي والمعرفي بأشكال وأنواع متعددة من الثقافات، وهنالك من يبحث عن إساءة استعمال العولمة والمثاقفة لأغراض خاصة ومسيسة تخدم سياساته وتطلعاته؛ إذ أصبحت العولمة مظهراً من مظاهر «القوى الناعمة»، و«الفوضى الخلاقة»، والصراعات الخفية، والمؤامرات الثقافية، وعمليات غسل الأدمغة وتوجيهها[١٤].

وكل هذه الدواعي تفرض علينا أن نكون واعين ومشاركين في هذا الفضاء الواسع، وليس مجرّد متلقين[١٥].

---

[٥٠] د. بسام علي الربابعة - الرياض - أستاذ مشارك في اللغة الفارسية وآدابها - كلية اللغات والترجمة/ جامعة الملك سعود.

[٥١] المرجع السابق.

[٥٢] المرجع السابق.

الترجمة والبنيان في تاريخ الأديان

شانتال جرجس

أدعوكم أعزائي المترجمين أن نمخر عباب الزمن، وندرج في لمحة خاطفة إلى أحقاب تاريخية ولّت تاركة لنا إرثاً حضارياً وتاريخياً عابقاً برائحة البخور، حاملاً لنا أسمى المعتقدات التي شكّلت اللبنة الأساسية في التكوين الفكري لأبناء منطقة بلاد الشام والرافدين والجزيرة. إذ سأسلط الضوء في هذا البحث على اللغات التي كانت منتشرة في تلك المناطق، في الفترة الممتدة ما بين منتصف الألف الرابع قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي، لما تزخر فيه من تنوع حضاري وديني وتعدد لغوي كان له بالغ الأثر في ترسيخ ثقافة الشعوب الدينية.

فالفكر الديني هو أحد المواضيع التي أولاها الإنسان أهمية كبيرة منذ عصور موغلة في القدم، إذ كان نموه وتطوّره مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتطوّر الجماعات البشرية البدائية التي أخذت تميل مع الزمن إلى تطوير إمكاناتها المتواضعة، وعند ذاك زاد توجه تلك المجتمعات إلى ترجمة ثقافات الجماعات الأخرى، فقد حصل تبادل في الخبرات التقنية المهمة وجوانب الحياة الأخرى كالجانب الديني. وبسبب تزايد أفراد تلك الجماعات وتراكم خبراتهم فقد اندمجت تلك الجماعات في عجلة التطور الحضاري، وهكذا أسهمت الترجمة في الارتفاع بمستوى البشرية نحو الأفضل.

ثمّة علاقة وثيقة بين الترجمة وتاريخ الأديان، والخوض في هذا المضمار شائق بقدر ما هو شائك، ونظراً لأهمية هذا النوع من الترجمة التي تتمثل في الدرجة الأولى بالولوج إلى عمق الزمن وكشف الدرر والفنن لحضارات اندثرت أو ما زالت أجيالها تتوارث إرثها الحضاري لكن بلغات لم تعد تحمل ذات الرموز اللغوية كتلك

التي لدى أسلافهم، وجب علينا توخي الحذر والتزام الموضوعية والدقّة في أثناء البحث والتنقيب.

فعبر اللغة تخلّد كلّ أمة أحداثها التاريخية وأعمال عظمائها، وبالترجمة تنقل محتوى تلك التوثيقات بين اللغات من الماضي إلى الحاضر عبر باب من أبوابها اصطُلح تسميته بـ "الترجمة التاريخية". مثال على ذلك: قورش خلّد أعماله بنقوش على أسطوانة طينية، والفراعنة على جدران أهراماتهم، والفينيقيون والأكاديون والآشوريون على الألواح المسمارية عبر نقوش صورية رمزية تطوّرت شيئاً فشيئاً إلى أبجدية الأوغاريتيين والفينيقيين.

علينا بادئ ذي بدء سبر الأرض التي سيقوم عليها هيكل هذا البناء ودراسة أبعادها، وذلك لإدراك مدى إمكانياتنا لإعداد بناء متين يخدم الهدف. لذا لا بدّ لي من التوقف قليلاً لمعرفة العلاقة بين التاريخ والترجمة، ومن ثمّ الغوص في مبوبات بحثنا لمعرفة آليات الترجمة في تاريخ الأديان.

دراسة الترجمات القديمة تمكننا من فهم آليات ومنهجيات جديدة في تحويل الرموز اللغوية من لغة إلى أخرى، يقول ميشيل بالارد في كتابه حول العصور الوسطى والترجمة (MichelBallard, 2019):

"L'étude de l'histoire de la traduction, tout autant que la mise au jour des méthodes de transfert, nous mènent à une étiologie de la traduction, c'est-à-dire une prise en compte des sources, au sens large, de la traduction, ce qui inclut les configurations historiques et sociales qui la génèrent et lui donnent forme"

«إن دراسة تاريخ الترجمة تماماً كتحديث طرق النقل، تقودنا إلى ماهية الترجمة، أي مصادرها، بالمعنى الواسع، تلك التي تشمل التكوينات التاريخية والاجتماعية التي تولّدها وتشكّلها».

وبناء عليه فإن آليات وفك رموز وطلاسم لغات وثقافات مجتمعات اندثرت ولم يبقَ منها شيء سوى أوابدها وأطلالها وبعض من أدواتها ورموزها وصورها التي نُقشت على ألواح طينية مهمة غاية في الصعوبة، تقع على عاتق المترجم للنصوص التاريخية من لغة إلى أخرى ولا سيّما ترجمة النصوص الدينية كالترجمة السبعينية وترجمة القديس جيروم للعهد القديم، وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية وباقي اللغات. «إذ لا بد للمترجم أن يتمتع بالوعي الكامل لمجتمع اللغتين فتسهل عليه مهمة التفسير»، (كريستيانو باليو Christian Balliu، ١٩٥٣، ص٩٤).

سأستعرض في هذا البحث استعراضاً موجزاً وسريعاً آليات الترجمة التي استُند إليها في ترجمة (التوراة – الإنجيل المقدس – القرآن الكريم) لنكوّن فكرة مبدئية وأولية عن مرحلة مفصلية مهمة في تاريخ ترجمة النصوص الدينية، نستهلها في التعرّف إلى بنية الترجمة في التراث اليهودي:

أولاً- التراث اليهودي

كان يُنظر إلى ترجمة نصوص العهد القديم إلى غير العبرية على أنها مشروعة ومقبولة، لكن بشرط أن تكون مرافقة للنص الأصلي، أي إنها أقرب إلى الشرح والتفسير منها إلى الترجمة. ولقد ارتبطت الترجمة بالتقلبات السياسية التي عرفها اليهود، فحين عادوا من السبي البابلي (٥٣٨ ق.م) كان الكثير منهم قد نسي اللغة العبرية، فصار من الضروري أن يترجم لهم إلى لغاتهم التي يتكلمونها، وكانت تلك غالباً الآرامية، وكانت هذه الترجمات تجري شفاهة في الكُنُس، لأن النص العبري وحده الذي يجب أن يبقى مكتوباً، وكانت العملية تتم وَفْقَ طقوس صارمة لها مغزاها: فلكي لا يظن أحد أن قارئ النص العبري يأتي بالكلام من عنده، كان عليه ألا يرفع عينيه عن النص، وألا يستظهر غيباً، وأما الترجمان فكان عليه أن يترجم شفاهة دون أن ينظر إلى النص المكتوب، ولم يكن يحق لقارئ النص العبري أن يساعده. وهكذا كان الفصل بين الشخصين والوظيفتين واضحاً لا لبس فيه، كما أن الترجمان كان عليه أن يقف بعيداً عن النص العبري وعلى صعيد أدنى من قارئه، وهذه إشارة

واضحة إلى أن الترجمة الشفهية أدنى مرتبة من النص العبري المكتوب، وفوق كل ذلك لم يكن للترجمان أن يرفع صوته على صوت القارئ، ولا لصوتيهما أن يسمعا في وقت واحد.

تُعد ترجمة السبعينية أشهر الترجمات اليهودية للنص العبري، بل إحدى أشهر ترجمات الكتب المقدسة قاطبة. أُنجزت هذه الترجمة في القرن الثالث قبل الميلاد بأمر من ملك مصر بطليموس الثاني. ولها قصه تقول إن الترجمة جُمع لها (اثنان وسبعون) من أحبار اليهود المتبحرين في التوراة والعارفين بالثقافة اليونانية، لكنهم ترجموا كل منهم على حدة وحين قارنوا ترجماتهم وجدوها متطابقة، وهذا يعني أنهم ترجموا بوحي إلهي، وأن ترجمتهم تبعا لذلك مقدسة. وسيتلقف التراث المسيحي بعد ذلك فكرة الترجمات الجماعية، ويتبناها في ترجمة الأناجيل. ويقول المؤرخون إن الترجمات الجماعية كانت وسيلة السلطات السياسية لمراقبة سير الترجمة، كما أنها كانت تشكل حماية للمترجمين من الاضطهاد، إذ تتشارك مسؤوليتها مجموعة من المترجمين لا فرد واحد.

وكان لهذه الترجمة أثر كبير، فلقد جعلت النصوص المقدسة في متناول قطاعات واسعة من اليهود الذين لم يعودوا يتكلمون العبرية، كما أن المسيحيين الذين يعترفون بالعهد القديم نصاً مقدساً اتخذوها نصاً مرجعياً وفضّلوها على النص العبري، وهذا هو تحديداً ما جعل اليهود يرفضونها شيئاً فشيئاً لأنها صارت كتاب خصومهم، وهكذا يبدو أن رفض اليهودية اللاحق (متمثلاً في عدد من النصوص التلمودية) لم يكن موجّهاً للترجمة على نحو مطلق بل للسبعينية على نحو خاص.

ونظراً لأهمية الترجمة وخطورتها، كان لا بد لها من قواعد منهجية وإجرائية واضحة، ثم تقريرها على مراحل طويلة، مثل ضرورة تجنب الحرفية الزائدة والحرية المؤدية إلى التجديف. لكن من أهم هذه القواعد هي ضرورة أن يكون المترجم قادراً على استنباط معنى مقطع معين من خلال تأويل مقاطع أخرى مجاورة له.

ثمة ترجمات أخرى معروفة، وإن كانت أقل شهرة من السبعينية، مثل الترجمة

من العبرية إلى الآرامية المعروفة بالترجوم في القرن الأول الميلادي وهو اسم يطلق على عدد من الترجمات التفسيرية القديمة لأجزاء من العهد القديم إلي اللغة الآرامية» ينسب أفضل ترجوم معروف للأنبياء لـ«يوناثان بن عزيئيل» تلميذ المعلم اليهودي العظيم «هليل»، وترجمة آكيلا إلى اليونانية في القرن الثاني الميلادي التي كانت ترجمة «حرفية» حاولت أن تحافظ على شعرية النص العبري، لكن لا مجال للخوض فيها جميعها، فكل ترجمة تحتاج لبحثٍ منفرد.

ثانياً- التراث المسيحي

كان الكتاب المقدس المسيحي «الإنجيل»، ولا يزال أكثر الكتب المقدسة ترجمة في العالم، وبلغت عدد اللغات التي تُرجم اليها ٢٥٢٧ لغة من أصل ٦٥٠٠ لغة يعتقد أنها لغات العالم.

ما يميّز التراث المسيحي هو أولاً عالمية الدعوة المسيحية، وكذلك كون أن الأناجيل نفسها كتبت باليونانية، أي بغير اللغة التي يعتقد أن السيد المسيح علّم وبشّر بها، وهي الآرامية، وهذا يعني أن علاقة المسيحية بالترجمة مبدئياً علاقة خاصة.

بدأت ترجمة الإنجيل في القرن الثاني للميلاد، إلى السُّريانية واللاتينية وبعض اللهجات القبطية، لكن تبقى أشهر ترجمات العصور القديمة هي ترجمة القديس جيروم (٣٤٧ حتى ٤٢٠ م) الذي يُعدُّ شفيع المترجمين، التي تُعرف باسم الفولغات (Vulgate).

ترجم جيروم أولاً من اليونانية (السبعينية)، ثم أعاد الترجمة من العبرية، وترك نصوصاً وتعليقات يصف فيها منهجيته في الترجمة ورؤيته لها. وكان يدافع عن ترجمة المعنى لا الكلمة، إلّا فيما يخصّ الكتب المقدسة، وكان يرى المترجم بمنزلة الغازي الذي يأسر المعنى ويجلبه معه.

وفي الوقت نفسه عبّر القديس أوغسطين المعاصر لجيروم عن رؤية مختلفة: فقد رفض استخدام الترجمات اللاتينية، وكان يفضل الإبقاء على السبعينية لأنها

مألوفة أو الترجمة منها لا من النص العبري، ولقد ظل عامة المسيحيين لمدة طويلة يعتقدون أن السبعينية ليست ترجمة، بل النص الأصلي نفسه. يقول جورج مونان:

«كان المعاصر العظيم للقديس جيروم، القديس أوغسطين، معارضاً لكل ترجمة للنصوص المقدسة إلى اللاتينية، إلّا على نحو طبعات مبنية على الأصول تبيّن الاختلافات ما بين ترجمة السبعينينة والنص العبري، دون أن تقترح ترجمات جديدة تحل محل السبعينية. وكتب أوغسطين إلى جيروم (إن كان ما يترجم غامضاً، فمن الممكن إذن أن تخطئ أنت أيضاً، وإن كان واضحاً، فهذا يعني أن أولئك الكتّاب السبعين لم يكن بإمكانهم أن يخطئوا).

ولأن ترجمة الكتب المقدسة ارتبطت بحركات الإصلاح الديني في أوروبا ارتباطاً وثيقاً حتى قيل إن الإصلاح ليس إلا خصومة حول إمكانية الترجمة من استحالتها، فلقد أدى ذلك إلى إعلان الكنيسة الكاثوليكية في مجمع ترنت سنة ١٥٤٦ أن الفولغات هي النص الوحيد المعتمد، ولم يلغ ذلك إلا سنة ١٩٤٣.

في إنجلترا، اتخذت النقاشات حول الترجمة شكلاً عنيفاً دامياً، كما هي الحال مع عالم اللاهوت ويكليف ١٣٨٤، الذي رفض صكوك الغفران وكان يؤمن بمسؤولية الإنسان أمام الله دون وساطة، وبحقه في أن يقرأ الشريعة في لغته المحلية التي يفهمها.

جاء بعد ذلك ويليام تينداىل (١٤٩٤ حتى ١٥٣٦) وكان أول إنجليزي يترجم من اللغات الأصلية. اضطر إلى الذهاب إلى المانيا فراراً من الاضطهاد، وهنالك قابله مارتن لوثر. حُظرت ترجمته من الدخول إلى إنجلترا، وكان مجرد امتلاك نسخه منها جريمة يعاقب مرتكبها. عاد تينداىل سراً إلى إنجلترا، وما لبث أن افتضح أمره وقبض عليه، وانتهى به الأمر إلى الموت خنقاً وحرقاً.

لا شك أن ترجمات الكتاب المقدس المختلفة كان لها أثر كبير ودائم في اللغة والأدب الإنجليزيين، وهو ما يقرُّ به مؤرخو الأدب أنفسهم. وظهر هذا التأثير على صعد عدة، فالأدب الإنجليزي استمد الكثير من موضوعاته من الكتاب المقدس، كما أن الكثير من العبارات والصيغ وجدت طريقها إلى الأدب حتى الصحف، بل

إن الكثير من هذه الصيغ دخل لغة الاستعمال اليومي، ولأجل ذلك حقّ لآلبرت كوك أن يقول: «لم يدخل أي كتاب ويتغلغل في قلوب الإنجليز وكلامهم مثلما فعل الكتاب المقدس، ما مثله هوميروس لليونانيين، والقرآن للعرب، هو ما صار يمثله الكتاب المقدس (في ترجمته الإنكليزية) للإنجليز».

ويشبه هذا إلى حد كبير ما فعلته ترجمة أخرى شهيرة ألا وهي ترجمة مارتن لوثر. فقد ارتبطت الترجمة بحركة الإصلاح التي قادها مارتن لوثر بدءاً من احتجاجه العلني على صكوك الغفران. وأنهى ترجمته للعهدين القديم والجديد سنة ١٥٣٤، وأصدر نصاً شهيراً يشرح فيه منهجيته، لكن هذا النص لم يكن مدعوماً بالحجج والأمثلة الكافية، بل كان نصاً سجالياً يصف فيه البابويين بالجهلة والأغبياء، وينوّه بالجهد الهائل الذي بذله هو وفريقه.

يجدر بنا الإشارة إلى ترجمة «بشيطتا» باللغة السُّريانيّة التي تعني الشّائع أو العام، أي المُستخدم لدى الجميع. والبشيطتا هي نسخة مجهولة الهوية، تُرجم من خلالها العهد الجديد إلى اللغة السُّريانية.

تمّت هذه الترجمة في بدايات القرن الخامس، وفقا لرأي الأغلبية الساحقة من علماء النقد النصي. احتوت البشيطا السُّريانيّة على ٢٢ سفراً فقط من أسفار العهد الجديد، أمّا رسالة بطرس الثانية ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة يهوذا وسفر الرؤيا لم تُترجم. يوجد اليوم ٣٥٠ مخطوطة للبشيطتا السُّريانيّة العديد من هذه المخطوطات ترجع للقرنين الخامس والسادس. قال جورج لمسا -صاحب إحدى أشهر النسخ المطبوعة للبشيطا ما نصه: الإجماع العلمي منعقد بأن البشيطا تُرجمت من اليونانية بواسطة رابيولا أسقف الرها ما بين عامي ٤١٢- ٤٣٥ م»

ثالثاً- التراث الإسلامي:

من نافلة القول إن الأمر في التراث الإسلامي كان مختلفاً اختلافاً جذرياً عن سابقه. فقد اختلف العلماء والفقهاء المسلمون على اختلاف مذاهبهم على حكم

ترجمة القرآن هل هي جائزة أم لا. من القائلين بجوازها، مع عدم اعتبارها نصاً مقدساً تستخلص منه التشريعات بل تفسيراً لمعاني النص، وبين القائلين بحرمتها واستحالتها قطعاً، على أن قول الجمهور هو بالتحريم لا بالإباحة.

يمكن تحديد نقطة البداية في النقاش حول ترجمة القرآن بمسألة جواز قراءة الفاتحة بغير العربية في الصلاة، فهنالك من جهة فتوى الإمام أبي حنيفة التي تقول بجواز ذلك مطلقاً بالنسبة للذي لا يعرف العربية، والجواز مع الكراهة بالنسبة للقادر على القراءة بالعربية. ورأي الإمام الشافعي الذي قال بخلاف ذلك، وتشدد في رأيه.

ويدور النقاش في الحقيقة حول محاور عدة، لعل أهمها مكانة اللغة العربية، ومسألة إعجاز القرآن الكريم. فالرافضون لترجمة القرآن يعتمدون على أنه أُنزل بلسان عربي مبين، وعلى أن اللغة العربية هي بذلك لغة شريفة، بل هي أشرف اللغات وهي أصل اللغات وهي لغة الجنة.

هكذا لم يترجم المسلمون القرآن الكريم لهذه الأسباب (تقديس القرآن الكريم وتقديس اللغة العربية) وغيرها، بينما بدأت الترجمات الأوروبية له في فترة مبكرة، إذ أنجزت أول ترجمة كاملة له سنة ١١٤٣ م. إلى اللاتينية على يد روبرتوس كيتينينسوس، وكانت غايتها تشويه صورة الإسلام لا محاولة معرفته، لكنها رغم ذلك أحرزت نجاحاً ساحقاً، وصارت منطلق عدد من الترجمات اللاحقة إلى اللغات الأوروبية، تماماً مثلها مثل ما هي الحال مع ترجمة القديس جيروم إلى اللاتينية، لكن أندري شوراكي (وهو أحد مترجمي القرآن الكريم إلى الفرنسية) يشير إلى فرق مهم بين الترجمتين، وهو أن القديس جيروم أنجز عمله بدافع الحب للكتاب المقدس، بينما ترجم كيتينيسوس القرآن وكذلك فعل بعده عدد من المترجمين الأوروبيين لدافع الكراهية.

يمكن القول إن الترجمات الأوربية للقرآن الكريم قد مرت بأربع مراحل متداخلة، نُجملها وَفْقَ الآتي:

- المرحلة الأولى: مرحلة الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية، وامتدت هذه المرحلة من القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الثاني عشر منه.
- المرحلة الثانية: مرحلة الترجمة من اللاتينية إلى اللغات الأوربية.
- المرحلة الثالثة: مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللغات الأوربية عن طريق المستشرقين ومن سار في فلكهم.
- المرحلة الرابعة: مرحلة دخول المسلمين ميدان الترجمة إلى اللغات الأوربية، واتصفت بعض هذه الترجمات بالعلمية، وشيء من الموضوعية، وقد بلغت ما يزيد على (٤٥) ترجمة كاملة سوى ما كان من الترجمات الجزئية.

لأجل ذلك تحديداً شعر المسلمون أخيراً بضرورة أن يتولوا هم ترجمة القرآن، وبدأت المواقف تلين لكنها كانت تعود وتتشدد باختلاف الظروف السياسية. فحين عيّن مصطفى كمال أتاتورك لجنة عهد إليها بترجمة القرآن إلى اللغة التركية اعتبر الكثيرون في العالم العربي والإسلامي أن ذلك محاولة من أتاتورك لإبعاد الأتراك عن العالم العربي واللغة العربية لتقريب تركيا من أوروبا. ولا يزال المسلمون إلى اليوم ينظرون بعين الريبة إلى الترجمات الغربية، ومن أهم الأمثلة على ذلك الزوبعة الشديدة التي أثارها صدور ترجمة المستشرق الفرنسي الكبير وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة جاك بيرك رغم ان مترجمته مثّلت نتاج سنوات من الجهد بذله عارف باللغة العربية وآدابها وثقافتها ومقدر لقيمة القرآن الروحية واللغوية، ولثقل مهمة من يتصدى لترجمته، فحين صدرت هذه المترجمة هاجمها عدد من المثقفين والمشايخ في مصر نفسها، بل اتهموا بيرك بأنه حلقة أخرى في سلسلة الاستشراق الطويلة بما تكيله للإسلام من مطاعن رغم أن عدداً من نقاط بيرك على الضفة الأخرى هاجموه تحديداً لقربه من القرآن وتعاطفه معه، ومنهم كلود جيليو الذي قال عن نص بيرك الملحق بالترجمة أنه يبدو في كثير من جوانبه وكأنه «رسالة في إعجاز القرآن ليس فيه من النود إلّا القليل».

في نهاية مطاف رحلتنا عبر الزمن التي تناولت فيها الترجمات الأولية لكل من

(التوراة – والإنجيل – والقرآن) التي شكّلت حجر الأساس لترجمات عديدة لاحقة لا حصر لها، وكان لها كبير الأثر في البشرية اجتماعياً ودينياً وثقافياً. أدركنا مما لا شك فيه إنه مدعاة فخر لنا أن نكون الوارثين الحقيقيين لهذا الإرث الحضاري التاريخي الضخم، ويقع على عاتقنا نحن المترجمين أن نحرص على صون هذا الإرث العظيم، ونبذل قصارى جهدنا في نقل رسالة الخير والمحبة بأبهى صورها إلى الإنسانية.

المراجع:

١. بسام بركة، ٢٠١٠، الترجمة بين الاختلاف اللغوي والخلاف الثقافي، مؤتمر جامعة سان جوزيف، بيروت.

٢. محمد عبد السلام كفافي، ١٩٧١، في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت.

٣. خير نمر ياسين، ٢٠٠٨، جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره في العصور البرونزية، منشورات لجنة تاريخ الأردن.

٤. كيليطو، عبد الفتاح، ٢٠٠٢، لن تتكلم لغتي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٥. Jean Dubois et Alii, Dictionnaire de linguistique et des Sciences du langage, 1999, Paris, Larousse.

❖ ❖ ❖

درر شرقيّة على ألسنة غربيّة
حين تحملنا التّرجمة على بساط علاء الدّين

ثراء علي الرومي

هل لي أن أحدّثكم يا سادة يا كرام عمّا لا يتّسع له المقام، فلو استفضت في حديثي هذا لأدركَ شهرزادَ الصّباح، وسكتت عن الكلام المباح قبل أن أنتهي من سرد بعض التّفاصيل عن أثر ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة والمعلّقات السبع في بعض المبدعين المبرّزين من الأنام، على مرّ أيّام بل أعوام. وهل لأعوام امتدّت في أندلسَ إلى قرون، أن تمرّ دون بصمةِ إشعاع ترجمَيّ فكريّ حفرها العربُ الفاتحون، فكانت أثمن من الدّرّ المكنون؟ هي توطئة لِثيمةِ ورقتي آثرتُ فيها أن أستخدم أسلوب السّجع لأشير في جانب منها إلى مواطن التّأثير والتّأثّر التي تقود إلى أسمى حالات المثاقفة في التّرجمة الأدبيّة بين العرب والغرب عموماً، وأثر التّرجمة بشتّى ميادينها في الأندلس على وجه الخصوص عبر الوجود العربيّ الذي امتدّ لثمانية قرون.

أهو مسٌّ من السّحر ذاك الذي يحدو بكلّ من يقرأ ترجمة ألف ليلة وليلة لأن يتقمّص الحكايا ويسافر في أزمنتها ليواكب شتّى الحضارات المتمازجة في قالبها الحكائيّ العجائبيّ، فيعود منتشياً بكلّ ما تَزَوَّدَهُ في رحلته من خصب الخيال وغنى التّجربة ويغدو مسكوناً بها، لا يملك فكاكاً من صورها وأفكارها التي تسبغ بَصْمَتَها على ما يكتبه؟ لعلّ خير أنموذج لمن خاضوا في سِفر هذه الحكايات حدّ الثّمالة «عبقريّ الواقعيّة السّحريّة»... الرّوائيّ الكولومبيّ غابرييل غارسيا ماركيز الذي يقرّ بفخر في مذكّراته التي عنوَنَها «عشت لأروي» أنّ كتاب ألف ليلة وليلة هو ما صنع منه الأديب الفذّ الذي هو عليه مؤكّداً افتتانه بما قرأ وشغفه الكبير بدور الرّاوي، ويوجّه رسالته للقارئ العربي والغربيّ على حدّ سواء من وحي تجربته مع هذه الدّرة الثّمينة التي تتجسّد في كتاب أنّ «علينا أن نقرأ فقط الكتب التي تجبرنا على أن نعيد قراءتها.»

بالعودة إلى بعض من أعمال الكاتب الإنكليزيّ شكسبير الخالدة، نجد اختلاف النّقاد حول إمكانيّة تأثّره بهذا الكتاب فالمستشرق البريطانيّ آربري، المتخصّص في أدب شكسبير يجد تشابهاً كبيراً بين مسرحيّة عطيل وقصّة قمر الزّمان ومعشوقته، بينما يجد الناقد سامي عبد الحميد أنّ شكسبير «اعتمد في كتابتها على رواية للكاتب الإيطالي سنثيو الذي هو الآخر اقتبس من حكاية التّفّاحات الثّلاث.» ويرى بعض النّقّاد أنّ مسرحيّة تاجر البندقيّة تتقاطع مع قصّة مسرور التّاجر وزين المواصف مع بعض الاختلافات في المصائر. وكذلك الأمر بالنّسبة لمسرحيّة الملك لير التي تلتقي قصّة الملك يونان والحكيم رويان على نحو يخلب الألباب.

يشير الباحثون في مجلة راندوم ثوت إلى التّأثير غير المسبوق لترجمة أنطوان غالان لهذا الكتاب إلى الفرنسيّة في متن اثني عشر مجلّداً بين عامي ١٧٠٤ و١٧١٧م علماً أنّ البعض يذكر أنّها تقع في ستّة مجلّدات. هذا التّأثير يشمل كوكبة من القامات الأدبيّة التي تبدأ بفولتير وغوته، ثمّ هانز كريستيان أندرسن ووليم بيكفورد وصولاً إلى بورخيس وإيتالو كالفينو مع التّأكيد على أنّ هذا التّأثير كان مدّاً حضاريّاً اجتذب في عنفوانه «الملحّنين الموسيقيّين أمثال موزارت والرّسّامين والمصمّمين ومخرجي الأفلام السّينمائيّة» الذين وقعوا أيضاً أسرى لتعويذة هذا الكتاب الذي يثير الإعجاب والعجب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الكتاب كان الهديّة النّفيسة التي تلقّاها المبدع الألماني غوته وهو طريح الفراش في عامه الرّابع بعد السّبعين وشكّلت نقلة نوعيّة في حياته الأدبيّة وهو العاشق للشّرق. حيث تورد الباحثة ميلاتي كريستينامور أنّ دار كوتّا للنّشر كان لها فضل السّبق في أوّل ترجمة ألمانيّة كاملة عن النّسخة الفرنسيّة للمستشرق جوزيف فون هامر التي حصل عليها من قنصل في القاهرة وتشير إلى أنّ غوته لم يقرأ الحكايات فحسب، بل «التهمها بكلّ معنى الكلمة» على حدّ تعبيرها لينكَبَّ بعدها على كتابة الجزء الثّاني من فاوست مستلهماً الكثير من التّحفة الأدبية التي بين يديه. تقول كريستينامور: «بكلّ يقين يمكن القول أنّنا ربّما ما كنّا لنحصل على النّسخة الكاملة لفاوست لو لم تقع النّسخة المنقّحة للحكايا الشّرقيّة بين يدي غوته».

أمّا الكاتب الأرجنتينيّ خورخي لويس بورخيس فلا يخفي إعجابه بحالة السّرد السّرمديّة التي تفضي إلى اللّانهاية والتي يرمز إليها وجود ألف حكاية وحكاية وتجعل من شهرزاد بينيلوبي أخرى تحيك سترة نجاتها لكن بمغزل من الكلمات. ويستلهم منها إسقاطات في قصّته كتاب الرّمل الذي يبحث قارئه عن الصّفحة الأولى فلا يجدها لأنه كتاب لا نهائيّ كما الرّمل لا بداية له ولا نهاية ويخفيه الرّاوي «خلف أسفار ألف ليلة وليلة» مجسّداً بذلك «اقترانه باللّيالي، الكتاب الأبديّ واللّانهائيّ الذي يقبل دائماً، إضافة ليالٍ وحكايات وصفحات أخرى إليه». على حدّ تعبير الكاتب المغربيّ وليد أحمين. وكذلك الأمر في قصّة «حديقة الطّرق المتشعّبة» التي يبدع فيها البطل الصّينيّ كتاباً ذا بنية دائريّة تتطابق صفحته الأولى مع الأخيرة في صيرورة أبديّة. يذكر أحمين في سياق تتبّعه لملامح تأثر بورخيس بهذه الحكايا القصّة الأكثر تجسيداً للأمر حيث يقول: في قصة من قصص بورخيس الأخرى بعنوان «تيلون، أكوبار، أوربيس تيرتيوس» نجد كتاباً يثبت وجود كوكب خياليّ مجهول اسمه تيلون ويتكون من ١٠٠١ صفحة. «وكاستطراد يحيلنا هذا الرقم مباشرة إلى كتاب ألف ليلة وليلة، وهو عند بورخيس يدل على عدد لا حصر له من اللّيالي، فهو رقم يجسّد لا نهائيّة النّصّ وخلوده، كما أنّ سمات الكوكب تتشابه إلى حدّ كبير مع اللّيالي».

ولا تغيب عن أذهاننا أشهر الأعمال الأدبيّة للرّوائيّ الإيطاليّ جيوفاني بوكاشيو الموسومة بعنوان الديكاميرون أو اللّيالي العشرة في محاكاة هذا العنوان للبنية السرديّة لألف ليلة وليلة لكن بعدد أيّام متواضع إذ يتناول العمل عشرة قصص تسردها شخصيّات تتبدّل على مدى عشرة أيّام.

أمّا الكاتب الياباني هاروكي موراكامي المرشّح لجائزة نوبل للآداب فيصف طقوس قراءته لترجمة عوالم ألف ليلة وليلة في روايته «كافكا على الشّاطئ» الصادرة عام ٢٠٠٢: «رويداً رويداً يختفي الواقع من محيطي كما يحصل حين تنتقل مشاهد فيلم في السّينما على الشّاشة فأغوص وحيداً بين الصّفحات...أحبّ هذه الأحاسيس أكثر من أيّ شيء في هذا العالم».

إن كان ذكر بعض الشّواهد على أثر ترجمة ألف ليلة وليلة في أدباء الغرب على مرّ التّاريخ يغني فكرة البحث لكنّه بنفس الوقت يغري الباحث بالتّوغّل أكثر فأكثر، ما قد يفضي إلى كتاب قد لا تتلاقى دفّتاه، فالأمثلة أكثر من أن يحتويها مقال أو حتّى كتاب وقائمة الأدباء تطول بحيث لا يمكن لورقة بحثيّة موجزة كهذه أن تتّسع لها.

ترجمة المعلّقات السّبع وأثرها في المثاقفة

أنتقل الآن إلى أثر ترجمة الشّعر في المثاقفة وتطوّر اللّغات، فبالحديث عن التّرجمة من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة يجدر بنا القول إنّ أهمّ مفرزات هذا الإنجاز الثّقافيّ الحضاريّ هو أنّه تمكّن على مرّ الزّمن من تخليص الشّعر من قوالبه الجامدة وصنعته ونأى به عن لغة السّجع التي كانت تؤطّره. وفي هذا السياق يرى الدكتور مسعود عمشوش أنّ ترجمة علي أحمد باكثير لمسرحيّة روميو وجولييت التي استخدم فيها شعر التّفعيلة في أواخر ثلاثينيّات القرن الماضي قد فتحت «الباب على مصراعيه أمام نازك الملائكة، وبدر شاكر السّيّاب، وصلاح عبد الصّبور، وأدونيس، وعبد الوهاب البيّاتي، وأحمد عبد المعطي حجازي ليهدموا عرش القصيدة الحديثة، التي تعتمد التفعيلة لا البحر، وذلك بتأثير ما قرأوه من شعر غربيّ، مترجماً أو في لغته الأصليّة.

وفي المقلب الآخر، يبحث أسامة أمين في كون ترجمة أنطون تيودور هارتمان للمعلّقات الشّعريّة السبع إلى اللّغة الألمانيّة بشروحاتها والتّعليقات التّفصيليّة التي حرص على إدراجها معها تشكّل بوّابة عريضة عبرت منها المعلّقات إلى الثّقافة الألمانيّة وتأثّر بها أهمّ الأدباء الألمان أمثال يوهان فولفجانغ فون غوته وهاينريش هاينه. وتعتبر تجربة غوته جديرة بالوقوف عندها، إذ إنّها لم تقتصر على قراءته لترجمة وليم جونز لها من الإنكليزيّة إلى الألمانيّة كرائد أسبق في إطلاع الغرب على المعلّقات عام ١٧٧٤ بل تعمّقت دراسة وتمحيصاً إلى حدّ تعلّم غوته اللّغة العربيّة في العقد السّادس من عمره فضلاً عن ترجمته لجزء من معلّقة امرئ القيس وأجزاء أخرى من المعلّقات لا يمكن تحديدها على وجه الدّقّة. ولعلّ القارئ لشعره يدهشه

وصف الفيافي والوقوف على الأطلال وبكاء الحبيبة والدّور المهجورة، ثيمات تشي بالتّأثّر الكبير بالمعلّقات التي ملكت عقله وقلبه. فنجد في كتابه الشّعريّ النّادر الديوان الشّرقي للمؤلّف الغربيّ شطحات من هذا الخيّال المجنّح بالنّقاء والعذوبة لكأنّه فيما يكتبه بدويّ جبلت أحاسيسه حياة البساطة، واغترف من معين مفردات البادية الكثير. فنجده يحاكي مطلع قصيدة امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

حيث يدهش قارئه وهو يخاطب أصدقاءه أن اتركوني لأبكي من هيّجت عبراتي وأثارت مكامن الدّمع في مقلتيّ - حبيبته وملهمته مريانة فيلمر التي فارقته عام ١٨١٥ بلغة يكاد قارئها يجزم أن شاعرها ولد ونشأ في الفيافي الواسعة:

دعوني أبكي محاطاً باللّيل

في الفلوات الشّاسعة بغير حدود

الجمال راقدة والحداة كذلك راقدون

وأنا بجوارهم أحسب الأميال

التي تفصلني عن زليخة

وأستعيد صورة المنعرجات البغيضة

التي تطيل الطّريق

دعوني أبكي فليس في هذا عار

فالرّجال الذين يبكون أخيار

ألم يبكِ أخيل على حبيبته بريسايس

وإكسركسيس بكى على النّاجين من جيشه

وعلى رفيق عمره الذي قتله بيده

دعوني أبكي، فإنّ الدّموع تحيي التّراب

وها هو ذا يخضرّ

ويذكر أحمد مزيد أبو ردن أنّ هذه القصيدة كتبها غوته في مرحلة تأليف ديوانه الشرقيّ بعد افتراقه عن مريانة التي «خلّد ذكرها في قصائد كثيرة ضمّنها (كتاب زليخة) في الدّيوان حيث استعار لمريانة اسم زليخة زوجة عزيز مصر التي هامت حبّاً بسيدنا يوسف عليه السّلام».

لا يخلو شعر غوته من مقاربة لشخصيّة شهرزاد التي تطلّ عبر أشعاره وتشي بتماهيه مع هذه الثّقافة. فها هو يخاطب حبيبته مريانة في قصيدة ترجمها الدّكتور عدنان عبّاس علي:

«أيّ حظّ هذا الذي قادك إلى هنا؟

مباشرة من ألف ليلة وليلة

لو استطعت أن تتشبّهي بشهرزاد

في حفظ عطاياها

لوعدتك صادقاً بأجمل الهدايا

وفي موضع آخر يبرز الحضور القويّ لزهير بن أبي سلمى في شعره حين يترجم البيت الشعريّ الذّائع الصّيت لأبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

لتكون ترجمته على النّحو التّالي:

«يحبّ أبناؤك أن يسألوك

نودّ لو طال بنا العمر

بأيّ درس تراك تنصحنا

فالفنّ في الصّبر والخلود

إن كنتَ مثلي قد خبرتَ الحياة

حاول إذن مثلي أن تحبّها»

هذا غيض من فيض ما جادت به قريحة غوته ممّا يثبت بما لا يرقى للشّكّ أن تلاقح الحضارات والثّقافة يعلن ولادة جديدة للّغة في كلّ لحظة.

إن الحديث عن الشّعر يقودنا إلى المثاقفة نفسها التي برعت الأديبة والمترجمة السّوريّة سلمى الحفّار الكزبري في تجسيدها من خلال عام حافل قضته في الأندلس (١٩٦٢-١٩٦٣م) برفقة زوجها الذي كان سفيراً آنذاك. فمقارنتها بين ابن زيدون ولامارتين رغم ٨٠٠ عام تفصل بينهما تشكّل أسمى حالات التّلاقح الثّقافي. يقول الدّكتور إسماعيل مروة والأستاذ نزيه خوري في هذا السّياق: «إنّ ما تقوم به الكزبري ليس مقاربة أدبيّة جماليّة، بقدر ما هي تأكيد حضور الثّقافة العربيّة عالميّاً، وقدرتها على المنافسة والحضور الإنسانيّ. (١٥) حيث تصف الكزبري نونيّة ابن زيدون:

أضحى التّنائي بديلاً من تدانينا ونـاب عن طيب لقيانا تجافينا

كإحدى (آيات الشّعر العربيّ، حتّى الشّعر العالميّ) (١٤) التي ترجمها المستعرب الإسبانيّ (إيميليو غارثي غوميث، وفق الاقتباس الذي أورده الباحثان في كتابهما عن الأديبة على النّحو الآتي:

حالت لفقدكم أيّامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً لياليا

أليس من دواعي فخرنا وفخر أديبة ومترجمة عربيّة أن تساهم محاضرة ألقتها في مدريد عام ١٩٦٧م بعنوان: «عاشقا قرطبة ولّادة وابن زيدون» في تخليد هذا الحبّ العذريّ عبر نقش بيتين لكلّ من ابن زيدون وولّادة بنت المستكفي «على اللّوحة الرّخاميّة لنصب تذكاريّ في الحديقة العامّة المواجهة للمسجد الكبير، الذي كان

جزءاً من حديقة القصر الأمويّ المجاورة له»؟ (١٧)

ولعلّ خير ما نختم به هذ المحور استعراض الأبيات الشّعرية الخالدة التي تركت بصماتها على جدار الزّمن لكلّ الأجيال والثّقافات باللّغتين العربيّة والإسبانيّة:

يـا من غـدوتُ به في النّاس مشـتهراً قلبـي عليـك يقاسـي الهـمّ والفِكَرا
إن غبـتِ لم ألـقَ إنسـاناً يؤنّسـني وإن حضـرتِ فكلُّ النّاس قد حضـرا

ابن زيدون

أغـار عـليـك مـن عـينـي ومـنّـي ومـنـك ومـن زمـانـك والمـكـانِ
ولـو أني خـبـأتُـكَ فـي عـيـوني إلى يـوم الـقـيـامـة مـا كـفـاني

ولّادة

السّقوط للأعلى: الأندلس وتجربة التّرجمة مثالاً

ربّما كان وجود الفاتحين العرب في الأندلس سبيلاً لتجذّر لغتهم العربيّة فيها وجعلها منارة إشعاع فكريّ استمدّت منها أوروبّا علومها ونهضتها حيث كانت محجّة لجميع طالبي العلم الأوروبيين. والخوض في غمار هذا المسرد يقتضي أبحاثاً طويلة لكنّني سأكتفي بالإشارة إلى ما يورده الباحث الدّكتور حكيم أحمد مام بكر من أنّ طيلطلة- شريان الأندلس النابض جغرافيّاً- كانت تملك أرضيّة ثقافيّة خصبة في عهد أسرة بني ذي النّون، فكانت ولّادةً لعلماء وفلكيّين شكّل نتاجهم الثّرّ رافداً لحركة التّرجمة، وسقوط هذه المدينة على يد ملك قشتالة ألفونسو السّادس، كان بداية الصّعود الذي بلغ ذروته في مرحلة لاحقة على يد ألفونسو العاشر الذ ي لقّب بألفونسو الحكيم والذي كانت التّرجمة دأبه وجعل من طليطلة منارة ارتقى بها عبر اتّساع حالة المثاقفة لتمتدّ إلى أوروبا فانتقلت إليها أمّهات الكتب المرجعيّة التي استندت إليها في الرّياضيّات والطبّ والعلوم الفلكيّة وسائر الميادين المعرفيّة وأذكر ممّا يشير إليه الباحث من كتب نفيسة تعتمدها الجامعات الأوروبية الغربية في تدريسها لهذه العلوم على وجه الخصوص كتاب الحاوي لفخر الدين الرّازي حيث يُعتبَر «أحجّ الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في باريس سنة

١٣٩٥ م. وحين أراد الملك الفرنسي لويس الحادي عشر استنساخ الكتاب اضطر الى دفع مبلغ كبير من الذهب والفضة ليستطيع استعارته وقد تم طبع الكتاب بترجمته اللاتينية عدة مرّات في أوروبا.»

ويؤكّد الباحثون أنّ شبه الجزيرة الإيبيريّة المسمّاة بشبه جزيرة الأندلس والمؤلّفة من إسبانيا والبرتغال، وأندروا ومنطقة جبل طارق انتشرت فيها اللغة العربيّة على مدى ٧٨١ عاماً ممّا نجم عنه وجود ١٠٠٠ كلمة عربية في اللغة البرتغاليّة، و٤٠٠٠ كلمة في اللّغة الإسبانيّة منها أسماء الآلات الموسيقية ذات الأصل العربيّ مثل العود والقيثارة والربابة والنقارة والتعابير والمُصطلحات الخاصة بأسماء الزهر والمحاصيل وأصحاب الحرف والأماكن والمباني. كما تجدر الإشارة إلى أن الإسبانيّة هي اللغة اللاتينية الوحيدة التي تحتوي على حرف الثاء كما في اللّغة العربيّة. ال التّعريف المستخدمة في العربيّة ترافق الكلمات الإسبانيّة كما تتّفق مع العربيّة في وجود ياء النّسبة في آخر الكلمات الخاصّة بالجنسيّات، كما في كلمتي مغربيّ وباكستانيّ pakistaní, Marroquí إضافة إلى التوافق في الجنس بين الأسماء والصفات والأفعال وعدد من المزايا المشتركة التي يشكّل التّوافق في اللفظ والمعنى أبرزها. وفيما يأتي قائمة ببعضّ الكلمات التي تتشابه لفظاً ومعنىً في اللّغتين ممّا تفضّل أكثر من باحث بنشرها توخّياً للفائدة.

Mazmorra مطمورة: السِّجن، والجمع مَطَامِيرُ	Adunia: «الدنيا» أي العالم أجمع
Albahaca الحبق، نبات عشبي عطر ينمو على ضفاف الأنهار	Camisa: القميص
Camisa قميص	Abenuz: أبنوس؛ نوع من الخشب الأسود الصلب
Pantalones بنطلون	Aceite: الزيت
Algodón قطن	Aceituna: الزيتون
Alcalá القلعة	Acebibe: الزبيب
Mohíno مهين	Acemite: السميد
Sorbete شربات	Acequia: الساقية
Tamarindo تمر هندي	Acíbar: الصبار
Jarabe شراب	Alatar: العطار
Jarra جرة، وعاء	Alcaduz: القادوس أو مجاري المياه
Tabaco تبغ	Alcázar: القصر
Azafrán زعفران	Almazara: المعصرة
Albaquía: البقية	Altramuz: الترمس
Rehén: رهين	Alubia: اللوبية
Taza: طاسة (تلفظ بالطريقة نفسها باللغتين)	Arroz: أرز
Almohada: المخدّة (الوسادة)	Azafrán: الزعفران
Azúcar: السكر	Cabila: قبيلة
Guitarra: قيثارة	Fulano: فلان
Jarra: جرّة (إبريق أو وعاء أو كوب مصنوع من الزجاج أو الفخار)	Hachís: حشيش
Jarabe: شراب (شراب مركّز)	Hasta: حتّى
Aldea: الضيعة	Jerife: شريف أي محترم
Momia: مومياء	Jirafa: زرافة
Adobe: الطوب	Laúd: (تلفظ لايود) العود
	Ojalá: لو شاء الله، إن شاء الله

ختاماً.. لكلّ ما أسلفت وانطلاقاً من موضوع ورقتي البحثيّة أتمنّى على السّادة المعنيّين بشؤون التّرجمة أن يولوا اهتماماً كبيراً بتصدير ثقافتنا إلى الغرب عبر ما يستجدّ من اتّفاقيّات ثقافيّة مشتركة. فحبّذا لو نضع نصب أعيننا أهمّيّة فتح قنوات ثقافيّة دائمة تكون فيها أولويّة لترجمة أعمالنا الإبداعية إلى اللّغات الأخرى لنستمرّ في ترك بصمتنا عبر تجديد متواصل للحالة الفكريّة التي حفّزتها المعلّقات وكتاب ألف ليلة وليلة وسواها في أصقاع الأرض. كما أوجّه عبر هذا المنبر تحيّة تقدير لهيئة الكتاب السّوريّة ومديريّة التّرجمة لكلّ ما يبذلونه من جهود لتكون الحالة البحثيّة حالة ارتقاء وعطاء دائم.

المصادر العربية

- الرشيد، د. عدنان- تأثير (ألف ليلة وليلة والمعلقات) على أدب شاعر ألمانيا (جوته) - سلسلة كتاب الرياض العدد «١٩» https://www.alyaum.com

- طيارة، بسام - تأثير «الليالي» على الأدب الياباني. مجلة نزوى - مسقط، ٢٠١٥.

-علي، سالي- وليم شكسبير... هل سرق أدبه من العرب؟ تلفزيون سورية ٢٠٢٢.

كريستينامور، ميلاني (ترجمة سليمان توفيق) أمير الشعراء الألمان... تلهف وولع وانبهار بسحر الحكايات الشرقية- مور – موقع القنطرة.

https://qantara.de/ar/article

- ماركيز، غابرييل غارسيا (ترجمة صالح علماني) - عشت لأروي- ٢٠٠٢.

- مؤنس، مفتاح- الترجمة عند العرب: من عهد الخليفة المأمون إلى مدرسة طليطلة. القدس العربي، ٢٠١٣.

- مروة، إسماعيل والخوري، نزيه (إعداد وتوثيق)- وقائع الندوة الثقافية: سلمى الحفار الكزبري والهوية الثقافية السورية- الهيئة العامّة السورية للكتاب- دمشق، ٢٠١٩.

- الموسوي، د. محسن جاسم- ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي: الوقوع في دائرة السحر- مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦.
- هايدياكي، سوغيتا- تأثير اللّيالي العربية في الثقافة اليابانيّة.
- هل تعلم أنك حين تتكلّم العربية، تتكلّم الإسبانية أيضاً؟- رصيف ٢٢، ٢٠١٧.
أعوام قضاها المسلمون في الأندلس.. فكيف تأثرت اللغتان الإسبانية والبرتغالية باللغة العربية؟ - بوست عربي، ٢٠١٩.

المصادر الأجنبية

Warner, Marina- Stranger Magic: Charmed States and the Arabian Nights. Harvard University Press, 2013.

❖ ❖ ❖

الترجمة بين تاريخ الأديان والمثاقفة الأندلسية

شادي سميع حمّود

مقدمة:

الترجمة والدين توءمان لا ينفصلان، خطان متوازيان نحو تطور حركة الحضارة الإنسانية لمواكبة التطور الاجتماعي البشري، فهي لا تزال أداة التواصل بين الأمم والشعوب التي تختلف لغاتها، وبزغت كنتيجة للأنشطة الإنسانية، وما تضمنه من نشاطات دينية واقتصادية وعسكرية. استطاعت الترجمة الخروج بالشعوب من حدودها الجغرافية لتتفاعل مع جيرانها، وكان أول صور الترجمة هي الترجمة الشفوية نظراً لبساطة النظم اللغوية وعدم اختراع الكتابة. فما هي الترجمة وعلاقتها بالمثاقفة، وكيف أسهمت في تطور تاريخ الأديان؟ هذه الأسئلة وغيرها ستكون محور حديثنا في ورقتنا البحثية بمناسبة الندوة الوطنية للترجمة لهذا العام.

أولاً- الترجمة والمثاقفة والعلاقة بينهما:

الترجمة عملية تحويل نص أصلي مكتوب من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف بقصد نشر الحضارة والمعرفة. المثاقفة مُصطلح يرتبط بالثقافة، ويعني انتقال أعضاء الجماعة من جماعتهم للعيش في جماعة أو مجتمع آخر، فإنهم يواجهون عملية تغير ثقافي، لأنهم يواجهون ثقافة تختلف عن ثقافتهم. الترجمة هي إحدى أهمّ وسائل المثاقفة لأنّها لا تقتصر على مواكبة عمليّة تُقرّب اللّغات فحسب، بل هي كذلك فعل ثقافيّ متطوّر ينتج عنه فعل مثاقفة طويلة الأمد على صعيد الأفراد والجماعات، كونه يوسّع دائرة المثاقفة في بيئته، إذ إنّ غايته من وراء ذلك استيعاب أكبر قدر ممكن من المعارف الإنسانيّة، واكتساب خبرات الآخرين وجعلها سلاحا له في التطوّر والارتقاء والمنافسة ثمّ العطاء الحضاريّ الثريّ. فالترّجمة هي المفتاح

الّذي تتفادى به الأمم الإنغلاق الفكريّ من جهة، وتتخلّص من خلاله من التبعيّة المطلقة المُفضية إلى الذّوبان في الآخر من جهة أخرى.

ثانياً- الترجمة في العصور القديمة:

لعلّ التاريخ البشري لم يشهد حركة فتوحات كتلك التي شهدها خلال عصر الإسكندر الأكبر، وأهم ما اتسمت به حركة الفتوحات هذه أنها نقلت حضارة اليونان وخرجت بها إلى خارج حدوده. امتدت الفتوحات لتغطي مساحات شاسعة من الأراضي التي بدأ سكانها في التعرف إلى ثقافات وعلوم بعضهم البعض، ومخالطة الأمم التي لم يكن يربط بينها أي علاقة إلا بعض الصلات التجارية القليلة، لكن خضوع تلك الأمم لسيطرة الإسكندر الأكبر أوجد رابطاً مزج بين هذه الثقافات، وأوجد في هذه المناطق التي فتحها حضارة تأثرت بالحضارة اليونانية.

تؤكّد الشكوك أن الترجمة كانت موجودة خلال هذه الفترة كضرورة تواصلية ومعرفية، لتظهر على يديها الحضارة الهلنستية بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م، وامتدت حتى القرن السابع الميلادي، وقد شهدت هذه الفترة التي تصل إلى نحو ألف عام تفاعلاً حضارياً بين المراكز الحضارية التي انتشرت في فتوحات الإسكندر الأكبر في الإسكندرية، وأنطاكيا، ونصيبين، وجند نيسابور.

سعى السريان إلى نقل معارف اليونان وعلومهم إلى اللغة السريانية، خاصة بعد غلق مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م ورحيل علماؤها إلى نصيبين، ونقلوا معهم علوم الفلسفة اليونانية والطب اليوناني، إضافة إلى أن كثير من علماء اليونان تركوا بلادهم خشية الاضطهاد الديني، وحين أغلقت مدرسة أثينا سنة ٥٢٨ م اتجه علماؤها شرقا إلى دولة الفرس، ليستقر السريان في جند نيسابور لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل ترجمة المعرفة الإنسانية.

برز الكثير من المترجمين الغربيين في العصور القديمة والحديثة، ولعل أبرزهم هو الخطيب الروماني شيشرون (١٠٦-٤٣ ق.م)، والذي تنسب إليه أقدم مدرسة من مدارس الترجمة، تقوم على حرية النقل مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير.

ثالثاً- الترجمة في العصور الوسطى:

في القرن الخامس وما بعده، توفرت ترجمات قليلة جداً لعدد من الأعمال باللغة اللاتينية لأنها شعبية الانتشار خلال العصور الوسطى، ووقتها كان ملك إنكلترا، ألفريد العظيم، يدعو الأشخاص لترجمة بعض الكتب ومكافئتهم مقابل ذلك، لذا أسهمت الترجمات في تطوير النثر الإنكليزي في عهد الملك ألفريد الكبير. كما أنه يُنسب في تاريخ الترجمة بالعصور الوسطي وضع أسس اللغة الإسبانية الحديثة بمساعدة مجموعة من المترجمين، وذلك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وفي تلك الفترة تم ترجمة العديد من الأعمال الطبية والعلمية والدينية وكذلك الفلسفية من اللغات العبرية واليونانية والعربية إلى اللغات القشتالية واللاتينية. يشهد تاريخ الترجمة في أواخر العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة الكثير من التطور والإسهامات المميزة التي تم من خلالها ترجمة الكثير من الأعمال. ففي تلك الفترة تم تأسيس الأكاديمية الأفلاطونية برئاسة مارسيليو فيسينو أحد المترجمين والباحثين الإيطاليين المشهورين خلال تلك الفترة. وقد عملت تلك الأكاديمية على ترجمة العديد من الأعمال لأفلاطون وبلوتينوس والعديد من الأعمال الأخرى إلى اللغة اللاتينية. كما تطورت أعمال الترجمة على نحو أكبر وهذا بسبب رغبة القراء ومطالبتهم بالمزيد من الدقة في تقديم الأديان والأعمال الفلسفية. أسهم العديد من المترجمين في تاريخ الترجمة في العصر الحديث المبكر، ففي تلك الفترة تم مقارنة الترجمات خلال هذا العصر بأساليب الترجمة القديمة والإضافة عليها. وتُرجم المزيد من الأعمال الأدبية والدينية على نحو أقرب للدقة، كما بدأ المترجمون في تلك الفترة الإضافة إلى الترجمات نتيجة للتعمق فيها على نحو أكبر.

رابعاً- تاريخ دراسة الأديان:

يشير تاريخ الأديان إلى سجل من الأفكار والتجارب العقدية التي اعتقدها الإنسان من سالف الأزمان. ويبدأ هذا السجل من تاريخ الأديان مع اختراع الكتابة تقريباً قبل خمسة آلاف عام أي ما يوافق عام ٣٠٠٠ ق.م في الشرق الأدنى.

أما فترة ما قبل تأريخ الديانات فهي تتعلق بدراسة العقائد الدينية التي وُجِدَت قبل ظهور سجلات مكتوبة. أما الجدول الزمني للديانة فهو تاريخ متسلسل مقارن للديانة.

أما كلمة «الديانة» فلم يكن لها ترجمة واضحة في اللغات غير الأوروبية إلا بعد الاستعمار. ولقد كتب دانيال دابيسون يقول: «ما الذي جسم الديانة الغربية في صحوتها وتاريخها تحت اسم» ديانة «... إنه شيء فريد جداً والذي يمكن أن يكون مناسباً لها ولتاريخها فقط». إن تفاعل الثقافات الأخرى مع فئة دينية هو نفسه تفاعلهم مع فكرة طُوّرت لأول مرة في أوروبا تحت تأثير المسيحية. شهد القرن التاسع عشر تزايداً كبيراً في المعرفة بالثقافات والديانات الأخرى، كما شهد أيضاً تأسيس الحركات الاقتصادية وتقدم التواريخ الاجتماعية. وقد سعت مدرسة «تاريخ الأديان» لمراعاة هذا التنوع الديني من خلال ربطه بالحالة الاجتماعية والاقتصادية لجماعة معينة.

خامساً- الترجمة في العصر النبوي:

هناك مؤشرات عديدة تشير إلى أن عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد شهد أنشطة للترجمة، لاسيما مع ما استلزمه نشر الدعوة من التواصل مع أمم غير العرب، ويروى أن سلمان الفارسي كان له السبق في ترجمة معاني فاتحة الكتاب إلى اللغة الفارسية على أيام النبي صلى الله عليه وسلم، واشتهر زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي بأنه أول مترجم في الإسلام، وورد في المصادر « أنه كان يكتب إلى الملوك، ويجيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يتقن اللغة السريانية والفارسية واليونانية»، كما أنّ هناك بردة عتيقة يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هجرية، وعليها نص باسم عمرو بن العاص وبه ثلاثة أسطر باليونانية ومن تحته الترجمة بالعربية.

سادساً- الترجمة في العصر الأموي:

رغم اهتمام الأمويين بالفتوحات وتوسيع أرجاء دولتهم، نجد اهتمامهم بالترجمة

والنقل لم يقل عن اهتمامهم بتوسيع هذه الدولة، وذلك بغرض تقوية هذه الدولة والانتقال بها نحو أطوار الحداثة، فترجموا ونقلوا إلى العربية أمهات كتب العلوم اللاتينية واليونانية وما نقل إلى السُّريانية في الطب والفلك والكيمياء والعمارة، إضافة إلى الكيمياء التي عُني بها خالد بن يزيد سعياً منه على تحويل المعادن إلى ذهب، وفي عهده تم ترجمة أول كتاب من اليونانية إلى العربية، وكان كتاب «أحكام النجوم» الذي ألّفه الحكيم «هرمس»، وترجم أول كتاب في الطب في عهد مروان بن الحكم ألّفه «أهرن بن أعين» الطبيب الذي عاصر هرقل، وعاش بالإسكندرية نحو عام ٦١٠م، وترجمه الطبيب البصري «ماسرجويه» من السريانية إلى العربية، وكان من أشهر المترجمين في العصر الأموي يعقوب الرهاوي الذي ترجم الكثير من الكتب من اليونانية إلى العربية.

أما كتب الدواوين في زمن الدولة الأموية فقد نقلت من اليونانية إلى العربية، أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، في سورية، ومن الفارسية إلى العربية في العراق على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، كذلك ففي مصر تُرجم كثير من الكتب القبطية إلى العربية في عهد عمر بن عبد العزيز، وهنا لا بُدَّ أن نتوقف أمام اثنين من خلفاء العصر الأموي وهم:

- خالد بن يزيد بن معاوية (٦٦٨-٧٠٤): أرسل إلى الإسكندرية في طلب بعض الكتب في الطب والكيمياء لتترجم إلى العربية، ويقول عنه النديم في كتاب «الفهرست»: إنّ خالداً كان يُسمّى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله محبة في العلوم، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان الذي نزلوا مصر، وتفقّهوا بالعربية، وكان هذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة. قال عنه الجاحظ إنه كان أول من أعطى الترجمة والفلاسفة وقرب أهل الحكمة ورؤساء كل صنعة.
- عمر بن عبد العزيز (٦٨١-٧٢٠): سار على درب خالد بن يزيد، واصطحب معه عند انتقاله إلى المدينة أحد علماء مدرسة الإسكندرية بعد أن أسلم على

يديه، ونقل علماء مدرسة الإسكندرية إلى مدرسة أنطاكيا سنة ١٠٠ هـ.

سابعاً- الترجمة في العصر العباسي:

نشطت حركة الترجمة في العصر العباسي بصورة كبيرة بعد أن استتب لهم الأمر، وثبتوا ركائز دولتهم، وبداية من خلافة أبي جعفر المنصور يمكن تقسيم تاريخ حركة الترجمة إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: تبدأ من قيام الدولة العباسية إلى قبل عهد المأمون (٧٥٠-٨١٥ م).
- المرحلة الثانية: تبدأ من عهد المأمون حتى وفاته (٨١٥- ٨٣٣م).

ساعد المأمون على تنشيط حركة الترجمة إلى العربية في العصر العباسي، وتشجيع الخلفاء العباسيين ورعايتهم للمترجمين بصورة جماعية، بينما كانت حركة الترجمة في العصر الأموي محاولات فردية ترتبط بنشاط خلفاء أفراد، لا نظام خلافة متعاقب حيث اعتبر العباسيون الترجمة ركيزة من ركائز دولتهم، ومن أشهر علامات هذه الحركة التي شهدها العصر العباسي ما يتمثل في عهود:

- ❖ أبو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨ هـ): اهتم بترجمة الكتب إلى العربية من اليونانية أو الفارسية، وفي عهده ترجمت بعض كتب أبقراط وجالينوس في الطب، وكتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع، كذلك ففي عهده أخذت حركة الترجمة مساراً مميزاً، فقد اهتموا بترجمة الكتب التي تناولت علوم الكلام، وفنون الجدال، وعلم المنطق اليوناني، وذلك حتى يمكنهم الاستفادة منها في الجدل الذي دار بينهم وبين الفرق الأخرى، مما استدعى ضرورة تعلمهم للجدال، وإيجاد الأدلة، وتفنيد الحجج.
- ❖ هارون الرشيد (١٧٠ -١٩٤ هـ): اهتم الرشيد بالترجمة، واستعان بمترجمين من لبنان ومصر وسورية، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين ممن كانوا يتقنون لغة أجنبية إلى جانب العربية، وأنشأ دار الحكمة في بغداد، وحرص على تزويدها بالكتب التي نقلت من آسيا الصغرى، والقسطنطينية.

❖ المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ): أجزل العطاء للمترجمين، وأرسل بعثات إلى القسطنطينية لجلب ما يمكن الحصول عليه من مؤلفات يونانية في شتى ألوان المعرفة، وكان ممن أرسلهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وقد ذكر النديم أنه كان بين المأمون وإمبراطور القسطنطينية مراسلات بهذا الشأن.

تُعدّ حركة النقل والترجمة التي حدثت إبان العصر العباسي أول حركة مكرسة ومنظمة في التاريخ، وذلك لتعدد مصادرها، فقد ترجم العرب عن اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية، كما تميزت بتنوعها، إذ راحت تغطى كل العلوم على اختلافها من الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات والكيمياء والطبيعيات والأدب.

يركّز معظم المنظرين للترجمة على النظريات الحديثة والغربية التي تناولت الترجمة من نواح مختلفة، ويأكلون الجاحظ حقه في أنه أول من نظر للترجمة، وتحدث عنها كعلم، ووضع شروطاً للترجمة، وممارستها ومن يمارسها، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري، وقد ولد في البصرة سنة ١٥٩ هـ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، وتُوُفّيَ بها سنة ٢٥٥ هـ في خلافة المهتدي بالله، فعاصر خلفاء بني العباس حين كانت الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في أوجها، وقد أورد في كتابه (الحيوان) ما يمثل أقدم نظرية في الترجمة، وهو بذلك قد سبق من نعرفهم من أصحاب نظريات الترجمة بنحو ألف عام.

ثامناً- الترجمة في الأندلس:

كانت الأندلس نقطة انطلاق جديدة للترجمة عن العربية، فظهرت المحاولات الأولى لترجمة القرآن الكريم بوصفه الكتاب المقدس والناموس الأعظم عند المسلمين، وقد ظهرت الترجمة الأولى سنة ١١٣٠م بأمر وتوجيه من رئيس رهبان دير (كلوني) بطرس الموقر، ولقد تولى مهمة الترجمة (روبرت القطوني)، ثم تلتها ترجمة جماعة دير (كلوني) سنة ١١٤٣م، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين كثرت ترجمات القرآن إلى اللغة القشتالية بدلاً من اللاتينية بأمر

من الملك ألفونسو العاشر، وهناك ترجمة مطران كنيسة سقوفيا (جون السقوفي) للقرآن إلى الإسبانية ثم إلى اللاتينية، وأشرك معه في هذه المهمة فقيهاً حاذقاً اسمه عيسى ابن جابر السقوفي.

تاسعاً- الترجمة في العصر الحديث:

إن غالبية ما ترجم إلى العربية بعد القرن السادس الميلادي تركز في كتب ومؤلفات دينية، وكانت تترجم عن اللاتينية واليونانية والإيطالية ومن هذه الترجمات:

- كتاب سفر المزامير ترجم إلى العربية سنة ١٦١٠م.
- التعليم المسيحي للكاردينال بلارمين ترجمة يوحنا الحصروني، روما- ١٦١٣م.
- تاريخ المسيح، ترجمة بطرس مخلوف طبع في روما عام ١٦٧٤م.
- جدلية السيف القاطع ترجمة خريستو دولس- أسقف غزة، والمطران يواصاف بن سويدان العمراني طبع سنة ١٦٩٦م.
- العشاء الرباني لافسترانيوس ارجنتس ترجمة مسعد نسو، بوخارست عام ١٧٤٧م.
- مرشد الكاهن، تأليف الأب سنيري وترجمة بطرس فروماج، طبع عام ١٧٦٠م.

عاشراً - الترجمة في عصر محمد علي:

شهدت هذه المرحلة الاتجاه إلى ترجمة معارف في مجالات أخرى غير الدين، وأمر بإنشاء مدرسة الألسن في مصر ووضع على رأسها الشيخ رفاعة الطهطاوي، وترجم في هذه الفترة العديد من الكتب الأجنبية، ولا سيّما الفرنسية وشملت موضوعاتها العديد من المجالات..

رغبة من محمد على في ترسيخ دعائم ملكه في مصر، وسعيا منه لمسايرة التطور الذي كانت تعيشه أوربا في ذلك الوقت، فقد طلب من أعضاء البعثات التي أرسلها إلى أوربا أن ينقلوا العلوم والآداب التي اطلعوا عليها ويترجموها، لكن ظهر أن بعضاً

من أولئك المبتعثين لا يجيدون الترجمة وفنها، فاقترح عليه رفاعة الطهطاوي إنشاء مدرسة الألسن لتكون مختصة بتعليم الترجمة وإعداد المترجمين، فأنشئت المدرسة في عام ١٨٣٥ م، وكانت تسمى مدرسة الترجمة، ثم عرفت لاحقاً بمدرسة الألسن، وكان الطالب يدرس اللغات العربية والتركية والإنكليزية والفرنسية بالإضافة إلى والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والرياضة، وكانت مدة الدراسة خمس سنوات، ومن الكتب التي ترجمت في هذه الفترة: تاريخ الفلاسفة اليونانيين.

حادي عشر- ترجمة الكتب المقدسة:

الكتب المقدسة عند أصحاب الأديان الإبراهيمية، هي الكتب الأكثر قداسة، ويعتقد المؤمنون أنها كلام الله المرسل مثلما القرآن الذي أوحى به الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد حظيت هذه الكتب منذ نشأتها بأكبر عدد من الترجمات فى العالم، فقد تُرجمت بأكملها إلى مئات اللغات، المنتشرة حول العالم قديماً وحديثاً.

وبعيداً عن الخلافات التى أظهرتها بعض الترجمات، متى ظهرت أولى الترجمات للكتب السماوية الثلاث، وبأي اللغات المترجمة ظهرت أولاً:

التوراة:

بحسب إحدى المصادر العبرية، كانت أول ترجمة للكتاب المقدس «الترجمة السبعينية» في بداية القرن الثالث ق.م. وهي ترجمة إلى اليونانية قام بها ٧٢ عالماً يهودياً في ٧٢ يوماً، والتي أنجزها لاهوتيون يهود في الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد باللغة اليونانية النسخة الأكثر انتشاراً منه.

الإنجيل:

بحسب موقع « الأنبا تكلا هيمانوت» أحد أشهر المراجع الدينية المسيحية على الشابكة، فإن العهد القديم كُتِب أجزاء قليلة باللغة الآرامية، كما وُجدت بعض المفردات الآرامية في أسفار أستير، ونشيد الأنشاد، وحزقيال، ويونان. أما أقدم ترجمة عربية للإنجيل يعرفها التاريخ هي التى وضعها أسقف إشبيلية في إسبانيا في ٢٤ م.

القرآن الكريم:

كانت أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنكليزية هي التي قام بها ألكسندر روس (Alexander Ross) التي نقلها راير إلى الفرنسية، ثم ترجمه الدكتور سيل(Sale) عن العربية مباشرةً سنة ١٧٣٤ م، وقد طبعت هذه الترجمة عدة مرات مع مقدمة مسهبة تحت عنوان «مقالة فى الإسلام»، ووضع المترجم على هامش ترجمته بعض التفاسير عن البيضاوى وكذلك ترجم معانى القرآن الكريم إلى الإنكليزية القسيس رودويل (Rodwell) وهو إنكليزي، وجعل ترجمته وفقاً لترتيب نزول الآيات تاريخياً، وقد طبعت هذه الترجمة على الحجر على هامش القرآن الكريم سنة ١٨٣٣م.

خاتمة:

في نهاية المطاف، سلّطنا الضوء على الترجمة وتاريخ الأديان وعلاقتها بالمثاقفة لمواكبة تطور المجتمعات المعاصرة والحضارات الراهنة وصولاً إلى ثقافة عصرية تواكب تقنيات النانو والذكاء الاصطناعي. فالترجمة الدينية تعاقبت بدءاً بالعصر القديم والعصر الوسيط؛ ومروراً بتطور مسار الترجمة نحو الأمام في عصر النبوة والأموي والعباسي، وانتهاءً بالحكم الإسلامي في الأندلس والحقبة الحديثة وعهد محمد علي في مصر ليسدل الستار في هذه الورقة على ترجمة الكتب السماوية.

مصادر الورقة البحثية وروابطها الإلكترونية:

- صحيفة اليوم السابع، ١٣ تموز ٢٠٢٠: https://www.youm7.com
- موقع مترجمون: https://motarjimun.com
- ويكبيديا: https://ar.wikipedia.org
- موقع فاست ترانس: https://fast4trans.com
- موقع لينكد اين: https://www.linkedin.com/login/ar

تحت عنوان «الترجمة والمثاقفة»
انطلاق أعمال الندوة الوطنية للترجمة بالمكتبة الوطنية

دمشق - سانا

٢٠٢٤/١٠/١٦

انطلقت في المكتبة الوطنية بدمشق اليوم أعمال الندوة الوطنية للترجمة بعنوان «الترجمة والمثاقفة»، التي تقيمها الهيئة العامة السورية للكتاب بوزارة الثقافة بالتعاون مع المعهد العالي للترجمة بجامعة دمشق، ومجمع اللغة العربية، واتحاد الكتّاب العرب، واتحاد الناشرين السوريين.

ويشارك في الندوة نخبة من المترجمين السوريين ذوي الخبرة بنقل المعارف والعلوم، والإنتاجات الأدبية من وإلى اللغة العربية ويقدمون على مدى يومين ١٥ بحثاً علمياً، وتأتي الندوة بالتزامن مع الاحتفاء باليوم العالمي للترجمة.

وبيّنت وزيرة الثقافة الدكتورة ديالا بركات في تصريح للصحفيين أنّ وزارة الثقافة تحتفل كل عام بالندوة الوطنية للترجمة مع مجموعة من الشركاء لأهميتها الكبرى في نقل المعلومات بين الحضارات ومن لغة إلى أخرى بطريقة سلسة لتصل إلى عقل القارئ بكل بساطة باعتبارها إحدى أدوات التواصل بين الشعوب، مثمنة جهود المترجمين السوريين لما يقومون به من عمل وجهد فكري نوعي بهدف إطلاع الجمهور السوري على المعارف والعلوم بمختلف صنوفها.

وقرأت في مستهل الندوة المترجمة آلاء أبو زرار رسالة المترجمين السوريين للمشاركين في الندوة قالت فيها: عملت الهيئة العامة السورية للكتاب منذ سنوات عدّة على دفع عجلة الترجمة وعلى تشجيع المترجمين لتقديم أعمالهم بأبهى حلّة من خلال المشروع الوطني للترجمة الذي يقدّم سنوياً عناوين رائدة ومتنوعة ومن لغات مختلفة.

وبيّنت أبو زرار أن المترجم السوري قادر على ترك بصمته أينما حل والمكتبات العالمية والعربية تشهد على نصوص ترجمت بكل براعة بأيد سورية خالصة ومخلصة لرسالة الترجمة السامية ولم يتوقف عطاء المترجم السوري على الرغم من كل الصعوبات التي طالت مسيرته في سنوات الحرب، فظل سباقاً في جميع أفرع الترجمة التحريرية منها والسمعية والبصرية وصولاً للترجمة الفورية.

وأشار المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب الدكتور نايف الياسين في كلمته إلى أنّ هذه الندوة أصبحت تقليداً سنوياً تتناول كل عام موضوعاً يخص الترجمة يكتب فيه المختصون ويتداول فيه المترجمون والمهتمون على أمل الاستمرار في تسليط الضوء على هذا النشاط الفكري والحضاري المتميز.

ولفت الياسين إلى أن هناك اليوم أكثر من مئة نظرية في المثاقفة في مجالات عدة كعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها إلا أن ما يعنينا هنا هو فعل المثاقفة الذي يحدث بفضل الترجمة بمعنى التبادل بين ثقافات ولغات مختلفة، مؤكداً حرص الهيئة دوماً على اختيار الكتب المتميزة التي تتناول أحدث الاتجاهات الفكرية والأدبية المعاصرة لتنقلها إلى القارئ العربي.

وفي الجلسة الأولى التي أدارها الدكتور فؤاد الخوري نُوقش كثير من القضايا والمواضيع التي تتعلق بأهمية الترجمة، إذ استعرض الدكتور غسان السيد في محوره الترجمة وتاريخ الأديان كما تحدث الباحث محمد نجدة شهيد عن هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة.

الترجمة الأدبية رسول الثقافة والوجدان محور ما قدمه الباحث مهند محاسنة كما تطرق المترجم حسام الدين خضور في محوره إلى تأثير الترجمة في المثاقفة- الأندلس مثالاً، أما المترجمة عبير حمود فأشارت في محورها إلى الترجمة وتأثيرها في الرأي العام.

وتناقش الندوة يوم غد عدداً من المواضيع منها دور الترجمة والمثاقفة في تطور المسرح العربي ودرر شرقية على ألسنة غربية وأثر الترجمة في صناعة الرأي العام

واللغة الإنكليزية بوصفها لغة عالمية وأثرها في الثقافة.

يشار إلى أنّ اليوم العالمي للترجمة مناسبة يحتفل بها في الثلاثين من أيلول من كل عام في عيد القديس جيروم مترجم الكتاب المقدّس، أطلقها أول مرة الاتحاد الدولي للمترجمين عام ١٩٩١ لإظهار تعاضد المترجمين في جميع أنحاء العالم، ولتعزيز مهنة الترجمة دولياً، وعرض مزاياها التي تزداد أهميتها مع تذكير القراء بالأعمال المهمة التي يقوم بها المترجمون.

شذا حمود

❖ ❖ ❖

الندوة الوطنية للترجمة والمثاقفة في المكتبة الوطنية

صحيفة الثورة

٢٠٢٤/١٠/١٦

انطلقت اليوم في المكتبة الوطنية بدمشق أعمال الندوة الوطنية للترجمة بعنوان «الترجمة والمثاقفة»، نظمتها الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة بالتعاون مع المعهد العالي للترجمة في جامعة دمشق ومجمع اللغة العربية واتحاد الكتّاب العرب، واتحاد الناشرين السوريين. ويشارك في الندوة نخبة من المترجمين السوريين ذوي خبرة بنقل المعارف والعلوم، والإنتاجات الأدبية، من وإلى اللغة العربية، إذ يقدَّمون على مدى يومين ١٥ بحثاً علمياً، وتتزامن الندوة مع الاحتفاء باليوم العالمي للترجمة.

تقريب الحضارات.. وزيرة الثقافة الدكتورة ديالا بركات بيّنت في تصريح للإعلاميين أنَّ وزارة الثقافة تحتفل في كلِّ عام بالندوة الوطنية للترجمة، وتنظمها الهيئة العامة للكتاب، ومجموعة من الشركاء منها مجمع اللغة العربية والمعهد العالي للترجمة في جامعة دمشق واتحاد الكتاب العرب واتحاد الناشرين السوريين. وأشارت وزيرة الثقافة إلى أهميَّة الترجمة الكبرى في تقريب الحضارات، وتبادل ونقل الثقافات والأفكار بطريقة قريبة جداً من عقل القارئ والفرد السوري، ولا بدَّ من شكر جميع المترجمين، ولا سيّما السوريين لما يقومون به من عمل وجهد فكري نوعي، فالترجمة لا تعني الحرفية، ونقل الكلمات من لغة إلى أخرى، وإنَّما نقل فكر كامل، وثقافة شعب، وعلى رأسها نقل العلوم والآداب والشعر، كما أثنت على كلٍّ من أسهم في الترجمة والمثاقفة، نظراً لقدرتها على تقريب الثقافات رغم بعد البلدان في ظلِّ وجود ثقافات بارزة كانت حاضرة منذ زمن طويل، إضافة إلى الثقافات الحديثة. نشاط فكري وحضاري.

كما لفت مدير الهيئة العامة للكتاب الدكتور نايف الياسين إلى أنَّ الندوة أصبحت تقليداً سنوياً تتناول كلَّ عام موضوعاً يخصُّ الترجمة حيث يكتب المختصون فيه، ويتداول المترجمون والمهتمون على أمل الاستمرار في تسليط الضوء على نشاط فكري وحضاري متميز. وإن موضوع الندوة للعام الحالي لا يخلو من إشكالية مستمدة في جزء منها من الترجمة نفسها، فكلمة مثاقفة ليست قديمة في اللغة العربية، وإن فعل المثاقفة ما يحدث بفضل الترجمة، بمعنى التبادل بين ثقافات ولغات مختلفتين. وتنشأ من جديد قضية الثقافة واللغه المهيمنتين بالمقارنة مع اللغات والثقافات الأخرى. وإن إلقاء نظرة سريعة على تاريخ التفاعل الأدبي على سبيل المثال بين الثقافات المهيمنة والثقافات الأقل تأثيراً يظهر أنَّ الأخيرة تمكَّنت من إحداث آثار واسعة وعميقة في الثقافة المهيمنة وفي مراحل زمنية مختلفة.

كما أشار الدكتور النايف إلى أنَّ انتشار ثقافة الاستهلاك والتسطيح والتلوث الفكري من خلال وسائل التواصل الاجتماعي على نطاق غير مسبوق، وكان للثقافات المهيمنة أثر لا ينكر في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة، فجزء كبير من الإنتاج الثقافي العربي، وفي المجالات المختلفه كان بتأثير مباشر من الثقافة الغربية. وإذا كان بعض التأثير إيجابياً فبعضه الآخر ليس إيجابياً لأن جزءاً من دور المثاقفة يتمثل في اكتساب الخبرة في تمييز الغث من السمين، وأخذ ما ينفع وترك ما يضرّ.

رسالة المترجمين السوريين..

كما تلت رسالة المترجمين السوريين آلاء أبو زرار، وتتضمن أنَّ الترجمة هي صدى الكلمات يتردد في كل الأصقاع، فيمنحها جواز سفر أبدي كيلا تبقى حبيسة جدران لغتها الأصلية. أما عن تلك الكلمات فلم تحظَ يوماً بنصيبها من الترجمة، وسيخبو نورها لأنها فعل حضاري تمارسه الأمم منذ فجر التاريخ لتقريب البعيد ولفهم كل جديد ولفتح مدارك وآفاق أكثر اتساعاً في وعي الأمم. ومن المعروف أن حركة الترجمة تعتبر أحد معايير تطور الأمة ونهوضها فكرياً وإنسانياً.

كما لفتت إلى أن الأمم المتحدة أطلقت في العام الحالي شعاراً يقول: إن

«الترجمة فن متكامل علينا حمايته»، ولا بدَّ أن الرؤية العالمية للترجمة على أنها فن يتماشى تماماً مع مدارس الترجمة السورية، حيث يمتزج فيها العلم بالفن بتوليفة تصنع مترجماً يبتعد عن الحرفية، ويقدِّم أفضل ما لديه من أمانة ومهنية وأصالة، كذلك عملت الهيئة العامة السورية للكتاب منذ سنوات عديدة على دفع عجلة الترجمة، وتشجيع المترجمين لتقديم أعمالهم بأبهى حلَّة من خلال المشروع الوطني للترجمة كونه يُقدِّم سنوياً عناوين رائدة ومتنوعة ومن لغات مختلفة، فالمترجم السوري قادر على ترك بصمته أينما حلَّ، والمكتبات العربية والعالمية تشهد على نصوص ترجمت بكل براعة بأيادٍ سورية خالصة ومخلصة لرسالة الترجمة السامية، ولم يتوقَّف عطاء المترجم السوري على الرغم من كل الصعوبات.
ثم بدأت الندوة أعمالها بانعقاد جلسة ترأسها الدكتور فؤاد الخوري، وشارك فيها الدكاترة: محمد نجدة شهيد، محمد محاسنة، غسان السيد، حسام الدين خضور، عبير حمود، وتلتها جلسة مناقشة للأبحاث المقدَّمة.

عمار النعمة ورفاه الدروبي

❖ ❖ ❖

اختتام فعاليات الندوة الوطنية للترجمة في المكتبة الوطنية بدمشق

دمشق – سانا

٢٠٢٤/١٠/١٧

اختتمت الندوة الوطنية للترجمة التي أقامتها الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة، وحملت عنوان «الترجمة والمثاقفة» أعمالها اليوم بحضور حشد من المترجمين والمهتمين بالشأن الثقافي، وذلك في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

وتوزعت محاور اليوم الثاني للندوة على جلستين، أدار الأولى الدكتور باسل المسالمة، وقدم بحثاً بعنوان «الترجمة وأثرها في المثاقفة»، وبيّن من خلاله كيف ترتبط الترجمة بالمثاقفة ارتباطاً وثيقاً، وهذا الارتباط يعزّز الهوية الثقافية والاعتراف بهوية الآخر المستقلة.

وشاركت الدكتورة أماني العيد ببحث حمل عنوان «ولادةُ المترجم(ة): أثرُ الترجمةِ في صناعةِ الرأي العام»، ووقفت فيه على ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، ودورها في نقل الثقافات، ما جعل التأثر أسهل وأخطر، ما تعيّن على المترجمين مهمّة رَدم أو جَسْر هذه الهُوّة، وتسليط الضوء على المكون الثقافي للحضارات الأخرى للاستفادة مما وصلت إليه من تطورات من دون خسارة خصوصيتنا الثقافية أو ضياع هُويّتنا.

وفي بحثه «قابلية نقل اللغة الإنكليزية ودورها في تشكيل هوية وسائل الإعلام والثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين» أوضح الدكتور عدنان عزوز تأثير استخدام اللغة الإنكليزية في البُنى الثقافية العربية، وتأثيرها في الجوانب الثقافية ضمن المسلسلات التلفزيونية السورية واللبنانية، وتداعياتها على الأخلاق، ودورها في تشكيل الهوية العربية.

وتحدثت المترجمة آلاء أبو زرار في بحثها المعنون بـ «هجرة الكلمات من لغة الضاد إلى بلاد الأندلس» عن المثاقفة بين العربية والإسبانية ودور الترجمة في ذلك، مع ذِكر بعض الكلمات المهاجرة من العربية إلى الإسبانية ونشوء لغة الألخاميادو، التي تقوم على نظام رسومي وهجائي موحد للترجمة الصوتية من الإسبانية إلى الحروف العربية.

واستعرضت المترجمة رهف الخطيب في بحثها «اللغة الإنكليزية بوصفها لغة عالمية وأثرها في المثاقفة» تأثير هيمنة اللغة الإنكليزية في المثاقفة على نحو ملحوظ، وذلك من خلال انتقال الأفكار والثقافات، ولا سيّما أنها لغة العلوم والفن والأدب ووسائل الإعلام في كثير من البلدان.

أما الجلسة الثانية التي أدارتها الدكتورة أماني العيد، فبدأتها الدكتورة ميسون علي ببحثها «دور الترجمة والمثاقفة في تطوّر المسرح العربي»، وفيه تحدثت عن التأثير الكبير للمسرح الغربي في نظيره العربي مع بدايات ظهور هذا الفن، ثم الاتجاه إلى إيجاد بصمة عربية مع استيعاب مفاهيم المسرح الغربي.

وبيّنت المترجمة هلا دقوري في بحثها «الترجمة بين المثاقفة والعولمة» أن الخوض في إشكالية المثاقفة والعولمة يهدف إلى بحث دور الترجمة في تكريس لغة المثاقفة والحوار بين الثقافات والحضارات المتنوعة، في ظل العولمة الكاسحة التي تلغي الخصوصية اللغويّة والهوية الثقافية والشخصية الحضارية للأمم. واستعرضت المترجمة شانتال جرجس في بحثها «الترجمة والبنيان وتاريخ الأديان» آليات الترجمة التي استُند إليها في ترجمة (التوراة، والإنجيل المقدس، والقرآن الكريم) بهدف تقديم فكرة مبدئية عن مرحلة مفصلية مهمة في تاريخ ترجمة النصوص الدينية، مرحلة تركت أثراً كبيراً في البشرية اجتماعياً ودينياً وثقافياً.

وتناولت المترجمة ثراء الرومي في بحثها «درر شرقية على ألسنة غربية» آليات التأثير والتأثر بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى، وركّزت على تأثُّر الكتّاب الغربيين بالمعلقات السبع وبألف ليلة وليلة، وأشارت إلى دور الكاتبة السورية سلمى الحفار الكزبري في نقل جمالية اللغة العربية إلى الأندلس.

وتتبع المترجم شادي حمود في بحثه «الترجمة وتاريخ الأديان» تاريخ الترجمة الدينية، مبيناً أنها قديمة جداً ومهمة بوصفها ضرورة تواصلية معرفية.

وفي ختام ندوة الترجمة الوطنية قدمت وزيرة الثقافة الدكتورة ديالا بركات، والمدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب الدكتور نايف الياسين، شهادات تكريم للباحثين المشاركين في الندوة تقديراً لجهودهم المبذولة فيها.

زينب علي

❖ ❖ ❖

الباحثون المشاركون في الندوة

أ. محمّد نجدة شهيد

ورقة العمل:

«هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة».

- دبلوماسي سابق في وزارة الخارجية.
- ترجمان محلف.

من أعماله المترجمة:

- تاريخ الحياة: مقدمة قصيرة جداً، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.
- قصص عالمية، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٣.
- ألوان من قصص الأطفال في الأدب العالمي، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠٢١.

أ. مهند محاسنة

ورقة العمل:

«الترجمة الأدبية: رسول الثقافة والوجدان».

- ماجستير في الترجمة الفورية من المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية - جامعة دمشق.
- محاضر في قسم الترجمة - برنامج التعليم المفتوح - جامعة دمشق.

من أعماله:

- أبحاث قانونية وسياسية لصالح جهات محلية وإقليمية ودولية.
- مشاركات عدّة في الفعاليات والمبادرات التي تدور في فلك الترجمة.

أ. حسام الدين خضور

ورقة العمل:

«تأثير الترجمة في المثاقفة: الأندلس مثالاً».

- إجازة في الأدب الإنكليزي من جامعة تشرين.
- عضو اتحاد الكتّاب العرب.

من أعماله المترجمة:

- لغز رأس المال، دار الفرقد، ٢٠٢٠.
- أسد دمشق الجديد، دار الفرقد، ٢٠١٥.
- الجائزة، دار التكوين، ٢٠٠٤.

أ. عبير حمود

ورقة العمل:

«الترجمة وتأثيرها في الرأي العام: تجربتي الشخصية».

- ماجستير LLCER، جامعة ليون الثانية، فرنسا.
- ماجستير تأهيل وتخصص من المعهد العالي للترجمة، جامعة دمشق.
- إجازة في الأدب الفرنسي، جامعة دمشق.
- حائزة جائزة سامي دروبي للترجمة عام ٢٠٢٣.

من أعمالها المترجمة:

- أمراض وسائل التواصل الحديثة، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.
- السعادة مهما يحصل، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٣.
- الحكمة لمن يبحث عنها، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٩.

د. باسل المسالمة

ورقة العمل:

«الترجمة وأثرها في المثاقفة».

- دكتوراه في الشعر الحديث من بريطانيا.
- مدير الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب.
- أستاذ مساعد في قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب - جامعة دمشق.
- عضو اتحاد الكتّاب العرب.

من أعماله المترجمة:

- نصف شمس صفراء، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٢.
- مفهوم الاختلاف، دار التكوين، ٢٠٢٢.
- صديق عابر، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨.

د. أماني العيد

ورقة العمل:

«ولادة المترجم(ة): أثر الترجمة في صناعة الرأي العام».

- دكتوراه في المسرح البريطاني الحديث من بريطانيا.
- باحثة وشاعرة ومترجمة وأكاديمية نسوية في قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب بجامعة دمشق.

من أعمالها المترجمة:

- الإقناع المظلم، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٤.
- مقدمة إلى العلاج بالدراما، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.
- أطفال بالغون لآباء غير ناضجين عاطفياً، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.
- مقالات وأبحاث متنوعة في مجلة جسور ثقافية.

د. عدنان عزوز

ورقة العمل:

«قابلية نقل اللغة الإنكليزية ودورها في تشكيل هوية وسائل الإعلام».

- العميد السابق لكلية الآداب بجامعة قاسيون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا.
- مدير المكتب الإقليمي لاتحاد النقابات العالمي في الشرق الأوسط.

من أعماله المترجمة:

- بكلمات أخرى: دليلك إلى عالم الترجمة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٤.
- تطور اللغة البشرية، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٠.
- مقالات وأبحاث متنوعة في مجلة جسور ثقافية.

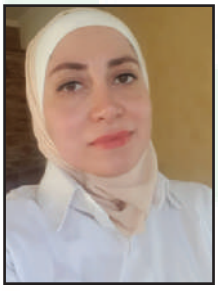

آلاء أبو زرار

ورقة العمل:

«هجرة الكلمات من لغة الضاد إلى بلاد الأندلس».

- كاتبة ومترجمة سورية.
- حائزة جائزة سامي دروبي للترجمة عام ٢٠١٧.

من أعمالها المترجمة:

- بخيتة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٩.
- ثلاث دقائق من التأمل، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨.

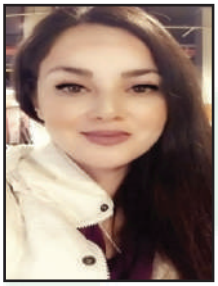

أ. رهف الخطيب

ورقة العمل:

«اللغة الإنكليزية بوصفها لغة عالمية وأثرها في المثاقفة».

- ماجستير في الترجمة الفورية – جامعة دمشق.
- ماجستير في اللسانيات التطبيقية – الجامعة الافتراضية.

من أعمالها المترجمة:

- العمل من بُعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٢.
- علم نفس التقانة، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد الترجمة.
- مقالات وأبحاث متنوعة في مجلة جسور ثقافية.

د. ميسون علي

ورقة العمل:

«دور الترجمة والمثاقفة في تطوّر المسرح العربي».

- دكتوراه في المسرح المعاصر من الجامعة اليسوعية.
- أستاذة المسرح الحديث والمعاصر في المعهد العالي للفنون المسرحية.

من أعمالها:

- نصوص من المسرح الإنكليزي المعاصر، قيد النشر.
- المسرح وفنون الأداء، دار ماري، ٢٠٢٠.
- المسرح والهوية، دار ماري، ٢٠١٨.

أ. هلا دقوري

ورقة عمل:

«الترجمة بين المثاقفة والعولمة».

- مترجمة فورية وتحريرية ومحلفة سورية.
- ماجستير في الترجمة الفورية – جامعة دمشق.

من أعمالها:

- عصر الذكاء الاصطناعي ومستقبل البشر، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.
- مقالات وأبحاث متنوعة في مجلة جسور ثقافية.
- أبحاث في مجلة تجسير – جامعة قطر.
- مقالات منشورة في المجلة الموريتانية للدراسات الفلسفية – بيت الحكمة.

أ. شانتال جرجس

ورقة العمل:

«الترجمة والبنيان في تاريخ الأديان».

- مترجمة سورية.
- حائزة جائزة سامي دروبي للترجمة عام ٢٠٢٠.
- ماجستير في اللسانيات التطبيقية – الجامعة الافتراضية.
- إجازة في الأدب الفرنسي من كلية الآداب – جامعة حلب.

من أعمالها المترجمة:

- كوبيدون بأجنحة من كرتون، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٣.
- مدخل إلى تحليل الرواية، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.

أ. ثراء الرومي

ورقة العمل:

«درر شرقية على ألسنة غربية».

- ماجستير في الأدب الإنكليزي.
- مدرّسة لغة إنكليزية لغير المختصّين.
- مشرفة ثقافية.

من أعمالها المترجمة:

- سيرة ذاتيّة بعنوان: الحقيقة دائماً تسود، دار ممدوح عدوان، ٢٠١٨.
- أمينة المكتبة، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.
- الامتثال: قوة المؤثرات الاجتماعية، الهيئة العامة السورية للكتاب، قيد النشر.

أ. شادي حمود

ورقة العمل:

«الترجمة بين تاريخ الأديان والمثاقفة الأندلسية».

- مترجم سوري.
- ماجستير في الترجمة التحريرية من جامعة دمشق، ٢٠١٨.

من أعماله المترجمة:

- الإرهاب صناعة أمريكية، دار الناصر للطباعة والنشر، ٢٠٢٢.
- مسرحية الأم والطفل بخير، ٢٠١٨.
- مقالات وأبحاث متنوعة في مجلات ودوريات الهيئة العامة السورية للكتاب.

مديرو الجلسات

مدير الجلسة الأولى: د. فؤاد الخوري

- دكتوراه في اللسانيات التطبيقية.
- عميد المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية من ٢٠٢٠-٢٠٢٤ - جامعة دمشق.

مدير الجلسة الثانية: د. باسل المسالمة

- دكتوراه في الشعر البريطاني الحديث من بريطانيا.
- مدير الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب.
- أستاذ مساعد في قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب - جامعة دمشق.
- عضو اتحاد الكتّاب العرب.

مديرة الجلسة الثالثة: د. أماني العيد

- دكتوراه في المسرح البريطاني الحديث من بريطانيا.
- باحثة وشاعرة ومترجمة وأكاديمية نسوية في قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب بجامعة دمشق.

اللجنة التحضيرية

د. لبانة مشوّح.

د. نايف الياسين: المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب.

د. غسان السيد: مدير التأليف في الهيئة العامة السورية للكتاب.

د. باسل المسالمة: مدير الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب ورئيس تحرير مجلة جسور ثقافية.

د. فؤاد الخوري: العميد السابق للمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية - جامعة دمشق.

د. محمد قاسم: عضو عامل في مجمع اللغة العربية.

أ. حسام الدين خضور: عضو اتّحاد الكتّاب العرب.

أ. هيثم الحافظ: رئيس اتحاد الناشرين السوريين.

الفهرس

مقدّمة ٥

كلمة المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب ٩

رسالة المترجمين السوريين ١٣

هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة: محمد نجدة شهيد ١٥

الترجمة الأدبية: رسول الثقافة والوجدان: مهند محاسنة ٣٣

دور الترجمة في المثاقفة: الأندلس مثالاً: حسام الدين خضور ٤١

الترجمة والتأثير في الرأي العام: عبير حمود ٥١

أثر الترجمة في المثاقفة: د. باسل المسالمة ٥٧

ولادةُ المترجم(ـة): أثرُ الترجمةِ في صناعةِ الرأي العام: د. أماني العيد ٦٣

قابلية نقل اللغة الإنكليزية ودورها في تشكيل هوية وسائل الإعلام والثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين: د. عدنان عزوز ٦٩

هجرة الكلمات من لغة الضاد إلى بلاد الأندلس: آلاء أبو زرار ٨١

هيمنة اللغة الإنكليزية وأثرها في المثاقفة: رهف الخطيب ٨٧

دور الترجمة والمثاقفة في تطوّر المسرح العربي: د. ميسون علي ٩٩

الترجمة بين المثاقفة والعولمة: هلا دقوري ١١٥

الترجمة والبنيان في تاريخ الأديان: شانتال جرجس ١٢٧

درر شرقيّة على ألسنة غربيّة:

حين تحملنا التّرجمة على بساط علاء الدّين: ثراء علي الرومي ١٣٧

الترجمة بين تاريخ الأديان والمثاقفة الأندلسية: شادي سميع حمّود ١٤٩

تحت عنوان «الترجمة والمثاقفة»

انطلاق أعمال الندوة الوطنية للترجمة بالمكتبة الوطنية ١٥٩

الندوة الوطنية للترجمة والمثاقفة في المكتبة الوطنية ١٦٣

اختتام فعاليات الندوة الوطنية للترجمة في المكتبة الوطنية بدمشق ١٦٧

الباحثون المشاركون في الندوة ١٧١

مديرو الجلسات ١٧٨

اللجنة التحضيرية ١٧٩

الفهرس ١٨٣

٢٠٢٥م

www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٢٥